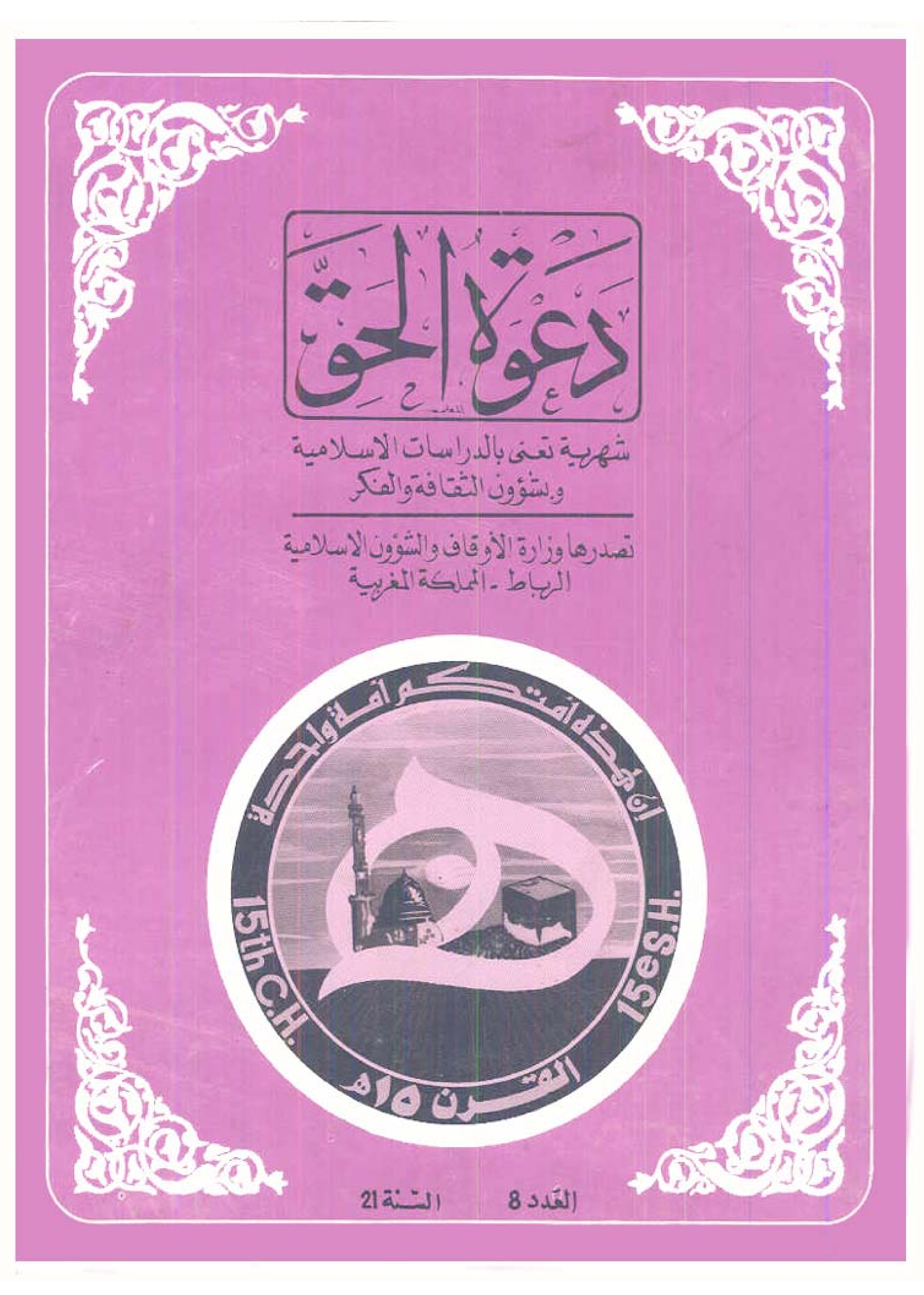


دعوة الحق
شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية
ان هذه امتكم امة واحدة
15th C.H.
15es H.
القرن ١٥ هـ
العدد 8
السنة 21

بيانات إدارية :

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الرباط - المملكة المغربية

- تبعث المقالات الى العنوان التالي :

مجلة «دعــوة الحــق»

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - المغرب: الهاتف، 03 - 627 و 04 - 627

- الاشتراك العادي عن سنة 55 درهماً للداخل، و 67 درهماً للخارج، والشرفي 100 درهم فأكثر.
- السنة 8 أعداد. لايقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة.
- تدفع قيمة الإشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط.

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه.

- **لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر**

العدد 8
السنة 21

صفر/ربيع الأول 1401
دجنبر 1980

هذا العدد

بهذا العدد تنهي (دعوة الحق) سنتها الواحدة والعشرين التي تعتبر أكثر سنواتها امتلاء بعظائم الأحداث. فكان عليها أن تساير ماجرياتها، من موقع المراقبة والمتابعة والنقد، واستخلاص الدروس، ورصد التطورات، والتعليق عليها في افتتاحياتها، التي تعد اجتهادا صحافيا، ينزع نحو الأخذ بأحداث أساليب التعليق السياسي، المشبع بالروح الثقافية، والملتزم بالخط الفكري الذي تسلكه هذه المجلة.

ولقد حفلت هذه السنة من عمر (دعوة الحق) بالموضوعات والقضايا التي عالجها كتابها كل من زاويته الخاصة والتي تتصل في مجملها بالقضية الأساس المرتبطة بمحور وجودنا المعنوي فوق هذه الأرض، خاصة وان المغرب يشارك، بعمق وفعالية، في معارك أمتنا من أجل إثبات الذات وحماية الوجود. ولذلك حرصت المجلة في أعدادها الصادرة هذه السنة على معالجة عدد من الموضوعات الرئيسية بأقلام نخبة رائدة من كتاب المغرب والمشرق، مما نتج عنه محصول ثقافي وفكري وإسلامي لايمكن الغض من قدره في سياق التطور الفكري العام في البلاد الإسلامية عامة.

و (دعوة الحق) إذ تجتهد في إطار رسالتها الثقافية المرسومة المعالم الواضحة المقاصد، تتطلع إلى إثراء الفكر الإسلامي بالعطاء الجزيل والإسهام الوافر والإضافة الواعية والمسؤولة، وهي بهذا الإعتبار، تقدم لجمهور الباحثين والدارسين ومختلف فئات المثقفين زادا منتظما لا شك أنه كفيل باغناء الحياة الفكرية في مستوياتها الرفيعة.

ومجلة هذا دورها، وتلك رسالتها، لا يمكن أن تنزل إلى مستوى أقل من قدرها وقيمتها، بمجاراة ما تمتلىء به السوق من مجلات ودوريات تتملق عواطف القارئ، وتخدع الأفهام بزخرف القول وإغراء الشكل.

ولعله من الحق أن نقول إن هذه المجلة تحترم القارئ بأن تصدقه القول، وتقدم له مادة ثقافية جادة ورصينة، فيها التوجيه الإسلامي السليم، والتحليل العلمي الرزين، والرأي الثقافي المسؤول، وفيها أيضا، الطرافة والمتعة والفائدة والجديد الذي يعكس الجهد الذي تبذله المجلة في سبيل الحصول عليه أولا ثم صياغته وتقديمه وإبرازه.

وعلى هذه المحجة الإعلامية تمضي (دعوة الحق) تنشد التوعية العميقة، والتثقيف المركز، والتنوير النافذ.

عبد القادر الادريسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية:



●● جرب المسلمون مع مطالع القرن الرابع عشر الديمقراطية الغربية فأخفقوا في الوصول إلى استقرار سياسي وسلام اجتماعي ورخاء اقتصادي، والتجأوا إلى الاشتراكية دون أن ينتهوا إلى نتيجة تضمن لهم ما يتطلعون إليه من كفاية وعدالة ومساواة وتكافؤ للفرص وقضاء على الفوارق ومحو للطبقات، وعمد بعضهم إلى تبني الأنظمة الديكتاتورية، سواء منها ذات الطابع العسكري والبوليسي أو ذات النزعة العنصرية والقومية الضيقة، فلم يزدهم ذلك إلا تخلفا واندحارا وامعانا في التخبط والفوضى والتيه. وقامت في البلاد الإسلامية تجارب شتى، شرقية وغربية، مدنية وعسكرية، متطرفة ومعتدلة، يسارية ويمينية، فلم يبلغوا شأوا ولم ينالوا حظا من التوفيق. ولم يزدادوا إلا انحرافا وزيغا عن الصراط المستقيم وطريق الحق وسبيل الرشاد. ومضى القرن الرابع عشر بكل الانتكاسات والهزائم والتجارب الدامية والفاشلة التي عرف بها، فمن الانقلابات إلى الثورات، إلى الاضطرابات، إلى الديكتاتوريات المتعددة الأشكال والأنماط، ومن القهر إلى الارهاب، إلى القمع، إلى امتهان الكرامات وإذلال العباد وإفقار البلاد وتمزيق الصف، ومن العمالة والخيانة والتواطؤ مع العدو، إلى التآمر ضد الأمة باسم الثورة والتقدمية، وإلى التطاول على عقيدة الشعوب المسلمة بدعوى تحريرها وتحديثها وعصرنتها، وإلى النيل من القيم والمقومات والمقدسات، ومن تشويه التاريخ

وتزييف حقائقه. الى تضليل الافكار وتخدير العقول تارة بدعوى العلم والعلمانية. وتارة اخرى باسم التنوير والمدنية. وفي غالب الاحيان بالضغط والاكراه والتهديد والأساليب الوحشية في التبليغ والدعاية والاعلام والتعليم والتلقين دون مراعاة لحقوق الانسان في التلقي والتعلم والأخذ والاقتباس والحرص على ذاتيته وانسيته وقيمته الادمية. وكان من نتائج هذه الغارة على الانسان المسلم على مدى قرن كامل ان تفشت في البلاد العربية أنماط من السلوك الذي يستمرئ الذل الفكري ويستسيغ المسكنة وانحطاط الشان ويرضى بالخنوع ووضاعة المكانة. اللهم الا ما كان من نماذج ابت على الذوبان وانفلتت من الاحتواء والاستيلاء والاجهاض. ورضت ان تكون حرة وسط غابة كثيفة يفترس فيها وحوش الانس ذوي الارادات الضعيفة والاستعداد للسقوط في حماة الضياع الحضاري والارتباط بالقوى الشرسة المتامرة ضد اصحاب الفكر النير وعزة النفس وقوة الارادة وصلاحية الاختيار. وانتشرت في البلاد العربية والاسلامية انظمة الجبروت تفتك بالانسان وتقتل فيه النخوة والرجولة والشعور بالذات. فكان أن نشات أجيال متعاقبة لا تفقه من امر دينها مثقال ذرة. ولا تدرك حدود حضارتها ومعالم تاريخها. ولا تكاد تعي وجودها المادي والمعنوي. مما مهد الطريق امام أعداء الانسان ليعيثوا في الارض فسادا ويدمروا الشخصية الانسانية من الداخل ويقيموا لانفسهم هياكل من الوهم والخرافة والاسطورة ويخلقوا لذواتهم صروحا من الخيال وأضغاث الاحلام وفاسد التصورات وساقط الشعارات. وبذلك انقادت الشعوب الاسلامية وراء جلاديها. وسارت دون وعي في طريق الغواية والضلالة والبهتان. فضاعت فلسطين . وضاعت الكرامة الاسلامية بضياعها. وانزوى المسلمون في جانب. وخلا الميدان من وجودهم. واصبح شذاذ الافاق أبطالا وزعماء وقادة. اوجدوا لانفسهم تلامذة وانصارا ومريدين.

● في هذه الاجواء القاتمة الملبدة بسحب الردة والتراجع والانهزام الحضاري مضت القوى الدولية الرهيبة تضرب معاقل الاسلام وحصونه معقلا بعد معقل وحصنا اثر حصن. فتساقط منها ما تساقط. وتضعضع ما تضعضع. وانهار ما انهار. وزلزلت الارض من تحت اقدام

المسلمين. فإذا هم في وضع لايحسدون عليه. تتناوشهم السهام من كل جانب. وتتواطأ ضدهم أمم الأرض. وصدق فيهم حديث رسولهم عليه السلام. فإذا هم كثرة. ولكنها كثرة كغثاء السيل. وتلك من دلائل النبوة في هذا العصر.

●● ما من أمة من أمم الأرض أصابها ما أصاب أمة الإسلام على مدى تاريخها الطويل. وكان نصيبها من الهزال والضعف والعجز في القرن الرابع عشر أضخم وأكبر مما نالها على امتداد القرون السابقة. وبذلك أمكن القول إن جميع القوى الدولية المتصارعة في ساحة الأمم ساهمت بطريقة أو بأخرى في التآمر على أمة الإسلام في العصر الحديث.

ولكن هذه الأمة خيبت ظنون أعدائها وانتعشت على حين غرة. وقامت تسعى إلى استرداد مكانتها تحت الشمس وتدافع عن حقها في الوجود الحر القوي المكثف. وتكافح من أجل البقاء والحياة الكريمة. ومن هنا كانت حركات الصحوة واليقظة العسكرية منها التي انتهت بطرد الجيوش الغازية أو الفكرية والسياسية التي لاتزال تعمل عملها في إيقاظ الهمم واستنفارها وحفزها ودفعها إلى المزيد من التحرك الحضاري الإيجابي في الاتجاه الذي يحقق القوة والمناعة والعزة للمسلمين في كل مكان.

● يمكن لنا أن نجزم دون مبالغة أو مغالاة ان الوضعية الراهنة للمسلمين في مشرق العالم الإسلامي ومغربه تبشر وتطمئن القلب. ذلك ان الازمات الخانقة التي تعيشها الأمة الإسلامية لا يمكن أن تكون إلا إيذانا بزوال أسباب التخلف وقرب الخروج من المأزق. وما هذه الفتن والقلاقل والفواجع والحرائق التي تملأ الساحة الإسلامية إلا آلام المخاض وقمة العسر الذي كتب الله أن يعقبه يسر طال الوقت أم قصر. وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا.

●● ليس من شك أن المسلمين يمرون اليوم بظروف بالغة السوء والشدة والإفلاس.

● وليس من شك - أيضا - أن المسلمين يقفون على مفترق طرق. وتحاصرهم معارك من شرق وغرب على السواء. ولكن هذا الواقع

الشديد الحلكة والقتامة والسواد لا يمكن ان يمنعنا من التفاؤل طالما ان الاسلام لا يزال هو القوة المحركة والحافز والدافع المباشر في كل ساحة يضطرب فيها الوضع وفي كل ميدان تشتد فيه الوطأة على المسلمين. وذلك بالرغم من غلبة القوى المناهضة لهذا الدين وتفوقها وبطشها. بل ان هذه الصفات جميعها ماهي الا ارهاصات النصر وعلامات الفوز وامارات الغلبة التي كتب الله في اللوح المحفوظ منذ الازل ان تكون للمؤمنين.

● الامر. في هذا المستوى. يخرج عن نطاق التفاؤل والتشاؤم. او التخمين والرجم بالغيب أو التنبؤ. لأنه يتعلق بقضية ايمانية هي جزء من ايمان المسلم في كل عصر. ذلك أن الاسلام قاهر كل عقيدة. وتبقى مسألة التوقيت. وهذه خارجة عن علمنا وارادتنا وتقديرنا.

من هذه الزاوية نتطلع الى افاق المستقبل. وبهذا المقياس نحكم على الماضي والحاضر ونستقرئ ما تموج به حياتنا المعاصرة من صخب وصراع وفتنة واضطراب.

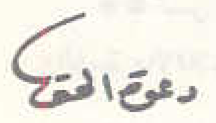
والحق ان التجارب المريرة التي مر بها المسلمون طوال القرن الرابع عشر الهجري ليست الا دروسا وعبرا وعظات ومن حقنا ان نعمل عقولنا - في وعي كامل - في تدبر النتائج المستخلصة واستيعابها حتى تكون لنا مصابيح على طريق المستقبل.

●● ان العالم الاسلامي. وهو يعيش السنة الاولى من القرن الخامس عشر يتلمس طريقه في وعي وبصيرة نحو استعادة دوره الحضاري. ولن تفلح كل القوى المعادية في ايقاف زحفه المبارك.

وهو زحف. ما في ذلك شك. ومبارك لان الله يرعاه ويزكيه ويباركه.

وتلك هي عقيدتنا...

وذلك هو يقيننا...



منهجي في الكتابة عن "أعلام المغرب العربي"

للأستاذ عبد الوهاب بنمنصور

يرجع اهتمامي بفن الترجمة أو كتابة سير النابهين من الرجال والنساء إلى عهد دراستي الابتدائية في الثلاثينات. ويعود السبب في ذلك إلى التأثير الذي خلفته في نفسي المقالات القيمة التي كان ينشرها عن عظماء المغرب في صحف ذلك الوقت ومجلاته الأستاذان الجليلان الوزيران : السيد محمد الفاسي والسيد عبد الله كنون. ثم انضاف إلى هذا السبب سبب آخر فيها بعد، هو قطعا الذي دفع الأستاذين المذكورين إلى الكتابة فيما كانا يكتبان فيه. أعني الشعور بضرورة رفع الحجب المستورة عن رجال المغرب المغمورين، اظهارا لعظمتهم، وتبيينا للحظ الذي اسهموا به في السياسة والحرب والعلم والادب والفن، حتى تهتاج المشاعر النبيلة في نفوس أبنائهم وحفدتهم، وتندحض دعاوي المستعمرين الذين كانوا يحرصون على إبقاء ماضينا العلمي والحضاري مغمورا، ويعطون في أكثر ما يكتبون عن بلدنا صورا شوهاء. فكان تأثير الأستاذين الفاسي وكنون، الشعور الوطني الغامر بمثابة البذور الجيدة التي ألقيت في التربة الطيبة فاهتزت بها الأرض وربت وانبتت من كل زوج بهيج.

لم أفتأ منذ ذلك الوقت مشغوفا بالكشف عن عظماء المغرب وتقديمهم إلى الجمهور كما يشغف الأركيولوجي بالحفر على مخبآت الأرض أو إقامة ما تناثر على سطحها التماثيل والأعمدة والحنايا، وترميمها ثم عرضها في صور أقرب ما تكون إلى صورها الأصلية. وكذلك نشرت في أحد الأعداد الأخيرة من جريدة (الأطلس) لسان حال كتلة العمل الوطني التي أوقفتها الإدارة الاستعمارية سنة 1937 مقالا عن أبي عنان الملك الشاعر. ثم شرعت في تأليف سلسلة من الكتب الصغيرة عن أدباء المغرب باسم (البدائع) على غرار سلسلة (الروائع) التي أصدرها ببيروت الأستاذ فؤاد أفرام البستاني عن أدباء العرب. فأنجزت منها عشرة أجزاء أو كتيبات على الأصح سلمتها للصديق المرحوم

الأستاذ سعيد حجي الذي كان يدير جريدة (المغرب) اليومية بمدينة سلا. فأصدر الكتيب الأول منها سنة 1937 عن الشاعر الرقيق محمد بن الطيب العلمي صاحب (الانيس المطرب). ثم عرض الأجزاء التسعة الباقية على قلم المراقبة الفرنسي اثر قيام الحرب العظمى الثانية سنة 1939 واعلان الأحكام العرفية بقصد التأشير عليها لطبعها فحجزها ولم يعدها إليه كأنها كانت في نظر السلطة الاستعمارية من المواد الخطيرة التي يحرم تداولها بين الناس مخافة أن تثير الفتنة ضدهم، وتصبح أداة تدمير خطيرة، وتعرقل بالتالي خطوات الحلفاء نحو الانتصار !

ولما التجأت لتطوان سنة 1938 فرارا من السلطة الفرنسية وأسند حزب الاصلاح الوطني إلي والى صديقي السفير الأستاذ ادريس بنونة محرر جريدة (الحرية) لسان حال الحزب نشرت بها سلسلة من المقالات عن الوزير الداهية أحماد بن موسى البخاري. ثم لما سافرت في أعقاب الحرب العظمى الثانية إلى تلمسان رغب مني العالم والسياسي الكبير الشيخ محمد البشير الابراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن أكتب شيئا عن رجال المغرب الأوسط فنشرت بجريدة (البصائر) لسان حال الجمعية المذكورة عددا من المقالات عرفت فيها بعدد من أدباء ذلك القطر وعلمائه وخاصة من كان لهم ارتباط بالمغرب الأقصى . كمحمد ابن مرزوق الخطيب حاجب السلطان أبي الحسن المريني، وبكر بن حماد التاهرتي صاحب أحمد الأكبر بن القاسم بن ادريس الثاني، وأبي راس الناصري المعسكري. كما نشرت ثلاثة من الدراسات المستقلة إحداها تحت اسم (المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله ابن خميس) مادح سبتة وبني مرين وبني العزفي. والثانية تحت اسم (أبو القاسم القالمي) كاتب الدولة الموحدية الشهير. والثالث (ديوان الأمير عبد القادر) الذي انشأ المغرب حركة مقاومته. وأخذ المغاربة بضبعه طيلة كفاحه وكفاح رجاله ضد الغزو الفرنسي للجزائر.

ولما ألحقني الملك المرحوم محمد الخامس طيب الله ثراه بديوانه الملكي بعد عودته من المنفى ألححت عليه في جمع شتات كتبه المتفرقة في القصور الملكية فأسعفني كما جعل تحت إشرافي مطبعته الملكية. فوضعت منذ سنة 1967 خطة لنشر كتب التراث المغربي وغيرها في تلك المطبعة ونفذتها حتى تجاوز ماصدر منها إلى حد هذا الوقت خمسين كتابا. وكنت في كل كتاب أنشره من تأليفي أو من كتب التراث أعرف باسهاب أو باقتضاب في المقدمة أو في الهوامش بمؤلفي الكتب أو ببعض الأشخاص الواردة أسماؤهم في ثناياها ممن بدا لي أثناء التأليف أو التحقيق أن أعرف بهم. خصوصا الأشخاص الذين يعسر الوصول الى الكتب التي ترجموا فيها أو الأشخاص الذين وقع اضطراب أثناء تعريفها بهم، وكذلك ترجمت لأحمد المقري عندما حققت كتابه (روضة الآس). ولعبد الرحمن ابن زيدان عند ما حققت كتابه (العز والوصلة). وللعباس ابن ابراهيم السملالي عندما حققت كتابه (الاعلام). كما عرفت بطائفة من شخصيات ذلك الوقت السياسية والعلمية والأدبية عندما طبعت كتابي (الحسن الثاني) . ومثل هذا كثير.

ونشرت عدا هذا أعدادا من المقالات في الصحف والمجلات عن رجال قدامى ومحدثين حينما سئلت التعريف بهم كالمقال الذي نشرته عن ابن المواعيني في مجلة دعوة الحق.

ثم تضخمت المسؤولية عندما أسند إلى جلالة الملك الحسن الثاني منصبي مؤرخ المملكة ومدير الوثائق الملكية وجمع لي بينهما وبين مناصب أخرى بقصره العامر وديوانه الشريف. فصار من جملة واجباتي أن أضع تراجم لأمراء بيته الملكي ووزرائه وسفرائه وكبار موظفي مملكته مدنيين وعسكريين. وأن أقدم اليه معلومات كلما

طلبها مني عمن يرغب في التعرف عليهم والإلمام بحياتهم من ملوك المغرب وأمرائه وعلمائه وأدبائه وقادته وثواره وأصدقائه وأعدائه ورواده وزائريه في القديم والحديث.

وقد تجمع لي من هذا العمل الدائب ، وطيلة هذه السنوات التي تنيف على الأربعين مجموعة كبرى من التراجم بعضها فريد وحيد قد لا يوجد عند أحد غيري. أو يوجد عند غيري متفرقا بينما هو عندي مرءوب الصدع مجموع الشتات. كما امكنني بطول الممارسة وتوالي الأيام واقتناء المفيد من المطبوعات وسهولة الاطلاع على المخطوطات أن أحدد مواقع المراجع التي يمكن اللجوء إليها عندما تحصل الرغبة في التعرف على رجال أي بلد وفي أي عصر. فتكونت عندي فكرة عامة عن وفرة عدد الرجال في مختلف الأمصار والأقطار. ولا سيما في مغربنا العربي ثم تمثلت أمامي الصعوبات التي يمكن أن يواجهها أي باحث ممن لا تتهيأ له ظروف مثل ظروفي وقارنت بين كل ذلك وبين ماعابه كثير من علمائنا على أهل المغرب في إهمال للتاريخ وقلة اهتمام بالرجال. فخفت أن تمر أجيال ويأتي من يضع إسمي في قائمة هؤلاء المهملين قليلي الاهتمام. وخطر ببالي من ذلك الوقت أن أضع لرجال المغرب قاموس أعلام أجمع فيه شتات التراجم المتوافرة لدي وأرتبها وأطبعها. وتقوى ذلك الخاطر ببالي مع توالي الأيام.

ولما شرعت في رسم مخطط لإخراج هذه الفكرة إلى حيز الإنجاز والتحقيق واجهني عدد من المشاكل . في مقدمتها مدى حدود هذا العمل وآفاق زمانه. هل اجعله قاصرا على العصور الحديثة دون القديمة ؟ هل أخصه برجال المغرب الأقصى أم أجعله يعمهم ويعم غيرهم من أهل المغارب وما هو معدود منها ؟ وعن هذا السؤال الأخير بالخصوص لم يتفسح أمامي أي أفق للاختيار. فحتى قيام الأسرة المرينية كانت أقطار في شرق المغرب الأقصى وفي شماله وراء البحر محسوبة منه. والى منتصف القرن الماضي ومطلع القرن الحالي كانت الأقاليم الصحراوية الواصلة جنوبا إلى نهري النيجر والسينغال والواصلة شرقا إلى الفضاء الفسيح الفاصل عن ليبيا معدودة منه أيضا. فهل نتخلى عن مغربية يوسف بن تاشفين وعبد المومن بن علي لمجرد أنهما ولدا خارج حدود المغرب الأقصى الحالية ؟ وهل نتنكر لمغربية رجال شنقيط وتوات لا لسبب سوى أن المستعمر اغتصب من أرضه الشاسعة أقاليم فسيحة ضمنها في وقت من الأوقات إلى مستعمراته أو اصطنع لها كيانات حسب أغراضه وشهواته ؟ ثم إذا تجاوزت رجال المغرب الأقصى في حدوده الضيقة الحالية إلى رجاله في حدوده التاريخية الحقيقية المعروفة له أفلا يغضب ذلك حكام الأقطار التي ضمت إليها تلك الأقاليم ؟ أو حكام تلك الأقاليم التي اصطنعت لها كيانات. ويعدون ذلك دليلا جديدا على شره المغرب الأقصى وأطماعه التوسعية !

الحقيقة أنه صعب علي الاختيار ، وتزداد الصعوبة عندما يلاحظ المؤرخ النزيه بعين الحقيقة المجردة مدى التداخل المجتمعي والسياسي الذي قام على مر العصور بين أقطار المغرب العربي. حتى يصعب عليه أحيانا - ولا سيما في الفترة السابقة على الحكمين التركي والفرنسي - أن يعرف من أين يبتدىء المغربي والأندلسي والصحراوي وأين ينتهي. فيوسف ابن تاشفين. ولد بالصحراء وملك المغربين الأقصى والأوسط وفتح الأندلس. ومات بمراكش. ومحمد المعتمد ابن عباد ولد بالأندلس ومات بأغمات. وبكر بن حماد ولد بتاهرت. ودرس بتونس. ووفد على الأدارسة ملوك المغرب. وأحمد زروق ولد بفاس وتوفي بمسراته. وعبد الرحمن الجامعي ولد بفاس وأقام بالجزائر ومات بتونس . وقل مثل ذلك عن علي بن يوسف بن تاشفين. والفيلسوف ابن رشد. والخطيب ابن مرزوق. ومحمد ابن الخطيب السلماني. وعبد الرحمن ابن خلدون.

وأبي عبد الله ابن الأحمر وأحمد الونشريسي، وأحمد المقري، ومحمد الخيضر، والقائد أحمد، وسواهم كثير، الشيء الذي ترجح به لدى أن يكون الكتاب قاموسا لأعلام المغرب العربي بما فيه الأندلس الإسلامية، أي لرجال جميع الأقطار الإسلامية الواقعة في غرب البحر المتوسط مع ما يتخللها من جزر في الشمال وفي صحراء وما وراء الصحراء في الجنوب.

وعن التساؤل الأول هالتني هذه الكثرة الكاثرة من الرجال في العصر الواحد فما بالك بالعصور كلها، وكيف يستطيع الفرد الواحد أن ينهض بعبء التعريف بهم جميعا ولو أمضى السنين الطوال والتعريف ينوء بالعصبة أولى القوة ؟

لاجرم أنه يعسر أيضا تفضيل عصر على عصر، وترجيح أحد على الآخر، فما ارتئيه أنا أولى بالتسبيق حريا بالتقديم قد يرى غيري أن غيره أولى منه وأحق، سيما والاحتياجات إلى معرفة الرجال وفي كل العصور أصبحت ضرورة حتمية وأمرا مؤكدا بعد انتشار التعليم الجامعي وإقبال طلبته على تحضير الرسائل والأطروحات التي يختتمون بها تعليمهم العالي، وانتقاء مواضيع (مغربية) عند تحضيرهم لتلك الرسائل والأطروحات.

وإذن فالعمل لا بد أن يكون جماعيا وعاما.

قدرت لإنجاز هذا العمل الجماعي والعام عصبة من الجامعيين المتخصصين والمساعدين من الشيوخ والشبان النابهين، كما قدرت لانجازه عشرات من السنين، ولكن أين هم هؤلاء الجامعيون المتخصصون ؟ والمساعدون النابهون ؟ وهل بقي في النفس أمل في أن يعيش المرء عشرات أخرى من السنين متمتعا بكل قواه ليسهم في إنجاز هذا العمل الضخم أو يشرف عليه بحكم ماله من واسع خبرة وطول ممارسة ومعاناة ؟ وهب أنه عاشها أفلا يظهر خلال هذه المدة مئات بل ءالاف اخرى من الرجال الجديرين هم أيضا بالترجمة والتعريف ؟ إذن فلا بد من الأخذ بالحكمة التي تقول : مالا يدرك كله لا يترك جله أو بعضه.

استقر في نفسي أن أبدأ بما تيسر، فأعرف بألف من الرجال والنساء أو يزيدون في كتاب أطبعه تحت إسم (أعلام المغرب العربي) ثم أضيف إليه عند كل طبعة جديدة أو يضيف إليه من يأتي بعدي عددا آخرا من الأعلام يتضخم بهم الحجم ويثقل الوزن وتتسع الافادة وتبلغ الغاية.

وكذلك مضيت في إعداد هذا الكتاب، انتقيت في البداية ألفا من الأسماء، ثم رحت - وأنا أعلم أن العدد سيزداد أثناء الانشاء والطبع والتحرير - أعرف بأصحابها الواحد تلو الآخر، غير مسهب إسهاب ابن بسام في الذخيرة، ولا مقتضب اقتضاب ابن القاضي في ذرة الحجال، إلا مالا حيلة لي في إيراده مسهبا أو مقتضبا، مستخرجا ما فيها من فوائد ومعلومات من آثار الأموات أو أفواه الأحياء، أو ما رأيته بعيني وسمعته بأذني في عصري ومصري.

ومن البديهي أن هذه النخبة المنتقاة من الرجال والنساء لاتشمل إلا من ضرب بسهم في ميدان السياسة أو الحرب أو العلم أو الادب، كالملوك والأمراء، والرؤساء، والوزراء، والعلماء والفقهاء، والكتاب والشعراء، والثوار والشهداء، أما الموسومون بالولاية والإصلاح، وأدعياؤهما، والحمقى والمجانين، وكل «ملامتي» رفع عنه القلم وسقط التكليف فأولئك يمكن لما أراد معرفة مناقبهم أو ممخرقاتهم أن يطلع عليها في كتب أخرى غير هذا الكتاب، إلا أن كانوا ممن شغلوا العقول والأفكار كأبي العباس السبتي وأبي شعيب السارية والعربي الدرقاوي وأحمد التيجاني فتعرف بهم لشغلهم العقول والأفكار وانشغالها بهم سلبا أو إيجابا، لا إيمانا بما يظهر على أيديهم أو يدعيه لهم أتباعهم من خوارق وكرامات.

وقد رتبت التراجم ترتيب الألفبائية المغربية وسلسلتها حسب الوجود الزمني لأصحابها لا حسب ترتيب أسماء آبائهم وأجدادهم الواردة بعد اسمائهم. فأحمد ابن عطية القضاعي يأتي في الترتيب قبل أحمد المقري لأنه مات قبله. وكذلك الحال بالنسبة لإدريس الأول مع ادريس ابن ادريس العمراوي، وعبد العزيز الفشتالي مع عبد العزيز بن الحسن العلوي. وبذلك يستطيع القارئ أن ينزل مع التاريخ قرنا فقرنا وسنة بعد أخرى عارفا رجال كل عصر. وهو خير له من أن يقفز من الأمام إلى الخلف ومن اليمين إلى الشمال لمجرد أن اسم أبي المترجم أو اسم جده مقدم في الترتيب الالفبائي على اسم أبي مترجم آخر أو اسم جده ولو تأخر عنه زمنيا. أما المترجمون من الأحياء فرتبتهم حسب سنوات مولدهم. فمن سبق سميه ولادة سبقه في الترتيب أيضا.

كما رتبت التراجم ترتيبا عقلانيا. فأذكر اسم المترجم ونسبه وتاريخ مولده وبلده، ودراسته وأعماله السياسية أو العلمية أو الحرية أو الحربية. وآثاره الفكرية ومؤلفاته. موردا نبذا من شعره أو نثره إن كان ممن يشعرون ويترسلون. وبعضا من أخباره التي ترتاح بقراءته النفس ويبتهج القلب. خاتما بذكر تاريخ موته ومكانه من غير تقصير مخل ولا تطويل ممل. مشيرا في الاخير إلى المراجع التي يمكن لمن أراد التوسع أن يرجع إليها للاستزادة من الفوائد والمعلومات.

وقد تعرض أسماء رجال سكت المؤرخون عن سنتي وفياتهم. فهؤلاء سأضع الواحد حسب تقديري واجتهادي في المكان الذي أظن أنه مكانه أو قريب من مكانه. مثلما تعرض لي أسماء رجال يظهر أنهم كانوا في أوقاتهم ذوي شأن. ولكن أخبارهم نادرة وسيرهم غامضة. فأسماء هؤلاء سأثبتها في الترتيب على سبيل التذكير كما كان يفعل ابن عبد الملك في الذيل والتكملة ريثما ييسر الله التعرف على أخبارهم والإطلاع على آثارهم. أو يأتي بمن يتعرف عليها ويطلع.

وحذفت من أسماء المترجمين ما يقترن بها من الكنى والألقاب فمحمد ابن الخطيب السلماني هو محمد ابن الخطيب السلماني، وليس أبا عبد الله ولا لسان الدين. عبد الرحمان ابن خلدون الحضرمي هو عبد الرحمان ابن خلدون الحضرمي. وليس أبا زيد ولا شهاب الدين. إلا إذا غلبت الكنية على الاسم فصار المترجم لا يعرف إلا بها كأبي مدين الغوث وأبي عنان المريني مندرج المكنى يترجح لدي من بين التواريخ المختلف فيها اجتنابا لما يحدثه إيرادها مختلفة من تشويش في الأذهان. فأنا عندما أذكر مثلا أن ادريس الأول توفي عام 175 لا أجهل أن المؤرخين من ذكر أن وفاته كانت بعد ذلك بسنتين. وعندما أذكر أن ابراهيم الحصري توفي سنة 453 لا أجهل أن الضبي ذكر أن وفاته كانت سنة 413 واذ ترجح لدي فيما بعد غير ما أوردته في الأول أعود إليه قطعا.

وكل ماأصدره من أحكام. أو أدلي به من آراء أو أورده من أخبار احتمل مسؤولياته. وأنا مستعد للبرهنة على صحته عند الحوار والحجاج. أو التراجع عنه إن كانت براهين غيري وأدلته أقوى من براهيني وأدلتي. دون أن أجد في نفسي من ذلك حرجا. لأن المهم الأكبر هو خدمة الحقيقة المجردة وليس التعاظم والاستعلاء.

وقد اقتبس بعض العبارات من كلام غيري وأدرجها في سياق كلامي. فإن من النعوت والصفات. والأنباء والروايات. مالا يستطيع اللاحق أن يعبر عنه بغير ما عبر عليه السابق. ولكن مع الإشارة في الهوامش إلى المصادر المقتبس منها إقرارا بما للناس للناس.

وانني أعرف أن هذا العمل سيقابل بالتحبيذ والاستحسان من طرف قوم وبالنقد والطعن من طرف قوم آخرين. ولكن ما حيلتي ؟ إن الكامل لايمكن أن يكمل.

ومن استطاع أن يعمل خيرا مما عملت وأكمل منه فليفعل وأكن أول المصفقين له والمنوهين به.

وبعد فهذا (اعلام المغرب العربي) في طبعته الأولى أقدمه إلى طلاب المعرفة من مختلف البلدان واللغات والأديان. وأملي أن يفسح الله في العمر ويمد بالتوفيق والعون لإكمال ما نقص منه، وتصويب ما وقع من خطأ فيه. مع قوي الرجاء في أن لا يبخل على المطلعون والعارفون بتوجيهاتهم وإفاداتهم التي تستهدف تصويب الخطأ وتكميل النقص جلوا للحقيقة وخدمة للثقافة. وإبرازا لشتى محاسن ومفاخر الوطن المغربي العزيز.

جلالة الملك نصره الله يمنح الأستاذ المؤرخ الكبير محمد عبد الله عنان وسام الكفاءة الفكرية

● وشح جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله صدر الاستاذ العلامة المؤرخ الكبير السيد « محمد عبد الله عنان » بوسام الكفاءة الفكرية بعد انتهاء مأموريته بالخزانة الملكية .

ويعتبر هذا التقدير الملكي السامي لاحد كبار رجال الفكر والادب والتاريخ تنويها بالجهود المضنية والطويلة التي بذلها الاستاذ عنان فى حقل البحث والدراسة والتنقيب والتاليف ، وخاصة فيما يتصل بتاريخ المغرب والاندلس الاسلامية .

والاستاذ عنان عضو بمجمع اللغة العربية بالقاهرة وقد حصل منذ سنتين على الجائزة التقديرية للادب والتاريخ من مصر ، وعمل منذ سنوات في اعداد فهرس الخزانة الملكية الذي صدر جزؤه الاول منذ فترة وجيزة .

والاستاذ عنان من الرعيل الاول الذي ساهم مع الرواد والطلائع الاولى من فرسان الثقافة العربية الاسلامية في مصر في ارساء قواعد النهضة الادبية والفكرية . وقد كتب والف في موضوعات مختلفة في التاريخ والعقائد والمذاهب والآداب والاجتماع ، كما ترجم روائع من الفكر الانساني . وهو يحمل القلم منذ ثلثي القرن ●

مصادر مغربية في موسوعة

المواهب اللدنية

-2-

للأستاذ سعيد أعراب

4 ـ « شفاء الصدور ، في اعلام نبوة الرسول (84) » ـ لابي الربيع سليمان بن سبع السبتي ، الفقيه المحدث الحافظ ، (ت نحو 520 هـ) ـ تحدثت عنه في اعداد سابقة من هذه المجلة (85) .
وافاد كذلك من كتابه « الخصائص (86)

5 ـ « الشفا ، في التعريف بحقوق المصطفى (87) » ـ لابي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي ، الامام الحافظ ، محدث وقته ، (ت 544 هـ) (88) .

6 ـ « الروض الانف » (89) ـ في شرح سيرة ابن هشام ـ لابي القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي ، العالم اللغوي ، والمحدث الكبير ، استخرج كتابه هذا ـ كما يقول في المقدمة ـ من مائة وعشرين مصنفا ، (ت 581 هـ) (90) .

7 ـ « التنوير ، في مولد السراج المنير » (91) ـ لابي الخطاب عمر بن حسن بن دحية الكلبي ،

---

(84) ـ انظر المواهب بشرح الزرقاني ج 42/1 ، وج 228/4 ، وج 26/5 ، 215 ، 224 ، وج 93/6 ، 95 .

(85) انظر س 20 ، اعداد : 8 ـ 9 ـ 10 .

(86) ـ انظر المواهب 148/1 ، وج 244/5 ـ 245 .

(87) ـ انظر المواهب ج 19/1 ، 24 ، 158 ، 159 ، 179 ، 284 ، وج 57/2 ، 199 ، وج 119/3 ، 132 ، 140 ـ 141 ، 153 ، 159 ، 161 ، 167 ، 184 ، 187 ، 189 ، 365 ، وج 104/4 ، 222 ، 256 ـ 257 ، وج 2/5 ، وج 54/6 ، 90 111 ، 138 ، 179 ، 254 ، 290 ـ 291 ، 332 ، 335 ، وج 47/7 ، 78 ، 97 ، 103 ، 275 ، 327 ، وج 134/8 ، 297 ، 301 ، 323 ، 325 ، 342 ، 374 ، 377 .

(88) ـ خصه بالترجمة ولده محمد في كتابه « التعريف » والمقري في «ازهار الرياض » .

(89) ـ انظر المواهب 77/1 ، 146 ، 155 ، 168 ، 341 ، 377 ، 420 ، 435 وج 16/2 ، 54 ، 72 ، 82 ، وج 69/3 ، 153 ، 159 ، 173 ، وج 183/5 ، 186 وج 37/6 ، 123 ، وج 277/8 ، 313 .

(90) ـ انظر في ترجمته : بغية الملتمس : 354 ، والتكملة : 570 ، والوفيات 280/1 ، والاستقصا 187/1 .

(91) ـ انظر المواهب 80/1 ، 188 ، 308 وج 197/2 ، وج 132/3 ، وج 74/4 ، وج 37/6 ، 74

الفه للملك المظفر التركماني صاحب اربل ، فاجازه بالف دينار ، (ت 633 هـ) (92) .

8 ـ « الاكتفا ، في مغـازي الـرسـول والثلاثـة الخلفا » (93) ـ لابي الربيـع سليمـان بن موسى الكلاعي ، محدث الاندلس وبليغها ، توفي شهيدا سنة (634 هـ) (94) .

9 ـ « أعذب (95) الموارد ، واطيب الموالـد » ـ للسبتي ، هكذا جاءت نسبته في المواهب (96) ولم يذكر شارحه اسمه ولا تاريخ وفاته ، ولم اقـف على مـن اشـار اليه ، وهو عنـدي يحتمل احد اثنين :

السبتي أبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن يوسف بن غصن الانصاري ، مؤلف كتاب « معجزات النبي » ، (ت 723 هـ) (97) .

او ابي عبد الله محمد بن عبد الحق بن اسماعيل ابن احمد الانصاري ، له شرح على بـردة البوصيري (ت 838 هـ) (98) .

وصاحب المواهب لا يـذكـر السبتي هذا ، الا مقرونا بابن سبع ومعطوفا عليه ، مما يدل على انه متأخر عنه ، على ان الموالد لم تظهر بالمغرب الا في أواخر العصر الموحدي على عهد العزفيين (99) .

10 ـ تاليف في تمثال نعله (100) ـ صلى الله عليه وسلم ـ لابي اسحاق ابراهيم ابـن الـحـاج البلفيقي السلمي ، (ت 616 هـ) (101) .

11 ـ قصيدة في نعله (102) ـ صلى الله عليه وسلم ـ لابي بكر احمد بن عبد الله بن الحسين الانصاري القرطبي ، المدعو بحميد ، (ت 652 هـ) (103).

12 ـ قصيدة في غار حراء واسراره وفضائله (104)، لابي محمد عبد الله بن محمد المرجاني ، الامام القدوة ، احد الاعـلام في الفقـه والتصـوف ، (ت 699 هـ) (105) .

13 ـ قصيدة (106) ابي عبد الله محمد بن جابـر الضرير الاندلسي ـ نزيل حلب (ت 780 هـ) (107)

(92) ـ انظر صلة الصلة : 73 ، والتكملة رقم 1832 ،وفيات الاعيان 121/3 ، وعنوان الدراية : 159، والنفح 99/2 .
(93) ـ انظر المواهب 52/3 .
(94) ـ انظر في ترجمته : التكملة : 708 ، وقضـاةالاندلس : 119 .
(95) ـ ذكره تارة باسم (اعذب الموارد) ، وطوراباسم (اعظم الموارد) .
(96) ـ انظر المواهب ج 26/5 ، 249 .
(97) ـ انظر في ترجمته : طبقـات ابن الجـوزي47/2 ـ 48 ، والنفح 212/7 ـ 214 ، وايضاح المكنون 508/2 .
(98) ـ انظر معجم المؤلفين لكحالة ج 128/10 .
(99) ـ انظر ابن عذاري ، البيان المغرب ج 452/3 ـطبع المغرب ، وازهار الرياض ج 39/1 .
(100) ـ انظر المواهب بشرح الزرقاني 48/5 .
(101) ـ انظر في ترجمته التكملة 166/1 ، ونيـل الابتهاج 43،35 ، وازهار الرياض 105/4 ، 133 .
(102) ـ انظر المواهب 52/5 .
(103) ـ انظر في ترجمته : الزرقاني على المواهب 51/5 ـ 52 .
(104) ـ انظر المواهب 223/1 ـ 224 .
(105) ـ انظر في ترجمته كشف الظنـون : 1237 ، والزرقاني على المواهب 223/1 .
(106) ـ انظر المواهب 437/1 ـ 438 .
(107) ـ انظر في ترجمته : الدرر الكامـنـة 87/2 ، ونكت الهميان : 244 ، والوافي 157/2 ، والنفح 464/2 ـ 466 .

14 ـ شرح بردة (108) البوصيري ـ لابي عبد الله محمد بن مرزوق (الجد) (ت 781 هـ) (109) .

15 ـ شرح (110) البردة ـ لابي العباس القصار الازدي التونسي ، كان حيا بعد سنة (790 هـ) (111) .

ـ ومن المصادر التي اضافها في هذا الصدد ـ شارحه ابو عبد الله الزرقاني .

16 ـ « الدرر ، في اختصار المغازي والسير (112) » ـ لابي عمر يوسف بن عبد البر .

17 ـ « الاملاء المختصر ، في شرح غريب السير (113) » ـ لابي ذر الخشني (ت 604 هـ) (114).

18 ـ « الدر المنظم ، في مولد النبي المعظم » (115) ـ لابي العباس العزفي السبتي . (649 هـ)(116)

(د) ـ في اسماء الصحابة وسيرهم :

1 ـ « الاستيعاب » (117) ـ لابي عمر بن عبد البر .

2 ـ تذييله (118) ـ لابي عبد الله محمد بن فتحون ، (ت 520 هـ) (119) .

3 ـ « فضائل الصحابة » (120) ـ لابي الحسن بن سليمان بن حيدرة القرشي الطرابلسي ، الامام الحافظ الرحالة ، احد الاعلام الثقات (121) .

4 ـ « اقتباس الانوار ، والتماس الازهار ، في انساب الصحابة ، ورواة الآثار » (122) ـ لابي محمد الرشاطي ، المحدث الحجة ، (ت 542 هـ) (123).

ـ ومن المصادر التي اضافها الزرقاني في هذا الباب:

5 ـ « الغوامض والمبهمات » (124) ـ لابي القاسم بن بشكوال ، (ت 578 هـ) (125) .

(هـ) ـ في اسماء البلدان والامكنة :

« معجم ما استعجم من البقاع والاماكن » (126) ـ لابي عبيد عبد الله ابن عبد العزيز البكري ، العالم الاديب ، والمؤرخ النسابة ، (ت 487 هـ) (127) .

تطوان ـ سعيد اعراب

---

(108) ـ انظر المواهب 438/1 ، وج 155/3 ، 157 ، وج 8/6 ، وج 115/8 .
(109) ـ انظر في ترجمته : البستان : 184 ، وجذوة الاقتباس 141 ، وشجرة النور : 436 .
(110) ـ انظر المواهب ج 288/8 ،
(111) ـ انظر فهرسة الرصاع ص 140 ـ الحاشية رقم (1) .
(112) ـ انظر المواهب 76/1 ، 103 ، 154 ، 373 ، 393 ، 450 .
(113) ـ انظر المواهب 48/1 ، 101 ، 146 ، 416 ، 452 .
(114) ـ انظر في ترجمته الذخيرة السنية : 44 ، وزاد المسافر : 105 .
(115) ـ انظر شرح الزرقاني على المواهب ج 141/1 وج 123/3 .
(116) ـ انظر في ترجمته : ازهار الرياض 357/2 ، والنبوغ المغربي 160 .
(117) ـ انظر المواهب 446/1 ، 199 ، 388 ، 451 ، وج 32/2 ، 42 ، 62 ، 89 ، 221 ، وج 47/5 ، وج 38/7 .
(118) ـ انظر المواهب ج 15/2 .
(119) ـ انظر في ترجمته الصلة 547 .
(120) ـ انظر المواهب : 244/1 .
(121) ـ انظر في ترجمة الزرقاني على المواهب 244/1 ـ 245 .
(122) ـ انظر المواهب 288/8 .
(123) ـ انظر في ترجمته : معجم الصدفي رقم 200 ، ووفيات الاعيان 291/2 ـ 292 ، وتذكرة الحفاظ : 1307 ، والنفح 462/4 .
(124) ـ انظر شرح الزرقاني على المواهب ج 256/4 .
(125) ـ انظر في ترجمته : التكملة 54/1 ـ 60 ، والوفيات 215/1 ، ومعجم ابن الابار : 82 ـ 85 ، وتذكرة الحفاظ 128/4 ـ 129 .
(126) ـ انظر المواهب 95/2 .
(127) ـ انظر في ترجمته : 277 ـ 278 ، وبغية الوعاة 285 ، وكشف الظنون 1050 ، و 1980 ، وهدية العارفين 453/1 ، وايضاح المكنون 540/1 ، وج 2/ ص 396 .



شعر: الداعية الإسلامي
الشيخ محمد متولي الشعراوي

أريحي السماح والإيثار — لك ارث ياطيبة الأنوار

وجلال الجمال فيك عريق — لا حرمنا مافيه من أسرار

تجتلى عندك البصائر معنى — فوق طوق العيون والأبصار

ومن الحسن ما يضيق به الحين — .. وعن فاقد الهوى متوارى

قد حضنت الهدى حنونا فالقى — فيك اشعاعه عصا التسيار

هتف الحق في سماء الفيافي — أحن ياليل في ضميرك سارى

حضنت ركبة العناية فانساب — .. منيع الجناب كالاعصار

والذي حاطه الإله بعين — كان في غنية عن الاستار

قل لطلابه طلبتم عزيزا — يتهادى في قبضة الجبار

هل رأيتم فتى الفداء عليا — كيف يحتل قبلة الاخطار

ويرى الموت قد أطل عليه — كأشر الناب جائع الاقفار

لا يبالي به ويسخر هزءا — من مشيب قبل أسوداد العذار

كيف يرتاع والنبوة غذته — ... حديد المهند البتار

•••

ياوفاء الصديق في رحلة الحق (م) — سلام عليك ياخير جار

كنت درعا اقامة ومسيرا — ونصيرا يرجى لدى الاعسار

علم الله ما انطويت عليه — فجزاه امامة الابرار

وكفاه على الجزاء دليلا — ثاني اثنين إذهما في الغار

نغم الغار بالنبي طروبا — والصدى عازف على الأوتار

نغم الغار مرحبا بالهدى المحض — .. بلحن التكبير والاكبار

مرحبا بالحياة أرسلها الله — .. لدنيا تورطت في العثار

كم حسدنا حراء حين ترى الروح — .. أمينا يأتيك بالأنوار

فحراء وثور صار سواء — بهما أشفع لامة الاحجار

عبدونا ونحن أعبد لله — .. من القائمين بالاسحار

تخذوا صمتنا عليهم دليلا — فغدونا لهم وقود النار

قد تجنبوا جهلا كما قد تجنوه — .. على ابن مريم والحوارى

أنزلا منزلا كريما على الله — .. منيعا على أذى الكفار

فعلى مدخلى تقام خيوط — تتحدى عزائم الجرار

هي أوهى البيوت لكن سقفها — عزة الصلب قوة القهار

أنا عين وانتما النور فيها — وهو عنها كالهدب بالاشفار

وسيأتي الحمام يفرخ امنا — وسلاما يكون خير شعار

لاتراعى أسماء هيا إلينا — وأعيني على سماحة قارى

وأخطرى كاليقين يهزأ بالشك (م) — حياء من الدجى في خمار

خاتم الرسل لا أطيق وداعا — وعن المجتلى يعز اصطبارى

غير أني أرى المدينة ظمأى — فأروها طالعا ببل لوارى

أنا آثرتها على كفاء — وجزاء الايثار بالايثار

أطرق الغار خاشعا وسرى الهادي — .. حياة تدب بين القفار

فمشى الخير حيث يمشي وولى — كل عدم وطاح كل افتقار

وأتى أم معبد فتسامت — وهي من فكرة القرى في دوار

ويحها .. ويحها وويح كريم — حين تؤذيه صدمة الاعسار

قدمت شأنها بضرع بخيل — فإذا مسه فكالمدرار

وإذا الله كان عون نبي — فأزجر العقل عن حدود اقتدار

●●●

حرقت قلبها المدينة شوقا … عبقريا لطلعة المختار

أسرعي فاق فوق رحلك نور … ترتجيه مواكب الأنصار

رحمة للحبيب يرجو حبيبا … فيرى الدهر في أقل انتظار

حشدوا حشدهم فلما تجلى … كبر الحشد من جلال الوقار

مرحبا مرحبا بأكرم داع … وعلى الرحب ياجليل المزار

أنت بشرى عيسى ودعوة إبراهيم … .. جاءت سليلة الاطهار

أنت ياعزة الوجود خيار … من خيار مقطر من خيار

فاقض فيما لنا بما أنت قاض … ذاك حق الأنصار في كل دار

جليل الحق قوة وحجاجا … واضحا نهجه وضوح النهار

فدها الشرك مادهاك وخرت … جبهة الغي في سحيق القرار

•••

ذكرينا ياهجرة الحق ما قال … وكيف استهل خطو السفار

واملئي الناس عزة وطموحا … وأرينا روائع الاثار

إنما أنت عبرة وتأس … صيروها ضربا من الأخبار

أيقظي الشرق من سبات عميق … واحمليه إلى مدار المدار

فيه من حكم الكتاب ملاذ … فاقد حي يارؤوس فالزند وار

عليه الفداء حزما وعزما … فجنى النحل من أذى المشتار

علميه أن الحياة صراع … من سهافيه ذل في المضمار

علميه أن القوى ظلوم … كم يهادى كبارهم بالصغار

فقوى على الضلال مقيم … وقطيع من الضعاف يجارى

أيها المسلمون في أمم الأرض … أيرضى الإسلام ما هو جار ؟

كيف بالله نستقر نفوسا … والاشقاء بيننا في اشتجار

أنقول الإسلام ظلما وجورا … وفلسطين لم تعد من ديار

«إننا عائدون» تصرخ فينا … صرخة تستغيث معنى الشعار

دولة العلم والسياسات والحرب … .. ودنيا الهوى والاستعمار

كل دنيا تبنى على غير دين … فبناء على شفير هار

محمد متولي الشعراوي

الإنسان مادة!!

للدكتور ابراهيم دسوقي أباظة

الباحث في هذا الركن الركين الذى قامت عليه النظرية الماركسية أى المادية الجدلية لا بد مكتشف لحقيقة هامة طبعت الفكر الماركسي وتحكمت في اتجاهاته وهي النزعة العلمية التي سادت عصر ماركس ودفعت به في طموح مدمر إلى استخدام المنهجية العلمية التي غزت العلوم الحقيقية (الفيزياء ـ الكيمياء ـ الأحياء الخ...) لاكتشاف ما أسماه بالقوانين الطبيعية التي تحكم تطور المجتمعات البشرية. وبدأ تأثره بدارون في أكثر من موضع حتى يمكن الجزم بأنه نقل إلى نظرياته في الفلسفة والاقتصاد والاجتماع عددا من المفاهيم الأساسية المستمدة من علم الحيوان!

ويبدو تأثر ماركس بدارون في موضعين على الأقل:

أولا:

قوله بأن الكائنات الحية تتبع في تطورها طريقا حتميا لا مناص منه يترتب على ضغط البيئة الخارجية على الكائن الحي ومحاولة الكائن بالتالي تكييف حياته مع هذه البيئة ومن هنا تنقرض أعضاء أو وظائف معينة أثناء عملية التطور لعدم ملاءمتها للبيئة وتنمو بدلا منها أعضاء ووظائف جديدة أكثر منها ارتقاء وتعقيدا. غير أن الكائنات الحية وهذا هو الهام هنا لا إرادة لها في هذا التطور ولا حول إنما هو مفروض عليها من الخارج كقدر لا يدفع. فلا قبل لهذه الكائنات اذن في التحكم في درجة التطور ومداه ولا قدرة لها في تحويله عن مساره فالأمر في كل ذلك متروك للبيئة الخارجية «للطبيعة».

وقد طبق ماركس وأتباعه هذه النظرية تطبيقا كاملا على التطور الإجتماعي وزعموا أن ما يمكن استخلاصه من النتائج صحيح.

ثانيا:

النظرة المادية البحتة للانسان تلك النظرة التي تقترب به من الحيوان فتنكر عليه النوازع الروحية والمثل العليا وتحصره في محيط ضيق لا يتعدى مطالب الجسد ومدركات الحس.

حقيقي أن ماركس قد استحدث تغييرا فلسفيا عندما أخذ بمقلوب الديالكتيك عند هيجل وخرج منه

في النهاية بمفهوم المادية الجدلية غير أنه لم يؤمن إلا بالجانب المادى في الإنسان فالعقل عند ماركس ما هو إلا أداة مادية تعكس المؤثرات الخارجية ثم تتأثر بها ولكنه ليس في حد ذاته بالحقيقة الفعالة المؤثرة . «ان الافكار يبتدعها دماغ الإنسان وهذا الدماغ ليس إلا مادة دقيقة التركيب وهو جزء من الجسد يعكس مؤثرات العالم الخارجي».

ولعل أفضل ما يرد به على هذه الفكرة هو الحقيقة البديهية في أن الفكر عامل هام رئيسي في تغيير الواقع الإجتماعي ولكنه ليس محكوم دائما بهذا الواقع وليس مرتبطا به ارتباط السبب بالمسبب ولا خاضعا له خضوع التابع للمتبوع. فهذه الحتمية الآلية التي يؤكدها ماركس يرفضها العلم وتنفيها التجربة. فالنظريات والآراء والأنظمة السياسية ان هي إلا مجموعة أفكار قد تكون منبثقة عن فكرة كلية وقد لا تكون وقد تكون ناجمة عن واقع موجود أو تابعة عن شيء مجرد يراد جعله واقعا.

فإذا كانت منبثقة عن فكرة كلية فهي مستمدة من أفكار وبالتالي فقد نشأت عن فكر. وإن كانت غير منبثقة عن فكرة كلية فقد أوجدها الفكر من الواقع. وإن كانت صادرة عن واقع موجود فهي لم تستخلص منه وحده بل شاركت في إيجادها معة المعلومات الفكرية المسبقة. وإن كان الفكر متعلقا بشيء يراد إيجاده فإنها لم تنشأ عن واقع كائن بل عن فكر محض.

ويقطع في هذا أن البحث عن منشأ الآراء والنظريات والنظم السياسية والإجتماعية السائدة اليوم في الإتحاد السوفيتي (أى مايعرف عند ماركس بالابنية الفوقية) لا يمكن ان تكون في واقع حياة المجتمع السوفيتي المعاصر ولا في واقع حياة هذا المجتمع عندما اندلعت الثورة البلشفية إنما يكون في الأفكار الماركسية ذاتها وما تفرع عنها من مبادىء ونظريات.

ان هناك اقتصادا أساسيا يتشابه في كل الدول التي بلغت درجة واحدة من التقدم التكنولوجي فوسائل الإنتاج المستخدمة في الولايات المتحدة «الرأسمالية» هي ذاتها وسائل الإنتاج المستخدمة في الإتحاد السوفيتي «الإشتراكي» وعلى الرغم من ذلك - فإن استخدامها في الإتحاد السوفيتي لم يفرض عليه بالضرورة أن يكون رأسماليا بل أنه لم يبدأ في استخدام هذه الوسائل على نطاق واسع إلا بعد أن تحول إلى «الإشتراكية»...

فأسلوب الإنتاج إذن ليس بالقوة الجبرية الحتمية التي تشل حركة الإنسان وتخضعه لسلطانها القاهر. والدليل أن الإتحاد السوفيتي تصرف في شكل النظام الإقتصادى والإجتماعي (الابنية الفوقية) تصرفا حرا فرتب نظم الإنتاج والتوزيع والعمل على النحو الذى رسمه لنفسه ولم يكن هناك اجبار أو حتمية إزاء هذا الأسلوب الإنتاجي يرغمه على انتهاج طريق معين لا مناص منه. وبالمثل تصرفت دول أخرى إزاء ذات الوضعية تصرفا آخر. وكان هذا التصرف وذاك نابعا عن ادراك معين أو عقيدة معينة سابقة في وجودها على قيام التنظيم الإقتصادى مؤثرة في هذا التنظيم ومحددة لأساليبه وأهدافه...

ولا يقدح في هذا القول بأن الإدراك «أو العقيدة» هو بدوره نتيجة لعوامل اقتصادية سابقة عليه في كل من الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة لأن هذا لا ينفي الإختيار الحر والتصرف الارادى في أشكال التنظيم السائد في كل منهما

فالفكر عامل كبير في قيام الأنظمة والنظريات والآراء وان لم يكن العامل الوحيد واليه يسند الدور الأكبر

في تغيير كيان المجتمع بالنهوض به أو تعطيل نموه... وإليه يعود أمر تكييف العلاقات الإجتماعية وتحديد السلوك الإنساني إلى حد بعيد.

ومثال من واقع التاريخ العربي والإسلامي فيه الدليل كل الدليل على بطلان الزعم بأن واقع الافراد المادى هو الذى يحدد ادراكهم. فواقع العرب المادى يوم جاء الإسلام كان في تناقض كامل مع قيمه وتعاليمه. وجاءت قيم الإسلام وتعاليمه لتحدد لهم حياتهم المادية وسلوك معيشتهم كذلك واقع البلاد التي دخلها الإسلام كان هو الآخر في تناقض كامل مع قيم الإسلام وتعاليمه وعلى الرغم من ذلك طبقت هذه القيم والتعاليم على مجتمعات هذه البلاد فقلبتها كلها وجعلت منها مجتمعا واحدا متماسكا يحكمه نظام واحد وتسوده عقيدة واحدة هو المجتمع الإسلامي.

ففي هذا المثال المحسوس يتضح كيف أن العقيدة هي التي أثرت في واقع الحياة المادية فغيرت منه أى أن هذه العقيدة هي التي حددت للناس معيشتهم وطرائق سلوكهم إلى درجة كبيرة سواء عندما نزلت هذه العقيدة مع قيام الرسالة المحمدية في الجزيرة العربية أو حين حملت ونقلت إلى خارجها عند انتشار الإسلام إلى أطراف الأرض بالفتوحات أو الدعوة.

إن القيم الاخلاقية مثلا ليست فقط انعكاسا للوضعية الإقتصادية كما يقول ماركس وأتباعه بل أن لها مقياسا ثابتا في كل زمان ومكان. وجاءت الأديان لتؤكد هذا المقياس وترسم حدوده في وقت كان الواقع الإقتصادى للمجتمعات وخاصة المجتمع العربى الجاهلي يبيح الغزو والقتل والإغتصاب والإعتداء على أموال الغير واهدار حقوق المرأة... الخ.

ومثال بسيط يقدم الدليل على أن القيم الأخلاقية ليست بالضرورة انعكاسا للواقع الإقتصادى... فالصدق يعتبر قيمة أبدية لا يتغير جوهرها بتغير العصور... ولا يتبدل فحواها بتبدل المراحل.. فإذا رأيت إنسانا وادعيت أنك لم تراه... وإذا سمعت إنسانا وادعيت أنك لم تسمعه... وإذا لمست جدا وادعيت أنك لم تلمسه... فأنت في كل الأحوال مجانب للصدق... ومرتكب للكذب..... سواء كنت في عصر الفراعنة أو في عصر الرومان... أو في العصور الوسطى... أو في العصر الراهن...

.. تلك الأمور وغيرها تعتبر اليوم من البداهة بحيث لا تحتمل النقاش والجدل فالإنسان يولد ومعه على الأقل ميلان مستقلان عن واقع الحياة المادية ، حب الحياة والرغبة الجنسية عندما يحل موعدها المحدود. وهاتان النزعتان على الأقل لا تنشأن عن العوامل الاقتصادية ظالمة كانت هذه العوامل أو غير ظالمة. محققة لأطماع الاقطاع أم لشهوات البرجوازية.. فكل مخلوق يوجد في هذا الكون تحت ظل أى نظام اجتماعي يتشبث بأهداب الحياة ولا يتركها إلا مكرها وتدركه الرغبة الجنسية ولا يمسك عنها إلا جاهدا وكل ما يمكن أن يصنعه الواقع المادى بظروفه الإقتصادية هو (تكييف) الصورة التي يحيا بها الإنسان أو ملاءمتها فيرفعه إلى حياة القصور أو يهبط به إلى عيش الكهوف. والصورة التي يقضي بها حاجته الجنسية فيقضيها في الطريق العام أو البيت أو الغابة. ولكن هذا الواقع المادى ليس بمنشىء لهذه الرغبة أو تلك فهي كلها من أصل نابع عن النفس فقط.

هذه الحقيقة من الوضوح والبساطة بحيث يستحيل انكارها.. ولكن ماركس وأتباعه استطاعوا مواجهتها والخروج بتفسير ملائم ينقذ النظرية من تكذيب الواقع فذهبوا إلى التسليم بأن الغرائز تستقل في وجودها عن البناء التحتي لأنها من العناصر اللاصقة بجوهر الإنسان وبالتالي لا يمكن لها أن تتغير إلا بتغير هذا الجوهر. وبذلك يستثني المراكسة حب البقاء والرغبة الجنسية من الخضوع لقانون المادية الجدلية.

وهذا حق... ولكن أريد به باطل !

فهذا الإستثناء قصد به انقاذ النظرية من المأزق الذي ترددت فيه عندما ردت كل ما هو معنوى إلى واقع الحياة المادية ثم اكتشف أنصارها أن هناك ميولا غريزيـــة فـي الإنسان لا تستقيم وهذا التخريج فأعملوا اجتهادهم لاستثناء بعض الغرائز من الخضوع لقانون المادية الجدلية.. ولكن اجتهادهم هذا أسقطهم في مأزق جديد.. أشد حرجا. وأفدح خطرا.

فمن المعلوم أن إلغاء الملكية الفردية تعتبر من الأركان الأساسية للنظرية الماركسية وهنا يثور التساؤل : هل غريزة حب التملك تعتبر بدورها مستقلة في قيامها عن البناء التحتي.. أم هي لاحقة بهذا البناء . وبمعنى آخر هل هي غريزة ترتبط بجوهر الإنسان أم بأنماطه السلوكية التي تتشكل وفقا للواقع الإجتماعي.

يجيب المراكسة هنا أيضا بغير تردد بقولهم أن حب التملك ليس الغريزة اللاحقة بجوهر الإنسان ولكنه من أنماط البناء الفوقي التي تتبع الواقع المادى للمجتمع وجودا وعدما.

يا للعجـــب ! !

حب البقاء غريـــزة...

والرغبة الجنسية غريزة....

وحب التملك والاقتناء ليس بالغريزة ولكنه سلوك ينبثق من الواقع المادى للمجتمع ! !

ونحن نسأل المراكسة إن كان حب التملك والإقتناء... حب الإستحواذ على الأشياء والإستئثار بها قد تغير في الإنسان منذ بدء الخليقة. أم أنه ظل ثابت الجوهر علـى الرغم من التغيرات والتقلبات التي طرأت على الواقع المادى للمجتمعات البشرية.

هل كان طفل العصور القديمة أقل نزوعا إلى الأثرة والتملك من طفل العصور الوسطى أو الحديثة ؟

إن مؤدى النظرية الماركسية هو اختلاف النزعة السلوكية تجاه الاقتناء والتملك باختلاف العصور والنظم.

فسلوك طفل العصر الإقتصادى القديم (حيث يسود نظام الأموال المباحة والملكية المشاعة) يختلف عن سلوك طفل العصر الإقتصادى الحديث (حيث تسود النظم الرأسمالية والملكية الفردية).

وهذه النتيجة كما يبدو غريبة كل الغرابة عن الواقع التاريخي والشواهد الملموسة.

فحب الإقتناء والتملك أصل من الأصول النفسية التي تقوم على حب الذات قبل حب الغير... وحب إيثار هذه الذات بالأموال والأشياء ان هو الا اشباع لجانب غريزى في الإنسان لا يتبدل بتبدل العصور ولا يتغير بتغير الأزمان. فالطفل السوفيتي الذى تربى في نظام يلغي الملكية الفردية ليس أقل نزوعا إلى الإستئثار والتملك من الطفل الأمريكي الذى تربى في نظام يبيح الملكية الفردية ويقدسها...

لقد استطاع النظام السوفيتي منذ أكثر من نصف قرن من الزمان الغاء حق الملكية... ولكنه لم يستطع منذ أكثر من نصف قرن من الزمان الغاء غريزة التملك (أو حب التملك) من نفوس المواطنين السوفيت.. وما التهافت على الملكية والسعيُ إلى اقتناء الذهب... وانتشار السوق السوداء إلا من الظواهر الدالة على مدى تمكن هذه الغريزة من نفوس السوفيت على الرغم من عظم الضربات التي أنزلتها الدولة بالملكية والملاك.

ومرة أخرى يخلط المراكسة بين النشوء والتكيف... فحد اليقين الذى لا مراء فيه أن غريزة حب الإقتناء والتملك أصل من الأصول النفسية التي ترتبط بجوهر الإنسان. وهي بهذا الوصف مستقلة في وجودها عن الواقع الإقتصادى ولا تخضع بحال لمراحل تطوره وكل ما يفعله

هذا الواقع هو تكييف هذه الغريزة وتشكيلها بما يتلاءم وظروف كل مرحلة ولكنه لا يخلقها بحال من العدم.

هذا هو الخلط الذي يسقط فيه المراكسة... عندما تصوروا أن غريزة حب التملك بناء فوقي يتغير بتغير الواقع المادي. ومع كل ذلك فهم لا يتحرجون من هذا الخلط ولا يستحون... لأن الحياء عندهم بناء فوقي ! !



للشاعر محمد الطاهر التوزاني

نورُكَ النبعُ والهُدَى والرُّواءُ أنتَ للكونِ فخرُه والثناءُ

أنتَ سِرُّ الأنامِ، مفخرةُ الأرضِ، بها الفجرُ صادحٌ والمساءُ

من عيونِ الكمالِ، أخرجكَ الدهرُ، كما أنتَ، رحمةٌ وشفاءُ

يا رسولَ الوجودِ، يا رائدَ الخَلْقِ، لِمَا فيهِ خيرُهُمْ والهناءُ

يومُكَ النائرُ الجليلُ خُلودٌ تتباهَى بقُدسِهِ الأرجاءُ

عالميُّ الشعورِ، يكتملُ اللحنُ على لفظِهِ، ويحلو الغناءُ

يا حميدَ السماءِ، يا أحمدَ الأرضِ، لكَ الحبُّ كاملٌ والولاءُ

ما لِشوقٍ بقلبِنا أزليٍّ ضعفُ بدءٍ، وما لَهُ إنْهاءُ

عبد الله كنون
وأثره في الثقافة المغربية
-2-

للأستاذ مصطفى الشليح

لوحات من حياة عبد الله كنون

إذا كان المحتل الفرنسي قد سعى - منذ البدء - إلى توجيه أعتى ضرباته إلى مدينة فاس علما منه بأنها تمثل الكعبة التي يقصدها طلاب المعرفة والعرفان من مختلف بلدان العالم ليستكملوا تكوينهم الثقافي والعلمي بجامعتها القرويين، فهي المدرسة التي تخرج العلماء الذين يلقنون للشعب الغارق حتى أذنيه في الأمية مبادىء الإسلام، ويوضحون له الغامض منه، ويرفعون اللبس عن المشكل، ويفصلون المجمل (1)، فقرر أن يدخل إصلاحات وتعديلات على برامجها كبحا لكل محاولة تستهدف محاربة الدخيل والرد على مناوراته التي تتغيا تهميش المواطن المغربي، ومسخ شخصيته، وتشويهها لاقتلاعها من جذورها حتى يتمكن من ابعاد هذا المواطن عن تربته الحقيقية، فإن مدينة فاس قد أنجبت رعيلا مهما من الرجال المشبعين بالتعصب الوطني، العاملين مشعل الثورة والتصدي والممتلئين بالغيرة والتحدي، والساعين إلى تحرير وطنهم وتخليصه من براثن المحتل.

ومن بين هؤلاء، كان عبد الله كنون.

لقد ولد يوم 30 شعبان 1326 هـ الموافق لشتنبر 1908 في بيت علم وتقوى وصلاح، فجده هو محمد كنون الذي كان من أول الداعين إلى السلفية لا يخاف في الله لومة لائم، يجأر بالحق، وينادي بالإسلام الحق المنزه عن الترهات والأباطيل، ويحارب البدع والشرك بالله، فيهدي الضال، ويثبت الشاك، ويطمئن المتردد ويزرع بذور الثقة في قلب المنحرف فيعود به إلى الطريق القويم. وأما أبوه فقد كان مترسما لخطى محمد كنون.

من هذا الفيض خلق عبد الله كنون، وفي هذا الجو العلمي سوف يترعرع وينشأ ليكمل ما بدأه الأب والجد، وليرسم مساره على هدي منهما.

إلا أن مدة إقامته بمدينة فاس لم تطل، إذ أنه سيغادرها بصحبة أسرته وعمره لا يتجاوز أربع سنوات، إذ أن الفرنسيين ما ان وطئت أقدامهم المغرب حتى اتجهوا بكليتهم نحو القرويين يبتغون إدخال «إصلاحات» مزعومة

×) اعتمدنا في هذه الترجمة على الحوار الذي أجريناه مع عبد الله كنون، وهو خاص بهذه الدراسة.

1) - انظر مدخل هذه الدراسة.

عليها فارسلوا خلف علمائها لعقد اجتماع بهم. غير أن رد فعل هؤلاء العلماء كان هو الصمت المطبق ولما انفض الإجتماع كان عزم الكثير منهم قد قر على مغادرة فاس حتى لا يصبحوا ألاعيب في يد المستعمر يسيرها كما يشاء لخدمة مصالحه وأهوائه.

ومن بين أولئك العلماء كان والد عبد الله كنون، فخرج بعائلته من فاس ميمما وجهه شمال المغرب ليعبر البحر نحو المشرق. الا أن قيام الحرب العالمية الأولى، واستشراءها حالا دون ذلك. فكان أن اتخذ من طنجة سكنى واقامة.

وفي طنجة نشأ عبد الله كنون، وتلقى علمه وثقافته، ولا يفهم من ذلك أنه اختلف إلى مدرسة. فقد كان أبوه من العلماء المبرزين الذين يعقدون حلقاتهم العلمية في المساجد. فكان يحضر ثلاثة دروس على يد والده، وثلاثة أخرى على غيره من العلماء كعبد الله السنوسي والسميحي وأحمد مصباح وعبد السلام غازى الذي درسه الخزرجية (2). ويعترف كنون أنه خاطب الفقيه عبد السلام غازي بالشعر طالبا منه أن يجلو له أسرار هذه «الخزرجية». فأجابه «إنك متمكن من العروض. فما الذي تريده من هذه الدراسة ؟» فرد عليه : «إنما أبغي دراستها زيادة في العلم» (3).

ويبدو أن الدروس التي كانت تحظى بالأولية عند عبد الله كنون هي دروس الفقه والحديث والعربية (أي النحو واللغة) لأن أباه العالم كان يريد أن يجعل منه عالما مثله. وهو (لا يستكف أن يصرح أنه أعد إعدادا ليكون من هؤلاء الفقهاء الذين يحكمون ويفتون. وهؤلاء المحدثين الذين يسندون ويروون) (4). فقد حفظ القرآن، وتفقه في الحديث، وثقف ثقافة عربية تستمد مقوماتها من التراث العربي.

إلا أن ميله للأدب كان جارفا. فعكف على أمهات الكتب العربية يطالعها ويحاكي أساليبها ومضى يقرأ عيون الشعر العربي ويمعن النظر فكان لا يطل على قصيدة إلا علقت بخلده، وحفظها من أول وهلة حتى لقد قال له أبوه مرة : «لو كنت تحفظ من الحديث مقدار حفظك من الشعر لكنت محدث عصرك» (5)، ويبرز عبد الله كنون انصرافه إلى الأدب بأن (العوامل المختلفة، وما عالجناه منذ فجر النهضة التعليمية بهذا الوطن العزيز من التمهيد والتمكين للغة العربية، وغير ذلك من البواعث والأسباب هي التي جعلت هذا الفقيه المحدث ينصرف عن اختصاصه، ويتجه هذا الإتجاه) (6).

لقد كان عبد الله كنون يحضر ستة مجالس علمية في اليوم الواحد، ويقرأ كتابين. عن طريق هذه القراءة المداومة تمكن من فتح عينيه على الثقافة الحديثة فقرأ لطه حسين والعقاد والمازني...... ودرس مترجمات روائع الأدب الغربي فعرف أناتول فرانس وغوته وغيرهما.

ولتوسيع آفاقه، وتنمية معلوماته، وتمطيط مداركه في هذا المعنى كان ينتقي أصدقاءه من ذوي التعليم العصري، مستغنيا عن صداقة الطلبة الذين يدرسون معه لأنهم ما كانوا يطلبون علما. بل كان هدفهم هو أن يتخرجوا قضاة أو عدولا. علاوة على أن معظمهم كان من البادية. وكان يستعجل العودة إليها لتلقي المناصب الشرعية.

---

2) ـ انظر حديث عبد الله كنون عنها وعن صاحبها ضياء الدين الخزرجي السبتي في النبوغ جـ 1 ص 128.

3) ـ من حديث أجريناه معه.

4) مقدمة خل وبقل ص 3.

5) ـ من حديث أجريناه معه.

6) مقدمة خل وبقل ص 4.

ويروي عبد الله كنون أنه كا ينبهر من محدودية معرفة أصدقائه «ذوي التعليم العصري» عندما يناقشهم حول كتاب غربيين. ويستغرب كيف أنهم يجهلونه وبناء على ذلك تولد لديه اقتناع «رهيب وغريب» ويتجلى في أنه يمكن الإكتفاء بلغة واحدة والإنكباب على دراسة المترجمات لتحصل الفائدة. وهو تخريج لا نود أن نناقشه. بل نشير فقط إلا أنه يحمل في ثناياه تسربات قوية من التعصب الشديد للغة العربية.

وليس معنى ذلك أنه كان متغاضيا عن اللغات الأجنبية. فقد تعلم الفرنسية والإسبانية عن طريق أساتذة خصوصيين. وبواسطة التبادل حيث كان عبد الله كنون يلقن لأصدقائه «ذوي التعليم العصري» أسرار العربية مقابل أن يعلموه اللغة الفرنسية أما الإسبانية فقد تعلمها بحكم التواصل الجغرافي المستحكم بين شمال المغرب واسبانيا وبحكم أنه زار مرات عديدة ذلك البلد.

ونشير إلى أن عبد الله كنون سافر مرتين - وهو دون العشرين - من عمره إلى الرباط. وحضر مجالس العلامة أبي شعيب الحسني. كما أنه كان يستبد به ولوع عظيم للسفر الى فاس والدراسة بالقرويين. لكن والده منعه وأرغمه على البقاء بطنجة ليظل في كنفه وتحت رعايته يهديه. ويقوم أخطاءه. ويرشده إلى الطريق اللاحب. ويمده بالعلم الذي هو محتاج إليه.

وبالإضافة إلى ذلك استبد به مرة الشوق للسفر إلى مصر للدراسة بها لأن معظم أصدقائه رحلوا إليها. ويحكي عبد الله كنون أنه روى القصة للأستاذ رشيد عبد المطلب (من مصر) فأجابه : (لقد كان والدك من الأولياء. لأن الذين أثاروا فيك حماس الذهاب إلى مصر درسوا وعادوا. ولكن الرجل الذي هو عضو في المجمع اللغوي أنت .... والذي هو عضو في مجمع البحوث الإسلامية أنت ... والذي هو عضو في المجمعين العراقي والسوري أنت...) (7).

هذه هي الخطوط العريضة التي تبلور نشأة عبد الله كنون. والينابيع العلمية التي استمد منها مكوناته الثقافية.

أما عن جهاده ضد المستعمر فقد اتخذ اشكالا عديدة. منها أنه أسس سنة 1936 مدرسة ابتدائية عمل فيها على تدريس أبناء الشعب لغتهم العربية التي كانت فرنسا تحاول جاهدة محوها واجتثاثها. وكانت تتوفر على عشر حجرات دراسية وبعض المرافق التربوية والدينية. وقد سلمها عبد الله كنون إلى وزارة التربية الوطنية بتاريخ 11 أكتوبر 1978 حيث تم إدماجها في سلك التعليم العمومي بالتاريخ المذكور.

والغريب في الأمر أن هذه المدرسة التي كان التعليم بها شبه مجاني مطالبة من قبل المصالح المالية التابعة لوزارة المالية بأداء الضرائب الخاصة بالمباني والأرباح وغيرها (8).

ونشير إلى أن هذه المدرسة الكنونية تدخل في إطار المدارس الحرة التي كانت تعمل في الخفاء على محاربة المستعمر بالمحافظة على الدين. وعلى اللغة العربية لإثبات أصالة الشخصية المغربية. وصونها من السقوط في شرك الفرنسية والتغريب والاستلاب.

أما عن المشاركة الفعلية للحركة الوطنية فقد انطلق كنون فيها منذ سنة 1926 حين تأسست بالرباط جمعية سميت باسم (الرابطة المغربية). واتخذت لنفسها اسما مستعارا هو (أنصار الحقيقة). وكان تأسيسها يوم 22 محرم 1345 الموافق ل 2 غشت 1926. وقد تأسس لها فرع في تطوان كونه الحاج عبد السلام بنونة. وفرع في طنجة. ومن أعضائه عبد الله كنون ومحمد الحداد ومحمد بودرقة.

---

7) من حديث أجريناه معه.

8) انظر مراسلة مراسل التعليم (ابي ايمان) بطنجة في جريدة العلم 1 فبراير 1980 ص 4

ويروي عبد الله كنون أنه في انطلاقة الحركة الوطنية بدأ أقطاب تلك الحركة يسمعون عن أخوانهم في المدن الأخرى. إذ لم يعد الصمت مسدلا حجابه الثخين. فبدأ كنون يسمع عن علال الفاسي بفاس. والمكي الناصري وأبي بكر القادري بسلا...

ونشير إلى أنه عقب المؤامرة التي دبرها المحتل الفرنسي لابعاد المغفور له محمد الخامس عن عرشه سنة 1953 غادر عبد الله كنون طنجة إلى تطوان احتجاجا على المؤامرة الفرنسية. وحتى لا يشارك في البيعة للذي أقاموه مكانه (ابن عرفة).

وفي تطوان شارك في الحكومة التي حملت لواء الكفاح والثورة ومناهضة المستعمر. فكان وزيرا للعدل سنة 1954. ولكنه لم يلبث بعد حيازة المغرب استقلاله وعودة الملك من المنفى أن قدم استقالته وعاد إلى طنجة ليولي منصب عاملها فترة من الزمن.

وقد اقترن هذا النشاط الجهادي بجهاد آخر على الساحة الثقافية. فألف عبد الله كنون كتابه (النبوغ المغربي في الأدب العربي) ليواجه الهيمنة الإستعمارية التي كانت ترمي إلى خنق الثقافة المغربية. والسخرية من التاريخ المغربي. والسعي إلى تدجين منابره العلمية لتخرج أفواجا من ذوي الشواهد «يعملون في الإطار الذي اختاره المستعمر. ويخدمون مصالحه. ويمررون طروحاته. فكان أن أصدر المستعمر قرارا عسكريا بمنع تداول النبوغ (بالمنطقة الفرنسية من المغرب الأقصى) (9). وكان أن اعتبر الكتاب (عملا وطنيا فوق كونه عملا أدبيا) على حد تعبير عبد الله كنون (10)

كما أن عبد الله كنون كان يكتب بين الفينة والأخرى مقالات سياسية في جريدة الأنوار بامضاء (أبو الوفاء). وتولى إدارة المعهد الخليفي للباحثين الذي أسس في تطوان سنة 1326 هـ الموافق لـ 1938 م (وعوض فيما بعد باسم محمد مولاي الحسن) وأحدث به نهضة كبرى. فأنشأ مسابقات لتأليف الكتب. والبحوث في الموضوعات التاريخية الهامة. فحقق بذلك عملا مهما ساهم في تأصيل جذور الحركة الفكرية. وأمد الثقافة المغربية باشعاعات وضيئة رسخت دعائمها وأركانها.

وعلاوة على ذلك فقد مضى ينشر انتاجاته في الصحف والمجلات الشرقية فكتب في الرسالة لأحمد حسن الزيات. ونشر في الأهرام مقالات كثيرة.

وكان يحبر مقالات نقدية لبعض الكتب التي تصدر في المشرق. فانتقد طه حسين وابراهيم الأبياري وزكي مبارك وشوقي ضيف وأمين الخولي وكان في نقده ينزع إلى التحقيق والجانب اللغوي مستعينا بالدراسات الإسلامية التي فقهها وتمكن منها على تتبع هفواتهم. وتحصيل عثراتهم.

أما عن علاقة عبد الله كنون بالصحافة فإننا نشير إلى أنه عمل في الأربعينيات رئيسا لمجلة لسان الدين. وقد كان ينشر بها مقالات أدبية وعلمية جد هامة. ويعمل حاليا مديرا لجريدة الميثاق. وهي (صحيفة إسلامية للدعوة والتجديد تصدرها رابطة علماء المغرب) الذي يشغل عبد الله كنون منصب أمينها العام منذ ستة عشرا عاما.

ونشير إلى أن عبد الله عضو في مجامع عديدة نذكر منها المجمع اللغوي بالقاهرة. والمجمعين اللغويين العراقي والسوري. ومجمع الأزهر. ورابطة العالم الإسلامي ورابطة العلماء المغاربة.

كما أنه اختير عضوا في الأكاديمية الملكية المغربية التي أسست في أبريل 1980. إلى جانب عدد كبير من مفكري العالم وأدبائه.

---

9 - 10 انظر النبوغ ص 10 جـ 1.

وقبل أن نعرض لمختلف الجوانب التي يتميز بها عبد الله كنون على المستوى الفكري نشير الى أنه يعمل بهمة دراكة في سبيل نصرة الإسلام، والرد على الذين يحاولون تشويهه والحط منه (11) سواء عن طريق المقالات التي ينشرها بصفة مداومة في مجلة «دعوة الحق» المغربية، أو بواسطة المؤتمرات الإسلامية التي يدعى اليها.

وقد كان آخر عمل قام به كنون في هذا المنحى (12) هو مرافقته في بعثة للعلماء مع جلالة الملك عندما زار قداسة البابا في الفاتيكان لدرس مسألة القدس، والتسلط الصهيوني عليها.

وهذا الاهتمام بفلسطين يواكب عند كنون لاهتمامه بالدين والمنافحة عنها بكل ما أوتي من جهد، وهو ملتزم في موقفه من فلسطين. وكتابه «معارك» تمنحه تأشيرة الدخول إلى المعركة.

انه رجل ملتزم، والتزامه ينطلق من الإسلام ويعود اليه.

الخطوط الكبرى لأعمال عبد الله كنون

1 ـ **الشاعر** : ويتميز بأشعار تستمد جذورها من المتن الشعري العربي القديم وتمتح مكوناتها من الروح الجديدة للسلفية. وتطغى على فضائها الروح القرآنية سواء كانت ظاهرة أو كامنة له ديوان شعر منشور سنة 1966 تحت عنوان «لوحات شعرية» (13).

2 ـ **المؤرخ** : ويأخذ هذا الاتجاه طابعين يتمثل أولهما في مساهمة عبد الله كنون في بعث التراث الأدبي المغربي عن طريق نشر مجهوله، واستخراج مطويه تحدوه في ذلك رغبة لاهبة في إبراز «نبوغ» هذا الأدب في دائرة الأدب العربي. فكتب «النبوغ المغربي في الأدب العربي» ووضعه بسلسلة «المشاهير» ويتجلى ثانيهما في أنه عمل عمل على كتابة تاريخ المغرب السياسي.

3 ـ **الناقد** : ويتبلور هذا الخط في عدة أعمال نقدية قام بها كنون، وضمنها عددا كبيرا من كتبه نذكر منها : «التعاشيب» و «خل وبقل» و «واحة الفكر» و «أحاديث في الأدب المغربي الحديث»... الخ. وان السمة الطاغية على نقده هي التعصب الشديد للقديم، وعدم الانفلات عنه قيد أنملة، وتنسج أحكامه النقدية على منوال القدامى ولا سيما في الشعر.

4 ـ **المحقق** : وقد بذل جهدا عظيما في هذا المضمار، فحقق كتبا كثيرة، نذكر منها ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ تحقيقه لديوان يوسف الثالث ملك غرناطة.. الخ. كما أن له مقالات كثيرة تنحو هذا المنحنى خاصة فيما يتعلق بالكتب المنسوبة لغير مؤلفيها (14). وبالإضافة إلى ذلك فإن عبد الله كنون يتدخل كمحقق في أي عمل أدبي يقوم به.

5 ـ **اللغوي** : ويتضح ذلك في بعض المقالات التي يضمنها كتبه مثل «عاميتنا والمعجم» (15) ومناقشة مسألة (المعري) وهل تكتب بالفتح أو بالضم (16) . وحري بنا

---

11) انظر كتابه : الرد على كتيب، هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ؟

12) يعد هذا العمل في أبريل 1980 زمن كتابة هذه الدراسة.

13) (14) انظر تحليلنا له في متن هذا البحث.

14) انظر خل وبقل ص 109.

15) انظر خل وبقل ص 59.

16) انظر خل وبقل ص 115.

أن نشير إلى أن عبد الله كنون يتدخل كلغوي في العملية النقدية ليدلي بالقول الفصل (17).

8 ـ السياسي : وله مواقف شجاعة من بعض القضايا كقضية الصحراء المغربية، وقضية فلسطين المحتلة. وقد ضمن تلك الآراء كتابه «معارك». وتبرز أيضا في الافتتاحيات التي تقدمها جريدة «الميثاق» التي يشغل منصب مديرها.

9 ـ العالم الإسلامي : ومقالاته في هذا الصدد منشورة ومشهورة. ويحيل بها عدد كبير من كتبه ومقالاته المنشورة بمجلة «دعوة الحق» المغربية. بالإضافة إلى محاضراته التي يلقيها سنويا في إطار الدروس الحسنية في كل رمضان.

شهـــــادات

قال في عبد الله كنون محمد بن العباس القباج (18)

(من خيرة شباب الأمة المغربية، ومن دعاة الفضيلة، وأنصار الهداية الإسلامية الذين تربوا تربية صالحة لم يشبها شيء من ادران المدنية الكاذبة وفساد التقليد. يمتاز بالذكاء الفطري ورقة الطبع وكرامة الخلق وصفاء الضمير، وكل من يقرأ نفثاته السحرية وشعره الحزين يؤمن أنه صادر عن قلب متألم وقلم مكلوم).

وقال فيه أنور الجندي (19).

(والأستاذ العلامة عبد الله كنون اسم لامع في المشرق والمغرب معا، وله في المشرق مكانة كبرى فقد طوف به. واتصل بمعاهده وأعلامه ومفكريه. وانتسب إلى مجمعيه العظيمين في دمشق والقاهرة. وطبع مؤلفاته في بيروت. وهو ما يزال منذ أكثر من ثلاثين عاما يساهم مساهمة فعالة في نشر الثقافة العربية على نحو رصين، قوامه الفهم الصادق، والتقدير العميق لقضايا الأحياء والترجمة والنقل والاقتباس من الفكر الإنساني على قاعدة مبسوطة من الثقافة العربية الأساسية).

وقال فيه وحيد الدين بهاء الدين (20)

(إذا كان للعلماء والباحثون على امتداد الوطن العربي، يعرفون بسبب من تعصبهم للمذاهب السياسية والدينية المتصارعة، فإن للعلامة عبد الله كنون قسطا ظاهرا في احياء التراث العربي الإسلامي من تحقيق المخطوطات الشعرية على منهج علمي أصيل، وتقويم صيغ الشعر القديمة والحديثة، وتحديد ملامح الشعراء ومنازلهم، إلى جانب رصد حركات الإصلاح والتجديد والثقافة هنا وهناك، تعليلا وتحليلا...)

ـ يتبع ـ

17) انظر خل وبقل ص 120.

18) محمد بن العباس القباج ، الأدب العربي في المغرب الأقصى جـ 2 ص 36.

19) أنور الجندي ، مفكرون وأدباء من خلال آثارهم ص 140.

20) وحيد الدين بهاء الدين ، عبد الله كنون شاعرا ـ مجلة المناهل عدد 6 ص 418.

في بزوغ
القرن الخامس عشر الهجري

للأستاذ محمد بن محمد العليمي

يطالعنا قرن جديد من الدهر ، ... ونحن على أبواب عهد من البشر ،
وفاتت قرون في التخلف والاسى ، ... وفي الجهل والتضليل والظلم والجور
وقد سنحت للمستفيدين فرصة ... لكي يسيروا الاغوار من جوهر الامر
اما آن ان نرعى حساب نفوسنا ... على المنهج المرسوم للسعي والسير ؟
فتنهضنا فيها حياة جديدة ، ... تواكب ما نرجوه في قرننا الهجري
فهل في مجال الغرب نلقي مرادنا ، ... وفيه صنوف للتهتك والهجر ؟
وهل في اتجاه الشرق يسمو سلوكنا ، ... وفيه من التحريف مفسدة العصر ؟
كلا المنهجين استأثرا باهتمامنا ، ... كلاهما العنوان للمذهب الثوري
ولكن دين الله اسمى مكانة ، ... ففيه لنا حفظ من الناب والظفر
كفانا افتتانا بالدخيل ورهطه ، ... فغايته القصوى النداء الى الكفر
وايماننا فيه الحصانة والهدى ، ... فلا نلتفت قطعا لزيد ولا عمرو
وفي ديننا الاسلام ، انصع حجة ... على العلم والايمان والعدل والطهر
حملنا به في الكون مشعل امة ... تبشر بالفوز المبين مع النصر
وحين تباعدنا عن الحق مسنا ... فساد ؛ فعشنا في المتاهة والذعر
ولم يك الاستعمار الا مساعدا ... على الذل والتجهيل والسقم والفقر

* * *

تعالوا الى اهدى اتجاه نريده ... لامتنا ، من نورها ابدا يسري
فماهي حال المسلمين ؟ وهل دروا ... تعاليم دين الله في السر والجهر ؟
وهل ادركوا الاسلام قلبا وقالبا ... لمستقبل الانسان ، مستودع السر ؟
وكيف يعود المسلمون لدينهم ؟ ... فقد هزنا شوق الى مطلع الفجر !!!
فعالمنا فيه الثراء جميعه ، ... وفي الكون كنز من مواردنا الكثر
ولكن بيت الداء فينا سياسة ، ... وازمة اخلاق تقوم على المكر
تمزقنا شتى المذاهب جهرة ، ... ومنا الينا السهم ينفذ في النحر

ضعفنا بتشتيت ، فهلا بوحدة   نعيد الى اسلامنا أرفع القدر ؟ !
وهلا تعاملنا بعدل ورحمة !   فصرنا كما كنا الائمة في الشكر ؟!
ومهما تدابرنا ، وتاهت جموعنا ،   فلا جبر يرجى للقطيعة والكسر
وانا وان كنا ذوي المال والغنى ،   فقد انهكتنا معربقات من الفكر :
مذاهب شتى ،، فلسفات عقيمة ،   وتلك شعارات لها فتنة السحر
نداري الذي نبتاع منه سلاحه ،   ويدفعنا التيار للمسلك الوعر
وشتى الكماليات تمتص ثروة   لنا ، فنرى الاعداء من مالنا تثري
اذا النفط لم نستعمله في حفظ عزة   لنا ، فلقد صرنا به طعمة الغدر
يصيب به الاعداء خير منافع ،   ونحن اختنقنا بالتضخم والخسر
نريد استفادات ، فنجني حصيلة   من الهم والاضراب والسخط والضر
وسائل اعلام العدو تلاحقت   مساوئها في العمق من حيث لا ندري
فقد أفسدت اخلاقنا وسلوكنا ،   وكانت سموما قاتلات لدى النشر
وقد اغرقتنا في التواكل نظرة   تمج لبابا ، حين تقنع بالقشر
وتقليدنا السطحي للغرب طعنة ،   اصابت بني الاسلام بالسهم في الظهر
فلا دولة الا بدين يصونها ،   ويحفظها من وصمه التيه والبتر
ومن نسي الذات اسباح محارما ،   ولم يتعظ قطعا ولم يصغ للذكر
أرى موجة الالحاد تغزو قلوبنا   برجعيه ادهى من العلقم المر
فهلا الى الايمان تاقت نفوسنا   لننقذها من فتنة الزيغ والشر ؟
فنحن بحير ما ازدهت سلفية   لنا تبعث الوجدان من ظلمة القبر
وهلا انبرى منا الدعاة لحكمة   لكي يفلحوا في دعوة الهدي والخير ؟ !
اذا العلم لم يحمل رسالته ، فقد   تبوأ في التقصير موقعه المزري
وان كان يحيا في التعصب سادرا ،   فقد بات أهلا للتحجر والهجر
وان كان يحيا في النفاق مجاريا ،   ومنتهزا ، فالعلم مهزلة الدهر
نريد من العلم الشريف نقاءه ،   وموقفه الداعي الى النور واليسر
نريد من العلم الشريف ائمة   نشاورهم في الجو والبر والبحر
نريد كمالا في التحرك دائما ،   فليس لاهل العجز في الكون من عذر
نريد حياة في الخلاص ، أعزة   ففي الحس والمعنى مقاديرنا تجري
فان سلمت منا العقيدة اصبحت   لنا همم تربو على الانجم الزهر
فشتان ما بين الذي هو حالنا ،   وما نرتجيه من سمو ، ومن فخر !
فمان تعاليم الكتاب يسيرة ،   تهون ما يشكو الانام من العسر

* * *

لقد آن أن نحيا حياة كريمة ،   وأن نجعل القرآن مصدرنا الفكري
ففيه التعاليم التي عز هديها ،   وآياته جلت عن العد والحصر
وفي قرننا هذا نؤمل عودة   الى جوهر الاسلام ذي المنبع الثر
نريد من الانسان حفظ كرامة ،   وراحة وجدان ، وعيشا بلا وزر
نريد له استقرار روح وعنصر ،   وصولة أخلاق تقود الى الذخر
نريد له حرية واردة ،   تليق بما تسعى له همة الحر
فقد ضمن الاسلام عدلا ورحمة ،   ووطد في الشورى الامان لمن يدري
وحرم الاستبداد حين دعا الى   خلاص من التمزيق والجهل والضير

وقائمة التاريخ عنون مجدها   محمد الهادي الى الحق والخير
فقد كرم الانسان في صون شخصه .   وبواه العلياء فى نهجه الفطري

* * *

يعلمنا الاسلام أن وجودنا   لقد شاءه الله المدبر للامر
فاودع هذا الكون قانون حكمة ،   ليكتشف الانسان موعظة السر :
نظام ، واتقان ، ونور هداية ،   وقلب تزكى باليقين وبالصبر
اذا آمن الانسان اصبح عاملا   لدينا واخرى ، في الخفاء وفي الجهر
ارى نعمة التوحيد تعبي تكاملا ،   وتدعو الى بعث الارادة والفكر
توحدت الاوطان في ظل ديننا .   فلا حكم فيها للوصاية والحجر
تهيب بنا نحو الجهاد عقيدة .   تعبئنا للفوز بالعز والنصر
نفوض الجهادين افتخارا بديننا ،   فنسعد فى طور ، ونغنم فى طور
ولا نترك الاعداء في نزواتهم ،   يسوموننا سوء المهانة والغدر
فاني ارى الاسلام دين اخوة .   ودين مساواة ، يحض على البر
فلا ميزة الا بتقوى نرومها ،   ولا عز الا بالفضيلة والخير
وللعلم في الاسلام اسمى مكانة .   فاكرم به روضا تضوع بالعطر
وللعدل والاحسان فيه مواعظ   من الله ، من أحكامه أبدا تجري :
يوزع ارزاق العباد كما يشاء   ويدعو الى الربح العظيم ، فمن يشري ؟!
ممارسة الانفاق أجدى بمسلم   يخفف عن اخوانه وطأة الفقر
واحسن ما في المؤمنين اعتدالهم ،   فلا كبت في الاسلام ، في نهجه الحر
ولا خير فى الاسراف ، فالدين واضح   لقد نزه الانسان عن سافل القدر
أحل جميع الطيبات ، ولم يبح   خبائث ساءت كالقمار وكالخمر
ولا خير في الانسان باء بمأثم ،   ولم يصح فى هذي الحياة من السكر !
ويشجب هذا الدين (فرعنة) لمن   تمادوا في الاستبداد والظلم والكبر
أما علم الباغون أن مصيرهم   الى الضعف ، والايام تفصل في الامر ؟!
أرى المجد للاسلام اقوم منهج :   فقد انقذ الدنيا من الشرك والوزر
وقد حطم الاوثان في كل بقعة ،   وحقق بالتوحيد معجزة الدهر
وللحكم شورى لا يخيب نصيرها ،   فقد حبذ الدين التشاور في الامر
ونادى الى جعل التكافل سنة   لنهج التواصي بالصواب وبالصبر
واكد سعيا ، كي يكون نتاجنا   سبيلا الى الرزق الحلال مع اليسر
وحث على نهج الفضيلة دائما ،   فمن حسنت اخلاقه فاز بالذخر
وتربية الاسلام للنفس نعمة ،   ففي الحس والمعنى لها خالص الشكر
وتلك مزايا ليس تبلغ شأوها   سوى ملة قامت على الخير والبر

* * *

رجوعا الى النهج القويم ، فاننا   على وجل مما تفاقم في العصر
فلا رب غير الله نعبد وجهه ،   فسبحان ربي الواحد الاحد الوتر
حذار من الالحاد ، فهو مصيبة   تهدد بالويلات والهول والخسر !
حذار من التبشير ، فهو بمكره ،   لقد شغل الدنيا باكثر من دور !

حذار من استعمار قوم تقنعوا ، ... وقد ضربوا الرقم القياسي في المكر !
حذار من الداعين للكفر جهرة ، ... وقد شوهوا الاديان بالافك والشر !
فهم خالفوا كي يظهروا بزعامة ، ... كما يظهر (المهدي) في آخر الدهر :
فلا (القذف) و (التخمين) ينفع اهله ، ... وما قدروا رب الورى صادق القدر ،
فهم خلفاء المسخ ، بئست سبيلهم ، ... وقد جرفتهم موجة الزيغ والكبر !
ففي تلكم (الفتوى) افتضاح لامرهم ، ... وسطوة رب الكون تاخذ بالثار !
فوا عجبا ممن أصروا وكابروا ، ... وقد ركبوا الاهواء في المسلك الوعر!
فكم حاولوا من (وحدة) ، فتناقضوا ... مع الهدف المقصود من ذلك الدور :
حرام علينا وحدة وطنية ! ... حلال عليهم لعبة « المنهج الثوري »!
و « اخواننا » من ينكرون جميلنا ، ... مسامعهم صماء ، تشكو من الوقر
مصالح قوم عند قوم مزية ... يجاوز مغزاها « غرامهم العذري » !
اذا مات في الناس الضمير تحولت ... قلوبهم العمياء اقسى من الصخر !!
حذار ، ففي صهيون سم وفتنة ... تدين بدين السيف والحرب والقهر
تحرك أولى القبلتين ضميرنا ، ... وفي (القدس) بات المسلمون على الجمر
فليست لاسرائيل عاصمة ، ولن ... تكون ! فكل الكون يرفض بالجهر !
وفي (المسجد الاقصى) نداء لروحنا ، ... فهلا فديناه بالنفيس وبالعمر ؟!
(فلسطين) كانت دائما عربية ... لقد شجبت من قبلها الطمع العبري !
اذا انتسبت عبر التواريخ اكدت ... روابطها الوثقى بعدنان او فهر
حذار من استسلامنا لتورط ! ... وهبوا لاصلاح العقيدة في الجذر
نسود اذا نحن اعتمدنا بهمة ... على نفسنا ، اذ لم نعول على الغير
وتوعية الاجيال أمر محتم ، ... بروح من الاخلاص في المد والجزر
اذا ما خلت بيناتنا من تعفن ، ... فبشرى لنا : انا نجونا من الخسر !
فتربية الاسلام شكلا وجوهرا ... أعز واعلى من جمان ومن در !
وتلك لعمر الحق اجدى مهمة ... وأسمى المعاني في مسيراتنا الخضر
فبالقول والفعل استبانت عقيدة ، ... لنحظى بها عند التعامل بالاجر
ومن يعشق العلياء يسلك سبيلها ، ... فلابد للحسناء من باهظ المهر
واجدى نظام نحن اهل لربحه ، ... اذا ما تفتحنا على الخير والبر
نريد اكتفاء ذاتيا في نتاجنا ، ... ونكره في التبذير منقصة القطر
فرابطة الاسلام اضمن غاية ... لتوفير اسباب النتائج في البذر
وصفوة ما نرجوه صحوة ديننا ، ... وعودة صبح من تعاليه الغر
ففي فطرة الانسان نهج خلاصه ، ... ومنجاته من فتنة بالردى تغري
اذا نيلت الدنيا غلابا ، فما لنا ... نحاذر بأس القوم في الكر والفر ؟
أرى الحق للاقوى ، فماذال شاهق ! ... وفي القمة الشماء منطلق النسر
ومن رام أسباب الامان سعى لها ، ... وأصبح في العلياء كالطير في الوكر
ومن عرف الاخطاء رام اجتنابها ، ... وسار الى القصد ابتداء من الصفر !

* * *

وفي (المغرب الاقصى) تصح بشارة ... بمطلع هذا القرن ذي الغرة البكر
فنحن هنا في نهضة حسنية ، ... كتبنا معانيها النفسية بالتبر
نزف التهاني كالعرائس رونقا ، ... وننشد الوانا من الشدو ، والشعر

ومن عجب انا نثرنا ورودنا ، واحسن ما في الملتقى نفحة النشر
وامتنا بالعرش مشرقة الـــــروى ؛ وبالحسن المحبوب مسدودة الازر
هتفنا به عشقا ، وهذا هتافنا سمعنا لـه الاصداء في منطق الطير
هو الآية العظمى لنخبة عصره ، فكم معضل يشفي ، وكم مشكل يفري
يزيد امير المؤمنين تفانيا ، فنزداد اخلاصا ، ونطفح بابشر
لقد حرر الصحراء حقا ، وهذه جوانبها تزهو باعلامنا الحمر
تعزز وادينا بساقية لنا ، وراق دم الاحرار في الاوجه السمر
و (زلاقة) فيها الملاحم جمة ، وفي (أحد) طاب الفداء ، وفي (بدر)
وفي (الارك) الذكرى تحن لنفسها ، وترنو الى (وادي المخازن) في فخر
تهون علينا في الجهاد نفوسنا ، وتلك سجايانا معطرة الذكر :
ففي الجنة الفيحاء من شهدائنا شهود وللاحياء ملحمة النصر
فنحن كتبنا للتواريخ عبرة مخلدة ، والمسك فاح من الحبر
اذا ذكر الاسلام حصننا لعزه ، فأمتنا رمز الكرامة والفخر
وتلك المنارات التي شع نورها ، الا فانظروا اشعاعها في الحشا يسري :
فهذا أمير المؤمنين لقد غدا لدى (لجنة القدس) الوسام على الصدر
وباسم جميع المسلمين تكلمت قريحته في (الفاتيكان) على الفور
وفي كل ما ينوي السلام شعاره ، فقد بهر الدنيا بمنهجه الفكري
صريح . يقول الحق من غير خشية ، فيؤخذ أعداء الحقيقة بالذعر
وتربية الابطال طابت فروعها ، بخير أصول في الجهاد لمن يدري
ومن نفحات المجد فاحت نسائم لقد عطرت اوطاننا ساعة النشر !
فيارب بارك في المليك وبيته ، فعتره طه احرزت ماجد الذكر
خليفة رب العالمين ، ببيعة ، ومحض ولاء عرشه القلب في الصدر
بافئدة تهواه منا ، واكبد ، نعول في حفظ السلام على القصر

* * *

رسول الهدى ، يا جوهر الدين كله ، أغثنا ، أغثنا ، يا مغيث على الفور !
لقد عرف البيت الحرام مآسيا ، وانت غيور ، لا تنام على ضير
سقى الله روضا أنت فيه منعم ، مدى الدهر ، حي ، آمن ، باسم الثغر
فما خاب عبد كنت انت شفيعه ، فمثواه في الجنات منشرح الصدر
لك المجد في هذا الوجود باسره ، على الرغم مما بيتت عصبة الكفر
فلله نور قد أتم ظهوره ، ولابد بعد الليل من مطلع الفجر !
عليك صلاة الله ما لاح نير ، فأنت الضياء الحق في الشمس والبدر
عليك سلام الله في كل لحظة ، فأنت الشذى الفواح في مبسم الزهر
على الآل والاصحاب ازكى تحية ، تهل بمسكوب الرحيق من القصر

الربـاط
محمد بن محمد العلمي

الصحراء الغربية والحدود المغربية

تأليف : روبير ريزيت
عرض وتقديم : الاستاذ زين العابدين الكتاني

اخترت بمناسبة الذكرى الخامسة لانطلاق مسيرة فتح الظافرة، ان اقدم في نطاق التعريف بما جد في هذا المجال، الكتاب الجديد الذي صدر للكاتب السياسي الفرنسي الكبير الأستاذ روبير ريزيت بعنوان : (الصحراء الغربية والحدود المغربية).

ومؤلف هذا الكتاب ليس جديدا على المغرب والمغاربة بالخصوص، فقد سبق لهذا الكاتب أن ألف كتاب : (الأحزاب السياسية المغربية) سنة 1955، والذي يعتبر من المصادر المهمة في موضوعه، سواء من حيث منهجية أسلوبه في التأليف العلمي في موضوع (الأحزاب السياسية المغربية) خصوصا في الوقت الذي أنجز فيه، أو من حيث التنبيه لوجهة نظر الحركة الوطنية التحريرية والدفاع عن اختياراتها يوم تأليفه، مما جعل المستعمرين يعتبرونه من مناصري هذه الحركة، وفي صف أصدقاء المغرب الذين وفوا له، واستمروا في صداقتهم. وهذا أيضا ما يشير إليه اليوم صدور الكتاب الذي نحن بصدد تقديمه.

والكتاب الجديد صدر باللغة الفرنسية عن إحدى المطابع الفرنسية في حجم ما دون المتوسط. يقع في 188 صفحة. حيث جزأ الأستاذ ريزيت كتابه هذا إلى بابين. كل باب يشتمل على فصلين. بالإضافة إلى فهارس الكتاب العلمية والتي تميز كتابة المؤلف.

وهكذا فإن الباب الأول يشتمل على فصلين : يدرس الأول منهما الناحية الجغرافية والبشرية. في حين يتناول الفصل الثاني بالبحث التطور التاريخي. والمغرب الكبير قبل القرن التاسع عشر. والمطامع الاستعمارية. والصحراء الغربية ابتداء من القرن التاسع عشر. وتواجد البرتغال

والاسپان بالشواطىء المغربية، والاسپان والجنوب المغربي، كما عرف المغرب الكبير من خلال المد والجزر عبر هذه الأحقاب.

أما الباب الثاني الذي يشتمل هو أيضا على فصلين ؛ فإن الأول منهما يتناول بالدرس المغرب المستقل، وحدود الصحراء الغربية، ويتحدث عن استرجاع المغرب لمنطقته بسيدي إيفني، وعلى الوضع الحالي للصحراء الغربية، وعلى الحدود ما بين الجزائر وموريطانيا.

في حين نجد الفصل الثاني من الكتاب يتحدث عن الوضعية المستقبلية للصحراء الغربية، وعلى دور منظمة الأمم المتحدة، وعلى مقاصد إسپانيا بخصوص مفهومها لتقرير المصير، وعن وجهة نظر المغرب بخصوص بقاء الوضعية ـ على حد تعبير المؤلف ـ على ما كانت عليه من قبل، أو إدماجها في المغرب، وعلى رأي الحكومة الموريطانية والجزائرية في الموضوع، وينتهي المؤلف بالحديث عن اللجوء إلى محكمة العدل الدولية بلاهاي، مما يشير إلى أنه كان يتابع عن كثب مختلف التطورات التي قطعتها معركة الوحدة مما يلمسه أي قارئ لمختلف فصول الكتاب.

ونظرا لأن مقدمة المؤلف قد أعطت فكرة عامة ومدققة لموضوع كتابه، فإنني اخترت أن أترجمها باللفظ تعميما للفائدة، خصوصا وأن المؤلف قد أدرك أبعاد الموضوع بالنسبة للمغرب بعد سنة 1955، سواء من خلال المصادر التي اعتمد عليها، وأثبتها في كتابه، أو من خلال هضمه لموضوع الصحراء المغربية وموضوع الحدود.

• • •

الصحراء ... الموضوع الجديد

وإذا كانت موضوعات الفهرس كما أثبتها المؤلف تشير إلى منهج موضوع الكتاب، فإن المقدمة كما أسلفت تشير إلى وجهة نظر المؤلف المدققة حيث يرى (1) أنه :

«منذ سنوات قليلة فقط كانت (الصحراء) موصوفة من طرف مؤلفين نادرين خصصوا لها بضع سطور، كإحدى الجهات الإفريقية الأقل شهرة، والأقل زيارة، وكأرض لا تقدم أي نفع اقتصادي.

وتاريخيا أخذت إسپانيا تهتم بها، كما إهتمت من قبل بسيدي إيفني، باعتبارها نقطة إرتكاز استراتيجي للجزر الخالدات (الكناري)، ولكونها سند لحركة صيدها للأسماك التي هي إحدى الواردات الأساسية لهذا الأرخبيل.

والسكان الموزعون، وهم في الغالب يرتحلون بين الجزائر والمغرب وموريطانيا وبين مالي أيضا، يهتمون قليلا بالدولة المحتلة القوية التي تطلب منهم أن يكونوا هادئين فقط، وهؤلاء السكان المنظمون في عشائر وقبائل يحكم كل منها مجلس يدعى بـ (الجماعة) تكتفي بنفسها بسهولة عن الحكم المركزي وعن النضال السياسي عندما تريد، **وهي تميل طبيعيا إلى النظام السائد في المغرب، الذي تقترب منه على الصعيد الجغرافي، والتجاري والسلالي والثقافي.**

ويقول المؤلف ، ولقد أدى التنقيب عن البترول اعتبارا من سنة 1968، واكتشاف مناجم الفوسفاط الغنية بالصحراء إلى زيادة اهتمام الدول المجاورة بهذه الناحية التي يطالب المغرب بسيادته عليها منذ حصوله على استقلاله (سنة 1956).

وان اسپانيا لا تبالي بتمسكها بحقوق مستفادة من (اتفاقيات غير متكافئة) لا تعترف بالضمير الدولي، وكانت تعتزم بعد تخليها عن إيفني، وعن حمايتها في شمال

1) نص المقدمة مع بعض الاختصار البسيط.

المغرب، عن تنظيم استفتاء لتقرير المصير في الصحراء الغربية طبقا لمبادىء منظمة الأمم المتحدة، التي ترجو أن تسمح لها بإقامة حكومة محلية خليقة بأن تضمن لها مراقبة الموارد المنجمية في هذه الناحية.

ويلعب المغرب - يقول الأستاذ ريزيت - في هذه القضية (دورالأمر). **ففي كل مكان توجد الثقافة المغربية، ويوجد التأثير المغربي، مما يحرج موريطانيا والجزائر التي تهتم قليلا برؤية جار قوي يدعم نفوذه في الصحراء الغربية، ولكنها تخجل قليلا لأنها ورثت حدودا استعمارية (مشوهة) عن أصل حالة عملها التقليدي.**

باب السخرية التي تدخله هذه التجربة

ان عدم تدقيق الحدود، وعدم تماسكها كما خططت بدقة، كان لايهم كثيرا الناحية الصحراوية الإفريقية الغربية الفرنسية، لأن المغرب والجزائر كانا تحت حماية الوحدات الفرنسية . أما اليوم فإن المشكل ينفجر، وقد أصبحت (إعادة توزيع للخرائط) بصورة واسعة يتطلبها التاريخ، وأخذت الضرورات الحاضرة تبرز ليس فقط بين المغرب والصحراء، وانما بين الصراع الذي يكونه البلدان، وبين الدولتين المجاورتين موريطانيا والجزائر.

ومن ثم فإن هذا الكتاب - يقول المؤلف - يستهدف :

أولا : البرهنة على أن الصحراء الغربية شأنها شأن موريطانيا والمناطق المتاخمة للجزائر ما انقطعت أبدا عن تأثير المغرب السياسي والاقتصادي والثقافي.

ثانيا : وأنه سيكون من باب السخرية إنشاء وحدة جديدة كدولة مزعومة هناك حيث كانت دولة بمؤسساتها العتيقة التي لا تناقش، وبتنظيم عصري مستعد لأن تستقبل بين أحضانها، وما انفكت أبدا عن الارتباط بها.

وان الفكرة الغريبة لحصر الصحراء داخل حدود ثابتة، في حين لم تكن هذه الناحية في حقيقة أمرها سوى أرض مسير يقيم بها سكان غير مستقلين ويتنقلون باستمرار في مسافات واسعة كانت هزءا، ولم يكن لها منذ وجدت الا تطبيقات كلها نظرية.

وعندما سلم بموجب (اتفاقية إيجيل) أمير أدرار لإسبانية في عام 1886 ناحية إفريقية الواقعة بين رأس بوجدور والرأس الأبيض مواجهة للجزر الخالدات، لم تكن القضية أنذاك الا بالساحل. أما الأراضي الداخلية الغير مضافة، ما كانت لتثير قط الأطماع الاستعمارية.

الواقع .. أو التحالف المكشوف

ومن هنا، من هذا المنطلق نجد المؤلف يعمل بكل حرص وموضوعية ومنهجية لاثبات الواقع، فيؤكد : «أنه بصورة نظرية ثبتت بموجب (اتفاق إسباني - فرنسي في 27 يونيه 1900) حدود وادي الذهب الحالي : كانت فرنسا مهتمة أنذاك بتدقيق حدود منطقة نفوذها في الصحراء قانونيا، والتي لم يكن ينقصها سوى الصحراء المغربية، وكان الأمر بالنسبة للدولتين لا يتعلق باحتلال التراب، وانما بتوزيع مهمة تأمين واجبات الشرطة بين جيشيهما بشكل ما في التخوم الصحراوية، وكانت في الواقع مهمة ثقيلة اضطلعت الوحدات المهرية الفرنسية بأعبائها طيلة عشرات السنين، حامية الرحل في الجنوب من شمال إفريقية، ومن إفريقية الغربية الفرنسية، وهي مهمة لم تكن إسبانيا تساعدها في القيام بها، وهي التي كانت تقوم باحتلال عسكري حقيقي للصحراء، اعتبارا من سنة 1934 وقد كان خفيفا جدا.

وفي السنوات التي سبقت (فرض) الحماية الفرنسية على المغرب، كانت فرنسا هي التي تتدخل أيضا عسكريا عندما تفرض الظروف ذلك ضد الرحل في الصحراء الغربية، وأخذت تقوم بهذه التدخلات بعد اغتيال (شانير

كوبُولوني سنة 1905) **والذي بعد أن قدم موريطانيا لفرنسا، شرع يبرهن على أنه انطلاقا منها يمكن التسرب للمغرب بسهولة أكثر من الجزائر،** وحاول هذا. ولكنه فقد حياته في المغامرة. وفي سنة 1913 كان طابور موري هو الذي دمر مدينة السمارة انتقاما للهزيمة التي ألحقها المنشقون من قبائل الرقيبات بالجيوش الفرنسية.

وليس من الغريب أن يكون التراب الصحراوي غير مستند على حدود طبيعية. لأنه لا وجود له أبدا ما عدا خطي الطول والعرض مثلما يمكن أن تقوم به أية باخرة في عرض البحر لتحديد موقعها.

وهذه الحدود لا تنطبق زيادة على هذا على أي نوع ثابت من السكان. لأن الصحراويين يرتحلون من بلد إلى آخر، غير مهتمين بالحدود. ولأنه لا شيء يستطيع أن يزعم أن يكون ماديا فعلا في بلد يعتبر (المرعى) غزيرا عندما توجد حزمتان من العشب بعيدة إحداهما عن الأخرى بمسافة مائة متر.

ويقول الأستاذ ريزيت :

ان البقاء في الصحراء يتطلب بصفة ضرورية المساحات الشاسعة حيث يعتبر نقط المياه المأوى الوحيدة التي لا يمكن أن يعرف ببلادة أو بقوة كبقية منع الوصول إليها بواسطة حدود قاصرة.

ومكانة الصحراء بالنسبة للمجموع الإفريقي يمكن تقديرها على ضوء سلسلتين من الوقائع هما :

أولهما : موجهة نحو الماضي.

وثانيهما : نحو المستقبل. وكلاهما يدافع عن حقوق المغرب فيها.

والحقيقة أن المعطيات الجغرافية والتاريخية تبين أن الصحراء من الشمال إلى الجنوب، تتابع على شكل مشوه أكثر فأكثر لاستمرار المجموع الجغرافي والتاريخي المغربي. من كوليمين إلى طرفاية فالسمارة. نفس البلاد. ونفس السكان. بكثافة ديموغرافية تضعف تدريجيا. وبزراعة مبعثرة أكثر فأكثر. ولكن عندما تنزل الكثافة الديموغرافية والفلاحية إلى درجة الصفر فعندئذ لا يوجد إلا الرحل المتركون في أنفسهم. حتى حدود إفريقية السوداء حيث يتكاثف السكان من جديد، وحيث تعود الفلاحة إلى الظهور.

• • •

«... ويؤكد المؤلف أن المعطى الجديد وهو أن اكتشاف مناجم الفوسفاط الشاسعة بالصحراء ماهو إلا امتداد جيولوجي لمناجم الفوسفاط المغربية باعتبارها هضبة قارية جوفية يمكن أن تكون لبلدها مشكلا دوليا ، وينبغي - يقول المؤلف - الا تتجدد تجربة إمارات الخليج.. حيث تكونت دول صناعية بفضل الرأسمالية الدولية أمام ثروة غير متناسبة مع احتياجاتها. بينما تفتقر الدول الكبيرة المجاورة إلى الموارد الضرورية.. وأن ستة عشر (16) مليونا من المغاربة هم في حاجة إلى هذه المناجم من الفوسفاط لأجل تنمية بلادهم. **وسيكون إجراما حرمانهم منها بتأسيس دولة وهمية من ستين ألف (60.000) من الصحراويين تخدم مجموعة قليلة من المصالح الخاصة.**

ان حقوق المغرب في الصحراء - يؤكد الأستاذ ريزيت - تكتسي مظهرا موضوعيا. يتجلى في المعطيات الجغرافية والبشرية والتاريخية التي يمتاز بها هذا البلد. والتي يتناولها موضوع بحث هذا الكتاب.

وهكذا فمهما كان الحضور البشري نادرا أو قليلا في هذه الناحية. فإن هذا لا يضر هذه الروابط شيئا ، فهذه الأراضي غير مضيافة. بل هي أراضي للسير والتجول.

وليست للإقامة هناك. وتقدر الكثافة بـ : (0.1) رجلا في الكيلومتر المربع حيث تعتبر مساوية لازدحام السكان.

أما الحضور الاستعماري فلم يكن ملموسا في القرن العشرين مثل الحضور المغربي في القرون الماضية : إنه لا يمكن أن يحتل ماديا بقوة الجنود والمؤسسات الثابتة ببلاد تقل فيها البشرية إلى هذا الحد. وانما يكتفي بترك سكانها يعيشون طبقا لأعرافهم وعادتهم، وان كثافة المجموعة البشرية تثبت إضطرابا بكثافة المرعى. وبازدهار نقط المياه. ولا يوجد أي تدخل من طرف الحكم المركزي كيفما كان نوعه. عندما يحدث الاضطراب. ويعقب الانسحاب التدخل عندما يعود الهدوء.

الماضي والحاضر وتقرير المصير

ومن هنا ـ يقول الكاتب ـ فاذا كان الماضي يوضح الحاضر فانه لا يكفي أبدا لوضع مشكل الصحراء الغربية هذا المشكل يجب أن يقدر بالفعل بمساعدة عناصر ضرورية مكونة من عناصر جديدة تستمد مراجعها من الفلسفة الخاصة للأمم المتحدة. وهذا المذهب يتلخص في كلمتين اثنتين هما : (تقرير المصير).

وهذا التقرير هو مذهب وضع لتشجيع الشعوب التي كانت قوية فيما مضى. والمغلوبة على أمرها في الحصول على استقلالها بعدما أخفى الاستعمار مصيرها. وهذه الفلسفة بعد تحقيقها لأغراضها وأهدافها الأساسية أخذت تترنح منذ بضع سنوات في متاهات. بحيث أصبحت ذريعة لتأسيس دول مصطنعة مكونة من مئات أو عشرات الآلاف من السكان.

وكلمتا (تقرير المصير) السحريتان مناسبتان لأنهما كما تبدوان تمنحان عرضا للمعنيين بالأمر أنفسهم لتقرير مصيرهم. كما تمنح لجميع العالم. ولكنهما يمنعان زيادة على هذه الدول الأعضاء في المنظمة الدولية من التصريح بأن الأرض المتنازع عليها يجب أن تنظم إلى هذه الدولة الموجودة أو تلك . كما تساعدان على قيام عداوات بشأن مشكل مهما قدر أنه صغير وضئيل.

• • •

والحقيقة ـ كما يوضح الأستاذ ريزيت ـ أنه من حق الشعوب المعنية بالأمر نظريا أن تصوت لصالح انضمامها إلى أية دولة موجودة من قبل. ولكن هل ينبغي أن يقدم لها الاختيار بين هذا الحل أو بين الاستقلال. الأمر الذي لا يكون غالبا الشأن المطلوب.

وبالنسبة للصحراء الغربية فإن المشكل يعرض رغم هذا بصورة بسيطة كما نرى :

أولا : فإن هذه الأرض ليست موضع تنازع بين دولتين يمكن أن يتنافسا على حظوظ متساوية.

ثانيا : أن المغرب وحده هو القريب، والمزدحم بالسكان. وهو وحده الذي يتمتع بالجاذبية الضرورية لضم هذه الأرض بين أحضانه.

وبفحصنا ـ يقول الأستاذ المؤلف ـ في نهاية هذا التحليل العلمي النفيس ـ للأوضاع التي تعرف الأطراف الحاضرين حسب مبادىء الأمم المتحدة. لا نستطيع أن نغير نظرنا.. **فإن الصحراء الغربية عندما كان لها وجود سياسي فإن المغرب هو الذي منحه لها ، وان المغرب عندما كان غائبا عن الصحراء فإنها كانت تفقده».**

• • •

وبعد. فالحقيقة أن الكاتب الأستاذ السيد روبير ريزيت لم يدخر جهدا في إبراز الحقيقة من منظوره الأكاديمي المتخصص وهو ما دفعني في الحقيقة إلى أن أنطلق إلى أن كتاب : (الصحراء الغربية والحدود المغربية) يستهدف إلى :

1) البرهنة على أن الصحراء الغربية.. ما انقطعت أبدا عن تأثير المغرب السياسي والاقتصادي والثقافي.

2) **وأنه سيكون من باب السخرية إنشاء وحدة جديدة، كدولة مزعومة هناك حيث كانت دولة بمؤسساتها العتيقة التي لا تناقش. وبتنظيم عصري مستعدة لأن تستقبل بين أحضانها، وما انفكت أبدا عن الارتباط بها.**

رابطة علماء المغرب تحيي الذكرى الأربعينية للفقيد العالم سيدي عبد الرحمن الكتاني

● اقامت رابطة علماء المغرب يوم السبت 17 ربيع الاول 1401 موافق 24 يناير 1981 مهرجانا خطابيا كبيرا بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاة الداعية الاسلامي الكبير العلامه سيدي عبد الرحمن الكتاني عضو المجلس الاعلى لرابطة علماء المغرب ، والمستشار الدائم للرابطة ورئيس فرعيها بالرباط وسلا ، وعضو المكتب المركزي للجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني . وقد حضر هذا المهرجان عدد من الوزراء ورجال السلك الدبلوماسي ورجال السلطة المحلية وطلبة المعهد الاسلامي الحر بسلا ، وجمهور غفير من المواطنين .

وافتتح المهرجان بتلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم رتلها المقرىء الحاج عبد الرحمن بن موسى ثم القى بعدها **الحاج عثمان جوريو عضو** المجلس الاعلى لرابطة علماء المغرب كلمة تحدث فيها عن مناقب الفقيد .

ثم تولى الخطباء السادة :

عبد الله كنون ، د. احمد رمزي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية، الرحالي الفاروقي ، احمد بن شقرون ، محمد اليازغي ، عبد الكريم التواتي، احمد معنينو ، محمد الطنجي ، عثمان جوريو ، محمد المهدي الطود ، محمد بن محمد العلمي ، محمد العربي المساري ، سعيد بوركبة ، عبد الله الشاعر ، عبد الله شاكر ، عبد القادر العافية ، د. عبد السلام الهراس ، د. ادريس الكتاني .

في القرن الخامس عشر الهجري

تأمل واستلهام

للأستاذ محمد حمادي العزيز

تقضي التقاليد المتبعة في كل المجتمعات الإنسانية أن يبادر الناس إلى تبادل التهاني الودية، والمتمنيات الطيبة بمناسبة حلول كل سنة جديدة بعد منتهى الشهر الثاني عشر من كل سنة تمر وتنصرم لتمسي مجرد خبر عابر في سجل التاريخ قد يهتم بأمر البحث فيه من يشاء له مصيره العلمي أن يختص في الدراسات التاريخية.

وبعض السنوات الجديدة، بعد انتهاء مائة سنة، تكون مطلقا لقرن جديد.

لذلك فإن مبادرة الناس إلى تبادل التهاني الودية والمتمنيات الطيبة تكون مزدوجة، وتكون دونما ريب، أقوى وأعظم تفاؤلا وابتهاجا بعهد مشرق جديد يشع باشراقه مولد قرن جديد يرجون منه أن يأتي بالخير العميم، وأن يجنبهم كل شر خطير، وأن يحمل معه البشائر باليمن والرغد والاستقرار والرفاء والهناء لهذه الإنسانية الحائرة التي ما زالت، رغم ما بلغته من تقدم في العلوم والفنون والتقنولوجيا والحضارات، تترنح في اختياراتها بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، وبين الرشد والغي، وبين الهدى والضلال، وبين إرادات السلم الطيبة وبين رغبات التنافر والتطاحن والعنف والتدمير.

حقا أن تبادل المتمنيات بمطلع قرن جديد يكون حدثا اجتماعيا وانسانيا كبيرا في عواطفه عظيما في أبعاده ومراميه يتناسب وطول المائة سنة ذات العقود العشرة التي تأتي في تسلسل الزمن والتاريخ عقدا بعد عقد، يحمل كل عقد مع سنواته أحداثا ووقائع من كل شكل ونوع، منها الحاسم المصيري، ومنها الطريف العجيب الغريب.

ان مائة سنة زمن طويل بالنسبة لمتوسط عمر الإنسان، لا يعمره إلا القليل النادر من أبناء الإنسان المحظوظين الذين يعدون على الأصابع.

وفي المجتمعات الإنسانية عدة تقاويم لكل منها بدايات لسنواته ونهاياتها وبالتالي، بدايات لقرونه ومنتهياتها.

والتقويم الهجري الإسلامي له بداياته ومنتهياته الخاصة بأعوامه وبمطالع قرونه وخواتمها.

هذا التقويم الهجري يهمنا، ويجب أن يهمنا جدا، لأنه تقويم إسلامي يؤرخ بهجرة خاتم الأنبياء والرسل من مكة المكرمة الى المدينة المنورة بعد 13 سنة من تلقيه الوحي الإلهي.

انه تقويمنا، نحن المسلمين، الذي نمتاز به، والذي يجب علينا أن نعتز به ونؤرخ به.

جاءت الهجرة، بعد 13 سنة قضاها الرسول الكريم في مكة حيث ناله من ساداتها شر كثير، واذى خطير كان آخره ائتمارهم عليه ليقتلوه وهو السبب المباشر لهجرته - لتكون بداية عهد جديد للإسلام والمسلمين.

فلقد خرجت الدعوة الإسلامية بعد استقرار الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة من العسر ودخلت في اليسر، وانفسح المجال امامها حرا واسعا لتنشر نفوذها في جميع الآفاق لتصل إلى كافة العالمين.

بالهجرة بدأت الدولة الإسلامية التي كان رئيسها الأول رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبدأت معها حضارة جديدة هي حضارة الإسلام، أو الحضارة العربية الإسلامية، التي ملأت بإشعاعها أرجاء المعمور من الأرض شرقا وغربا شمالا وجنوبا.

الإسلام هو الإسلام، دين الله الحق، لايتبدل ولا يتغير، ولا يمكن أن تنال منه ايادي التبديل والتغيير منالا !

بيد أن أسباب التبديل والتغيير يمكن أن تصل إلى المسلمين فتنال منهم ما تشاء، وتستطيع نيله من منال.

فهم الذين نراهم على مر عصور التاريخ وعهوده يرتفعون إلى مستويات الأمجاد والمكارم، وهم الذين ينخفضون إلى مادون المستويات اللائقة بهم وبمقاماتهم باعتبارهم منتمين إلى حضارة الله.

لهذا فإن عظمة كل قرن في التارخ الهجري تقاس بالجهود والاجتهادات التي بذلها، ويبذلها، المسلمون في كل عقد من عقوده للارتفاع إلى مستويات الأمجاد والمكارم والعزائم.

أما الإسلام، دين الله الحق، فإنه فوق كل قياس، وخارج نطاق أي مقياس !

وها هو ذا شهر ذى الحجة لعام 1400 ينتهي ببزوغ هلال شهر المحرم الحرام لعام 1401 واضعا بذلك حدا زمنيا بين عامين، وبين قرنين، وربما بين عصرين تاريخيين.. من يدري ؟ !

علم ذلك في الغيب عند الله ربنا، ولكن صناعة التاريخ تتوقف على الهمم وعلى العزائم، وعلى التوق الذكي الحازم إلى المكارم والأمجاد...

نعم، ينتهي القرن الرابع عشر ويمضي في سبيله إلى الماضي، ويبتدىء القرن الخامس عشر بيومه الأول من شهره الأول من عامه الأول...

مضى قرن وجاء قرن آخر حل محله، هذا في حساب الناس وتقديرهم.

اما الزمن فانه مستمر دائما في سيره قدما في استقامة تامة مثالية إلى الأمام، لا يلوي على شيء، غير عابىء بدوران الأرض والقمر.

فشكرا للقرن الرابع عشر الذي مضى وولى على جميع ما أتى به من خير ونفع للناس وللإنسانية.

ومرحبا بالقرن الخامس عشر وأهلا وسهلا.

وما دامت التقاليد تقضى بتبادل التهاني الودية والمتمنيات الطيبة بمطلع القرن الوليد فإن أفضل ما يتمناه كل مسلم هو أن يستمر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وشمالها وجنوبها في بذل الجهود والاجتهادات المرجوة المأمولة للارتفاع إلى مستويات الأمجاد والمكارم، والوصول إلى المكانة الراقية الرفيعة للإسلام عقيدة وفكرا وحضارة وسلوكا.

فحتى التهاني والمتمنيات هي الأخرى عمل أو مشروعات عمل، وادراكها والتمتع بها يتطلبان عملا، وسعيا، وجهدا، وحزما، لأن كل ما في الحياة له ثمن وليس فيها أي شيء بالمجان.

ولعل أقرب نهج وانفعه وانجعه لتحقيق التهاني الودية والمتمنيات الطيبة بمطلع القرن الخامس عشر هو إقدام

المسلمين على دراسة أحوالهم، وفحصها ونقدها، واجراء تغييرات في ما يستحق التغيير منها مصداقا لقوله تعالى في القرآن الكريم : **((ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم))**.

ولنقد ذاتي أفضل بكثير من انتقاد قاس مر :

وامام الهمم العالية والعزائم الشماء تهون الصعاب، ويذوب المستحيل.

• • •

مرت ١٤ قرنا والإسلام باق، صامد، شامخ، عزيز، ومحترم رغم مامر على المسلمين من وقائع واحداث وفجائع يشيب لذكرها الولدان.

نعم، الإسلام باق، وسيبقى لأنه دين الله الحق، والله باق دائم أبدي سرمدي... أما كيد الكائدين من أعدائه فإنه في تضليل وبوار.

وكل يوم يمر يؤكد لجميع العالمين أن الإسلام دين الله الحق، وانه دين الدنيا والآخرة، وانه وحده الدين الذي عند الله الرحمان الرحيم الذي اختاره لنا دينا وارتضاه، وانه دين الحضارة الحقة، حضارة الله، التي تدعو إلى الاخوة، والسلام، والتعاون والتآزر والتضامن، والتكامل والتكافل وعمران الأرض ليحيا الناس كافة ويعيشوا في أمن وامان، ورفاه ورغد ووئام.

انه دين الله الحق وحده منذ ابينا سيدنا ادم إلى عهد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء والرسل.

وطبعا، مادام الله الخالق العظيم واحدا فلا بد أن يكون الدين الحق واحدا.

وهذه قضية يسلم بها كل عقل حكيم، ومنطق سليم :
وانه الرسالة التي كان الرسول فيها شهيدا علينا، وكنا فيها شهداء على الناس، الرسالة التي جعلت منا خير أمة أخرجت للناس، والرسالة التي جعلتنا أمة وسطا.

أجل، ان المسلمين خير أمة أخرجتْ للناس.. ولكن لابد لهذه «الخيرية» من شروط وشروطها : «تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر..» الاية.

الأمة الوسط في الإسلام هي التي لا تعرف الفقر ولا الفقراء، ولا الكسل ولا التبطل عن العمل، ولا الاسراف الفاحش ولا التبذير اللامسؤول الذي يبدد ثروات المسلمين، ويضيع أرزاقهم وأقواتهم، وبالتالي قواتهم وصيتهم وشوكتهم.
ان التاريخ الصادق يقول لنا :

ـ ان الاسراف الفاحش والتبذير اللامسؤول هما اللذان انزلا المسلمين من علياء الأمجاد والمكارم حتى باتوا يهاجمون في عقر ديارهم..

حضارة الإسلام هي حضارة الدنيا والآخرة، يسعد بها الإنسان المسلم في حياته الدنيا على الأرض، وبفضلها يدخل الجنة لينعم بالرضوان والغفران ويسعد بالنعيم المقيم.

اما الحضارات الأخرى، عند قياسها بمقياس الإسلام الدين الحق، فإنها تتيح للمنتمين إليها تمتعا وهميا في الدنيا، وتؤول بهم إلى الخلود في الجحيم في الآخرة وذلكم هو الضياع والخسران.

ونظرة واعية إلى الوضعيتين في الدنيا والمصيرين في الآخرة نستطيع أن نفهم منذ الوهلة الأولى أن حضارة الإسلام هي الحضارة الحقة، بكل اختصار وكفى.

فمن أراد أن ينال سعادة الدارين، الدنيا والآخرة، فليتحضر بحضارة الإسلام، أينما كان، تلك حضارة الله، وكفى بها حضارة.

ومن شاء أن يعيش في سراب التمتع الوهمي الزائف، والغرور الكاذب، يهلك نفسه وجسمه بكافة الموبقات والمضرات، ويصلى سعيرا دائما في آخرته فدونه ما يشاء من حضارات.

وهذا، أيضا، بإيجاز ويكفي..

وهل هي حضارة تلك التي توصل المنتمي إليها إلى الجحيم ليخلد في الشقاء والهوان والسعير ؟!

بئست حضارة هذه الحضارات.

والإسلام. قبل هذا وبعده. دين الوعي الحق.. الوعي الصافي الذي لا تشوبه أية شائبة من شوائب الضلال أو الزيغ أو الغرور.

أما الفلسفات فكثيرها يجنح إلى ألوان الشوائب والمغريات الضالة المغرضة التي تجتذب أليها التعساء من البشر. وتحيد بهم عن جادة الصراط القويم. وتغرقهم في «لا وعي» آثم باطل باسم «وعي» وهمي براق. وهم يعلمون وكأنهم لا يعلمون. أوهم لايعلمون وكأنهم يعلمون. وهم يعون وكأنهم لا يعون. أو هم لايعون وكأنهم يعون..

وعندما تزول غشاوات الوهم عن الأعين والبصائر ينجلي لهم الخسران الذي أصابهم والضياع الروحي والعقلي الذي وقعوا فيه.

ان الإنسان ما ينفك باحثا عن الكرامة الإنسانية وشروطها اللائقة التي تلائم أوضاعه وظروفه المجتمعية في كل تطور اجتماعي شامل يكتسح المجتمعات الإنسانية في الأرض أو يهددها بالاكتساح.

ولكنه لن يجد كرامته المنشودة الا في ظل الكرامة الإلهية الحقة التي وهبها الله للإنسان منذ وجوده على الأرض. والتي بينها الإسلام وأكدها.

وشتان ما بين ما هو إلاهي رباني حق وبين ما هو إنساني ينشد الحقيقة ويبحث عما هو حق !

ومهما تهافتت الفلسفات الضالة المعادية للإسلام. وتجددت. ومهما كانت أساليبها مباشرة ظاهرة أو غير مباشرة ومستترة فانها ستبوء بالفشل الذريع.

فالإسلام هو الإسلام الدين المنتصر دائما لأنه دين الله الحق. ولأن الله هو الخالق العظيم للكون اللانهائي اللامحدود..

وما يبرح الإنسان يبحث عن الحقيقة وينشدها ويطول به البحث ويتشعب. ولكن الحقيقة قريبة منه جدا وهو لا يشعر. والحقيقة الحقة هي الله الخالق الحق. والإسلام دينه الحق للعالمين !

• • •

ونحن اذ نستقبل القرن الخامس عشر بروح تغمرها البهجة والتفاؤل لا ينبغي ، بأي حال من الأحوال. أن يخفى علينا أبدا أنه كقرن ليس إلا مجرد قياس كبير للزمان بعد العقود والسنوات والشهور والأسابيع والأيام والساعات والدقائق والثواني. لا يستطيع أن ينجز لنا ما نرغب في انجازه من أعمال عظيمة الشأن. جليلة الأغراض. بعيدة الامتدادات والغايات. انه مجرد وسيلة قياسية نستعين بها في تاريخ مآثرنا وتسجيل مفاخرنا.

أما المعول عليه حقيقة في إنجاز مانستهدفه من أهداف وأغراض وغايات. وتحقيق ما نطمح إليه من جلائل الأعمال وعظائم الأفكار والآمال والمشاريع والتصاميم والمخططات فهو نحن أنفسنا.. نحن الذين نصنع التاريخ كما نريد. ونصوغ احداثه ووقائعه كما نشاء.. ان صحت منا العزائم. وعلت بنا الهمم إلى مراقي الإسلام.

بالإسلام ارتفعنا دائما. وبه علا شأننا . ولن نرتفع ويعلو شأننا إلا به.

انه الوحي الإلهي. والعلم الإلهي. والفكر الإلهي. واجدر بالإنسان المخلوق العابر في هذه الحياة الدنيا. أن يتبع وحي الله الخالق وعمله وفكره.

لقد أصبنا بسبب انعزالنا. وانطوائنا على أنفسنا داخل حدودنا. وعدم مواكبتنا النهضة العلمية الأوربية وثورتها الصناعية بما يمكن أن يسمى «صدمة المسبوق» في سباق

حضاري إنساني نتيجة تأخرنا وتخلفنا في الصفوف الاخيرة للمتسابقين.

ولكننا اجتزنا الصدمة بسلام في القرن الرابع عشر وعلينا أن نجتاز مضاعفاتنا ونتجنب انتكاساتها بفضل اجتهادنا وابداعنا وابتكارنا لنفوز في السباق الحضاري الإنساني في القرن الخامس عشر بحول الله وقوته.

ان هويتنا في السباق الحضاري الانساني هي أننا مسلمون ندين بالإسلام. وننتمي إلى حضارته

هذه هي هويتنا الحقيقية. من خلالها ينظر الينا وبها نعرف انسانيا وعالميا وحضاريا. انها حقيقة ذاتيتنا. وحقيقة شخصيتنا. بالاضافة الى كونها جوهر غايتنا وفلسفتنا الروحية والحضارية والعمرانية في عالمنا.

وتفرض الأصالة على الانسان الأصيل أن يعتز بهويته ويتمسك بها. ويحافظ عليها، ويدافع عنها عند الاقتضاء.

فليس من السهل أن يتخلى الانسان عن هويته أو يتنازل عنها. انه ان فعل ذلك فانما يكون قد ارتد والمرتد. لا يوثق به ولا بانتمائه الجديد. ويكون قد خسر هويته الأصلية. وخسر أيضا انتماءه الجديد الذي يغدو فيه مجرد امعة وألعوبة وأضحوكة!

وليس السباق الحضاري الإنساني مجرد سباق ككل السباقات الرياضية التي تسودها روح الرياضة. ولكنه سباق من نوع خاص يتخذ صراع عنيف مستمر. مستتر وظاهر. ومتكتم وعلني لايعرف هوادة ولا رحمة. ولا توقيف أو انقطاع يسير طبق مخططات استراتيجية معدة باعتناء تهتم بسائر الشؤون العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها. والويل كل الويل لمن غفل. ونام. واغتر. وضعف. وتوانى.

الأهداف الاستراتيجية والسياسية هي الأساسية دائما اما الباقي فوسائل وأسباب وممهدات.

وروح الغزو جوهرها. ودافعها. وحافزها.

والاستيلاء. والاستيلاب. والتوسع في مد النفوذ مقاصدها وأغراضها.

لقد مررنا نحن مسلمين طيلة مسيرتنا منذ 14 قرنا خلت بتجارب سياسية وعسكرية وثقافية واجتماعية واقتصادية غنية جدا في عطاءاتها وفي مردوداتها رغم الانتكاسات والمحن. والأهوال. وفي تاريخنا العزيز بالملاحم من العظات والعبر والدروس ما يكفينا لاسترداد وعينا بحقيقة عظمتنا وأمجادنا ومكارمنا.

ان «صدمة المسبوق» في السباق الحضاري التي اجتزناها بسلام في القرن الرابع عشر والتي ما تزال تعاني منها لاسيما في الميدان التقنولوجي لا يجب بأي حال من الأحوال أن تستمر بالنسبة لنا كسبب يعكر علينا صفاء وعينا الحق. أو تكون كوسيلة تستخدم ضدنا لإيقاعنا في افخاخ الاستيلاب الذي ينصبها لنا الغزو الفكري بشتى أشكاله الفكرية المغرية.

واذا كان «الحديد لا يفله الا الحديد» كما يقول مثلنا العربي فان الغزو الفكري لا يفله إلا الدفاع الفكري..

يعني هذا أن الفكر المعتدى عليه الذي أصبح هدفا للغزو الأجنبي يجب أن يدافع عن نفسه، وعن كيانه. وعن ذاتيته. نفسه بمعطياته الكيانية وبمقوماته الذاتية... ليؤمن بقاءه ويضمن استمراره في صراع فكري بين الأقوياء من مواقع القوة ومن أجلها لا ينتصر فيه إلا الفكر الأقوى.

والفكر الإسلامي. كما نعرف جميعا. فكر قوي جدا. بل فكر فلسفي وحضاري أقوى قاوم مختلف ألوان الغزو الفكري منذ 14 قرنا وغلبها وانتصر عليها.

هنا تتجلى لنا قيمة الفكر الحضاري الإسلامي وقوته وعظمته.

نعم. ان عظمة الفكر الحضاري الإسلامي هي أنه كان دائما هدفا للغزو الفكري الأجنبي أولا. وأنه ينتصر في صراعه الفكري الحضاري على كل غزو فكري ثانيا.

وإذن يجدر بنا أن نستفيق من كل صدمة أصابتنا، وأن نؤوب إلى رشدنا وصوابنا، وأن نسترجع صفاء وعينا الحق لكي نتمكن من مجابهة الغزو الفكري الأجنبي الذي يستهدف «اللعب» بالضعفاء، وبالمخدوعين به، وبفاقدي الوعي الحق.. وننتصر عليه.

لقد قالت أميرة عربية في الشام في الماضي عندما وقعت في أسر أعدائنا قولتها المشهورة التي غدت مثلا «بيدي لا بيد عمرو».

أفلا يليق بنا أن نصوغ قولة أخرى مماثلة لقولتها تكون شعارنا في مواجهة الغزو الفكري الأجنبي الذي لا يكف عن تهديده وتحديه لنا فنقول :

- بفكري لا بفكر الأجنبي.

ان الاستقلال الفكري هو جوهر الاستقلال السياسي وأساسه، وهو روح السيادة الوطنية والقومية...

• • •

المسلمون في الإسلام إخوة...

والنصوص من القرآن في الموضوع كثيرة، وكذلك النصوص من الحديث النبوي الشريف.

انها اخوة في الله وأكرم بها اخوة وأنعم.

واخوتهم ليست مجردة اخوة في الإيمان والعقيدة والعبادة فقط، وإنما هي اخوة بعيدة الغايات والأهداف والأغراض تتعمق في الحياة الاجتماعية لتشمل التعامل، والنصح والمساواة.. والعلاقات الصادقة، والنصوص في القرآن والحديث منيرة.

وهذا مهم جدا لبناء مجتمع إسلامي متوسط لا فقر فيه ولا فقراء، ولا بؤس ولا بؤساء، يليق بالأمة الوسط مصدقا لقوله لله عز وجل :

«وجعلناكم أمة وسطا»...

وكل الاستراتيجيات المعدة لنهضة المسلمين وارتفاعهم إلى مستوى المكارم والعزائم والأمجاد ينبغي أن تنطلق من المجتمع الوسط في الأمة الواحدة الوسط وتعتمدها وتعمل على تحقيقها...

ليكون انطلاقها من قاعدة اجتماعية سليمة، قوية، مبنية.

ذلك لأن البعد الإنساني لحقيقة الكرامة الإنسانية للمسلم في الإسلام هو ألا يكون ضعيفا ولا جاهلا، ولا فقيرا، ولا عاطلا، ولا معوجا في سلوكه، ولا حائدا عن مكارم الأخلاق !

وهو أهم بعد في الحضارة الأساسية وقيمها العليا وفلسفتها.

وكأننا ، بعد مرور 14 قرنا، نجد أنفسنا من جديد أمام ضرورة بناء الإنسان المسلم والمجتمع المسلم في إطار الأمة الإسلامية الوسط.

ان امام المسلمين في القرن الخامس عشر مسؤوليات ضخمة تفوق مسؤولياتهم في القرن الرابع عشر وفي كل قرن مضى وتتجاوزها، وهي تتركز في إعلاء شأن الإسلام واظهار حقيقته للعالمين ناصعة وضاحة صافية، والتأكيد على قيمة دوره الحضاري الإنساني وأهميته في إقامة صرح السلم والتوازن والاعتدال في عالم مضطرب حائر.

بالتمسك الحقيقي بالإسلام، وبالقيم العليا لحضارته فقط يمكن أن ينال المسلمون احترام العالم وإعجابه، انهم بفضله يصبحون القوة العظمى البديل الموثوق بها، وبعدلها، وبنزاهتها، وبسماتها عندما تدلهم السماء فوق مجموع الأرض بغيوم الشك والارتياب والقلق والخوف والهلع والرعب.

ولعل جرد جميع أحداث ووقائع القرن الرابع عشر وفحصها، ونقدها نقدا ذاتيا وتقييمها قمينا بأن يضع المسلمون أمام وسائل قوتهم، ويبين لهم أسباب ضعفهم.

وبدأ القرن الخامس عشر والعالم الإسلامي في موقع حضاري لا بأس به بالنسبة لسائر المواقع الحضارية...

ولكأني بالمسلمين في كل مكان في العالم الإسلامي يتطلعون بصبر وشوق إلى رؤية الحضارة الإسلامية تشرق باشعاعها من جديد على جميع أركان الأرض وتستعيد مكانتها المرموقة...

وكل مسلم في حاضرنا أدرى بالإسلام وشؤون المسلمين دراية تامة...

والسبيل إلى الأمجاد والمكارم والعزائم معروف وواضح هو سبيل الله الصراط المستقيم...

محمد حمادي العزيز

● في العدد القادم

العرش العلوي الشريف

وملامحه البارزة

بقلم: الشيخ محمد المكي الناصري

المظاهر الثقافية في الحضارة الإسلامية

الكيمياء والعلوم

للدكتور محمد كمال شبانة

من المظاهر الثقافية الحضارية للإسلام والتي قطع العرب فيها شوطا طويلا الكيمياء والعلوم. فلا خلاف أن العرب هم الذين أسسوا الكيمياء الحديثة بتجاربهم ومستحضراتهم. ويعتبر خالد بن يزيد الأموى أول من نقل علم الكيمياء إلى اللغة العربية. وقد نقل هذا العلم عن مدرسة الأسكندرية. وعن خالد هذا أخذ علم الكيمياء جعفر الصادق الذى توفى سنة 140 هـ.

بعد هذا تطالعنا في المجال الكيميائي أسماء لامعة في تاريخ الحضارة الإسلامية. أمثال : جابر بن حيان والكندى والرازى وغيرهم. ويعود إلى هؤلاء العلماء الفضل في اكتشاف كثير من المركبات التي بنيت عليها الكيمياء الحديثة. فالقلويات معروفة في المصطلحات الحديثة باسمها العربي. وقد ذكر محققو الافرنج أن العرب هم الذين استحضروا ماء الفضة (حامض النتريك). وزيت الزاج (حامض الكبرتيك). وماء الذهب (حامض النيتروهيد روكلوريك). واكتشفوا البوتاسا وروح النشادر وملحه. وحجر جهنم (نترات الفضة). والسليماني (كلوريد الزئبق). والراسب الأحمر (أكسيد الزئبق) وملح الطرطير. وملح البارود (نترات البوتاسا). وكبريتات الحديد والكحول والزرنيخ. وغير ذلك من المركبات التي لم يصل إلينا خبرها. على أننا نستدل من وجود بعض المركبات الكيماوية في أيامهم مما لم يكن له مثيل في تاريخ الكيمياء قبلهم. فقد أشار ابن الأثير إلى مادة كيماوية استخدمها العباسيون في واقعة الزنج سنة 269 هـ. إذا طلى بها الخشب امتنع احتراقه. بيد أنه لم يذكر لنا ماهي.

ويذكر للعرب أيضا أنهم أول من وصف التقطير والترشيح. والتصعيد والتبلور والتذويب. وفوق هذا ألف العرب في أبطال الكيمياء القديمة. وأول من ألف ذلك منهم يعقوب الكندى أواسط القرن الثالث الهجرى.

ومن العلماء العرب البارزين في عالم الكيمياء جابر بن حيان الذى عاش في أواخر القرن الثامن من الميلاد. وهو صاحب الفضل فيما عرفه الأوربيون عن ملح النوشادر. وماء الذهب والبوتاس. وزيت الزاج وبعض السموم. وقد ترجم له كتاب السبعين وكتاب تركيب الكيمياء إلى اللغة اللاتينية في أوائل القرن الثاني عشر. وظلت كتبه المرجع الأساسي في هذا العلم بين الأوروبيين حتى أواخر القرن

السابع عشر، فترجم كتابه الاستنمام إلى اللغة الفرنسية سنة 1972.

ومن العلماء العرب أيضا أبو بكر الرازى المتوفى سنة 932، وهو أول من اكتشف زيت الزاج الذى يستخرج بتقطير كبريت الحديد. وان الكحول يستخرج بتقطير المواد اللبية أو السكرية المختمرة.

ونقلت كتب الرازى كما نقلت كتب جابر بن حيان. ومنها تلقى الأوربيون تقسيم المواد الكيماوية إلى نباتية وحيوانية ومعدنية. وتقسيم المواد المعدنية أدق تقسيم عرف في العصور الوسطى. وكان علماء الكيمياء قبل ذلك يرون أن المعادن مركبة من عناصر كثيرة غير معروفة. وكان هؤلاء العلماء يسمون هذه العناصر على حسب الأحوال - ببعض الأسماء كالكبريت والزئبق. حتى وان لم تدل هذه الأسماء على العناصر التي أطلقت عليها.

وفي الحقيقة فان لعلماء الكيمياء العرب اكتشافات كثيرة، ويدلنا على ذلك كثرة ما كان مجهولا قبلهم من المركبات التي ذكروها في مؤلفاتهم. ومن ابتداعهم لفن الصيدلة، كما يستدل على مقدار معارفهم في الكيمياء الصناعية من حذقهم لفن الصباغة، واستخراج المعادن، وصنع الفولاذ، ودباغة الجلود.

وأما علم النبات فللعرب القدح المعلى في دراسته والتأليف فيه. وقد أخذوا هذا العلم عن المعارف اليونانية والهندية. ففي عهد الخليفة المتوكل ترجم كتاب ديسقوريدس العالم اليوناني، الى العربية، ترجمه اصطفان بن باسيل. وقد ظل هذا الكتاب هو المعول لدارس النبات حتى أواخر القرن الرابع الهجرى. ثم جاء ابن جلجل فألف كتابا فيما فات ديسقوريدس ذكره، وجعله ذيلا لذلك الكتاب.

بعد ذلك نبغ ابن البيطار المالقي النباتي أواسط القرن السابع للهجرة. وقد درس هذا العالم كتاب ديسقوريدس وتفهمه، ثم سافر إلى بلاد اليونان وإلى أقاصي بلاد الروم، وقابل جماعة يزاولون دراسة النبات، وأخذ عنهم معرفة نبات كثير عاينه في مواضعه. واجتمع أيضا في الغرب وغيره بكثير من علماء النبات وعاين منابته بنفسه. وذهب إلى الشام ودرس نباتها، وجاء الديار المصرية في خدمة الملك الكامل الايوبي. وكان يعتمد عليه في الأدوية والحشائش، حتى جعله رئيسا على العشابين. وبعد طول ذلك الإختبار ألف ابن البيطار كتابا في النبات، وهذا الكتاب فريد في بابه، وكان عليه معول أهل أوربا في نهضتهم الحديثة.

ومن المبرزين في علم النبات رشيد الدين بن الصورى المتوفي سنة 689 هـ صاحب كتاب «الأدوية المفردة»، وكان هذا العالم كثير البحث والتدقيق يخرج لدرس الحشائش في منابتها، ويستصحب مصورا معه ليصور الأصباغ والليق على اختلافها وتنوعها، ويتوجه إلى الأماكن التي بها النبات في لبنان وسوريا فيشاهد النبات ويحققه، ويريه للمصور فيلاحظ لونه ومقداره ورقته وأعضاءه وأصوله، ويصور بحسبها بالدقة، وهذا غاية ما يقوم به الباحثون في هذا العلم في الوقت الحاضر.

وفي الطبيعات أخرج العرب «الثقل النوعي» لكثير من العناصر والجواهر النفيسة. ونقلوا رأى الاغريق في الجاذبية، وتعليل الثقل وفحواه أن الأجسام الثقيلة مجذوبة إلى معدنها من مركز الأرض، وأن الاجسام الروحانية مجذوبة إلى أصلها في السماء، ولكن البيروني شك في ذلك ووجه إلى ابن سينا سؤاله الذي يدل على ميله إلى القول بأن الأجسام كلها مجذوبة إلى مركز الكرة الارضية، وذلك حيث يقول :

«ما الصحيح من قول القائلين ، أحدهما يقول ، إن الماء والأرض يتحركان الى المركز، والهواء والماء

يتحركان من المركز. والآخر يقول : إن جميعها يتحرك نحو المركز. ولكن الأثقل منها يسبق الأخف في الحركة إليه ».

وقد مهدت هذه الآراء سبيل «نيوتن» إلى اكتشاف قانون الجاذبية وتعليل الثقل على الأساس العلمي الأحدث

وللبيروني أيضا فضل السبق إلى درس السوائل في عيون الأرض ومرتفعات الجبال. وما تحكم به حركاتها في حال التوازن والإرتفاع. ومن رواد هذه المباحث في اللغة العربية أبناء موسى بن شاكر أصحاب «كتاب الحيل» الذى يعد أصلا من أصول «الميكانيكا» قبل تطورها الأخير في عصر الآلات.

وعلى سذاجة البحوث التي انتهى إليها علم التاريخ الطبيعي قبل القرن الثامن عشر كانت مؤلفات العرب خير المراجع في هذه العلوم للاوربيين. فانهم جمعوا المتفرق من المعلومات القديمة عن الحيوان والنبات وزادوا عليه وتوسعوا فيه. فنقلوا عن الهنود والكلدان واليونان. واعتمدوا على المشاهدة في بلادهم وغير بلادهم.

لم يهمل العرب تطبيق المباحث النظرية على الصناعات. وقد كان لصناعات العرب تفوق عظيم بفضل معارفهم العلمية. فمن المعروف عن العرب أنهم كانوا يعلمون استغلال مناجم الكبريت والنحاس والحديد والذهب. وأنهم كانوا ماهرين في الدباغة. وأنهم اتقنوا فن تسقية الفولاذ. وأنه كان لمنسوجاتهم وجلودهم وورقهم شهرة عالية. ولعل التاريخ الأوربي لم يتأثر بشيء من كشوف العرب في المعدنيات كما تأثر بكشف البارود. واستخدامه في قذائف الحصار وأسلحة القتال.

هذا ـ بايجاز ـ ما أسهم به العرب في الكيمياء والعلوم. وقد اتضح لنا من العرض السابق أن المؤلفات العربية التي وضعت في هذا المجال كانت لاصالتها عمدة المراجع التي اعتمدت عليها معاهد أوربا وجامعاتها حتى القرن الثامن عشر. وبالتالي كانت الأساس الذى اعتمدت عليه النهضة الأوربية الحديثة.

د. محمد كمال شبانة

النظرية العلمية في الإسلام

للأستاذ: مصطفى بوهلال
(تونس)

باسم الله تبارك قرأ الرسول، صلى الله عليه وسلم، ونقرأ: **(اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الانسان مالم يعلم).**

ما ذلك إلا لتصدر العلم معراجا للرقي البشري. فبالعلم يتغلب المرء على مشكلاته، وبه يحل مغلق ألغاز الوجود. قال الله عز وجل:

(سنريهم اياتنا في الافاق، وفي أنفسهم) (1).

وللدلالة على الأهمية القصوى للرغبة في تحصيل المعرفة أخبر خير البرية عليه السلام بأن:

(من خرج في طلب العلم، فهو في سبيل الله حتى يرجع) (2) ويشير تاريخ العصور الأولى للاسلام، بكل احتفاء، الى مدى تقدم العلم وتطبيقاته، في ميادين مشعة والى الريادة ـ إثراء وابتكارا ـ تلك الريادة التي بفضلها حاز المسلمون الرهان الحضاري، ويوم حصلت الغفوة، نهض رواد الوعي الإسلامي، يبحثون عن أسباب النهوض، فما لقوا عماد العلم إلا موصلا بحبل الحضارة والتقدم. وإن ابتغيت إيضاحا فاقرأ ما نادى به المرحوم محمد عبده:

(علينا أن ننظر إلى أحوال جيراننا من الملل والنحل، وما الذي نقلهم من حالهم الأول، وأدى بهم إلى أن صاروا أغنياء أقوياء... وها نحن بعد النظر لانجد سببا لترقيهم في الثروة والقوة الا ارتقاء المعارف والعلوم فيما بينهم، حتى قادتهم الى رشادهم ـ فاذن أول واجب علينا هو السعي بكل جد واجتهاد في نشر هذه العلوم في أوطاننا).

ذلك أن أعمال الانسان يتعاورها الصلاح والفساد، تبعا لاعمال الرأي فيها أو عدمه.

كشف عن هذا المفهوم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حين وعظ: (إن العبد ليتكلم بالكلمة لايتبين مافيها يهوي بها إلى النار).

×) هذا فصل من كتاب تحت الطبع، بعنوان «الإسلام ومقومات المجتمع المعاصر» فزت به في مسابقة جائزتها الحج، في ضيافة وزارة الإعلام السعودية.

1) سورة فصلت، - 53.

2) رواه الترمذي.

ولهاته العلة - وأخريات تساندها - بانت في الإسلام - ضرورة الدعوة - لتشييد مجتمع ثابت الأس - إلى إثارة العقول. وتحريك الأذهان. صوب النظر والمقارنة والاستنتاج بعد التعليل. قصد الاعتبار والتزكي. دنيا وأخرة. وعليه فالذهول. والكل الفكر يان مجلبة للضعف والخسران. بل قل. وتأكيدك الحق : إنه الكفران بأكرم أنعم الله تعالى ألا وهو : (العقل).

كل فرد منا مأمور - أمر الجزم - بسلوك منهج التفكير فيما هو فيه من أعمال. كي يتقي الخطأ. فإن خانه التوفيق. أو أقعده العجز. فعليه الاستعانة بأهل الاختصاص والمقدرة فعسى أن تتراءى له الآفاق. قال جل من قائل :

(فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) (3).

وكما هو بين. لم يحدد الإسلام القضايا الفكرية الواجب اعتماد العقل في تناولها دون غيرها.فمثل ذاك أبعد من أن ينتحيه دين الحرية الفكرية. إنما هناك مناحي أصولية. وشؤون جوهرية. لاتنفصل عن الفكر على كر العصور - اتخذها الإسلام مرتكزا ومنهلا. لبسط أنواره ورؤاه.

ففي الحق. وقف الإسلام ضد الجهل. في كل آن وعند أي مقام. ما ذلك إلا لحصول العمى أمام عظمة الله تعالى. مع الجهل. لهذا ورد في الفرقان العزيز :

(إنما يخشى الله من عباده العلماء) (4).

ولئن دعا الإسلام إلى التمتع بالخيرات :

(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع كثيرة ومنها تأكلون) (5).

(يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) (6).

قلت : لئن دعا الإسلام إلى مثل ذلك. يكون هو الحاث بالتالي إلى طرق التنمية على تشعب ثناياها. وإلى مناحي التعمير وسبل التوفير. لذا فكل قضية من قضايا المعرفة الحق كيفما أتت نوعية تصنيفها في منظومة العلوم. يدعمها الإسلام. ويمدها بأيد منه.

ألا فسبحانه المبدع القائل :

(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها. ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود. ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء) (7).

يتضح أن (الشمولية) في منهج الإسلام المعرفي هي الأصل. فهو يعالج. أو يحث على التصدي للمشكلات غير الشرعية. وعلى بحث القضايا الشرعية كالفروض التي تصح بها العبادة. والمعاملة أيضا. فقد صدق الله سبحانه في قوله

(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) (8).

1) قضايا العقيدة والإيمان :

قال جل جلاله :

(قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) (9).

3) سورة النحل . آ = 43.
4) سورة فاطر. آ = 28.
5) سورة النحل . آ = 4.
6) سورة المائدة. آ = 87 - 88.
7) سورة فاطر. آ = 27 - 28.
8) سورة النمل. آ = 64.
9) سورة التوبة. آ = 122.

وقال سبحانه :

(أتعبدون ماتنحتون ؟).

وقال تبارك : **(لو كان فيهما الهة إلا الله لفسدتا)** (10).

تشير هاته الآيات الكريمة، وكثيرة مثيلاتها، إلى وجوب انتهاج الموضوعية العلمية كإقامة الحجة والتمسك بإعمال العقل عند كل محاولة لإدراك المسائل الجوهرية، حيث لا ينفع التقليد الأجوف شيئا.

وكما هو باد، جاء الإسلام منزها عما هو عبث وخسة وصغار، حين تناوله مسائل الفكر التشريعي وغير التشريعي اتل معي مثلا هاته الآية من القرآن الكريم المتحدثة عن الهدايا في الحج، لتدرك القصد من (القربة) هاته :

(والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير، فاذكروا اسم الله عليها صواف، فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون، لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) (11).

2) مشكلات التعامل البشري :

يؤكد الإسلام في عديد المناسبات ـ على أن تقام العلاقات بين الناس على دعامة التفكير. قال تعالى :

(وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا).

عند التوقف لاستثمار هاته الآية ينبغي البحث عن الوسائل التي تثري هاته الظاهرة الاجتماعية (التعارف) وذلك لاتقاء مصائب كثيرة مبعثها ضحل الزاد الثقافي، إن في الأخلاق والسلوك، أو في النظم الحياتية والتقاليد.

3) قضايا العلم :

لاخلاف في أننا نرى رأي الراسخين في العلم، من أن صلاح الأمة، رهن التفقه في العلوم : شرعية، وعلوم لسان، وتجريب والإسلام ينحو بمعتنقيه إلى تصيد الصواب، والحق، في كل ذلك، قال تبارك :

(ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله).

وفي هذا تأكيد على اعتبار التجرد هو المرقاة إلى الحقيقة والخير، والآية الواردة تثري هذا الاعتبار. قال سبحانه :

(ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) (12).

روى مالك في الموطأ أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «يارسول الله ولد لي غلام أسود، وإني أنكرته . فقال له رسول الله هل لك من إبل ؟ قال : نعم، قال : ما ألوانها ؟ قال : حمر. قال : هل فيها من أورق ؟ (لونه لون الورقة ـ بين البياض والسواد) قال : نعم. قال : فأنى ذلك ؟ قال : لعله نزعه عرق. قال : فلعل إبنك هذا نزعه عرق !».

في هذا ألفت نظر، إلى الفوائد الجمة المتأتية من صبغ مواقفنا، إزاء الحياة، بالنظرة العلمية، وفي مثالنا السابق، نجد أن تقدم العلم إلى عهدنا هذا كشف عن آفاق معرفية مغرقة في التطور ـ كالوقوف على كنه معنى (نزعه

---

10) سورة الأنبياء، آ = 22.
11) سورة : الحج، آ = 36.
12) سورة الإسراء، آ = 36.

عرق) بالتعرف على «الجينات» أي الموروثات. كمنطلق البيولوجيا الحديث النشأة (13).

هذا واني رميت. فيما رميت إليه. بقولي هذا. الى تبيان موقف الاسلام من القضايا العلمية التي حيرت الفكر البشري. فحركته نحو إيجاد الحلول لها. ومبتغاه في ذلك تطوير وجوده. وزيادة إحكام التصرف. واستغلال خيرات الكون.

والذي أصل إليه الآن هو أن الإسلام أعظم داع إلى الخوض في مثل تلكم القضايا. وحقا ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم من أن :

«من سئل علما علمه. فكتمه. جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار».

وصدق الخالق الرحمان :

(وقل رب زدني علما) (14).

(فلينظر الانسان مم خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب) (15).

ومما يثلج فؤادي. بالقاء نظرة سريعة على قوانين وآداب العلم والتعلم لأصل الى وجاهة دور العلم في بناء المجتمع :

1) البرهان : فالعلم الحقيقي هو المقام على تقديم المؤيدات. والا كان أماني وترهات. قال المولى وهو خير القائلين :

(وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى. تلك أمانيهم. قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) (16).

لقد نفر الإسلام من ركوب مركب الظن. والظن تصور لا يستند إلى دليل. حيث يبعد صاحبه الى وهم باطل. قال سبحانه :

(وما يتبع أكثرهم الا ظنا. ان الظن لايغني من الحق شيئا) (17).

2) العقل : قال تبارك :

(واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول. قالوا : حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا. أو لو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) (18).

فكما تعي. جاء الإسلام عدوا للتقليد الأعمى. لما فيه من ابطال للقدرات وركود. واقتراب من منزلة الحيوان. «فالقرآن يحتكم الى العقل وينعى على من لا يستعمله. فيذكر القرآن العقل باسمه وأفعاله. ما يبلغ زهاء خمسين

---

(13) «الجينات Genes - حبيبات متناهية في الصغر. توجد على هيئة أزواج داخل الكروموسومات. يبدو أنها المسؤولة عن نقل إمكانيات وراثية معينة وتنتقل الجينات انتقالا عاديا بدون ما تغيير من جيل إلى الجيل الذي يليه. ويقدر بعض العلماء. أن للإنسان بين عشرة الاف وثمانين ألف جين. ولكن عددا آخر من العلماء. يقدرها بين عشرين ألف وأربعين ألف جين. ولها قدرة على التكاثر والتبدل. كما يقدر العلماء أن أفراد النوع البشري كافة يملكون قرابة 90 ٪ من الجينات الخاصة بفصيلة الإنسان. وهذه متشابهة في كل أفراد الجنس البشري. أما الـ 10 ٪ الباقية فإنها تختلف من فرد لآخر بالنسبة إلى الجنس. ذكر أو أنثى. وبالنسبة للصفات العنصرية الظاهرة كلون البشرة وشكل الجمجمة ولون الشعر وكثافته ولون العيون وما إلى ذلك من الصفات» انظر الترجمة العربية لكتاب : أفاق المعرفة. فصل : الانثروبولوجي الحضاري ص 88.

(14) سورة طه. آ = 114.

(15) سورة الطارق. آ = 5. 6. 7.

(16) سورة البقرة. آ = 111.

(17) سورة يونس. آ = 36.

(18) سورة المائدة. آ = 104.

(19).

3) الأخذ بالأحسن :

تلك دعوة الإسلام للصعود بالمحتوى الحضاري إلى أوج الإدراك الأوسع على أسس التمحيص والمقارنة والنقد. وسبحانه القائل :

(الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب) (20).

4) المنهج القائم على التجربة والمشاهدة. قال سبحانه **(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)** (21).

وقال سبحانه :

(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) (22).

5) ديمقراطية التعلم :

يتيح الإسلام الفرصة للمشاركات، مهما كان منبعها، في التعلم وبث العلم، شريطة التقيد بالحق، ذلك لأن العلم وظيفة اجتماعية قبل كل شيء، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم يبرهن على هذا :

«نعمت العطية، ونعمت الهدية : كلمة حكمة تسمعها فتنطوي عليها، ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها تعدل عبادة سنة».

الرسول صلى الله عليه وسلم : «من سئل علما علمه فكتمه، جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار» ما ذلك إلا بحثا عن رفع مستوى الأمة الحضاري والإرتقاء به نحو الكمال.

قال الله سبحانه وتعالى :

(إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) (23).

حدث أن كان النبي صلى الله عليه وسلم مشغولا بأمر جماعة من كبراء قريش يدعوهم إلى الإسلام حينما جاءه - ابن أم مكتوم الرجل الأعمى الفقير - وهو لا يعلم أنه مشغول بأمر القوم - يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله. فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا، وعبس وجهه وأعرض عنه، فنزل القرآن يعاتب الرسول عتابا، ويقرر حقيقة القيم في حياة الجماعة المسلمة، كما يقرر حقيقة هذه الدعوة وطبيعتها :

(عبس وتولى، أن جاءه الأعمى، وما يدرك لعله يزكى، أو يذكر فتنفعه الذكرى، أما من استغنى، فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا انها تذكرة) (24).

6) قرن العلم بالعمل :

إذ لافوز إن لم يكن العلم مقترنا بالعمل، سلوكا كان أو إنتاجا. قال الله تبارك :

---

19) من كتاب : روح الدين الإسلامي - لعفيف عبد الفتاح طبارة. ط = 5. ص 249.
20) سورة الزمر. آ = 18.
21) سورة العنكبوت. آ = 20.
22) سورة النحل. آ = 78.
23) سورة البقرة. آ = 159.
24) سورة عبس. آ = 1 إلى 11.

(واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسمعيل، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) (25).

عقل يهندس ويوازن، وساعد يبني ويشيد، وقلب يسبح ويتعظ، إنه لتصوف مبرأ.

(يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) (26).

«وحينما كان هناك علم وعمل، كان هناك عطاء، وكانت هناك حضارة وقد أعطى القرآن مفتاح هذه الحضارة» (27).

والمعول، إثر هذه الجولة، هو أن غاية العلم مزدوجة بين إصلاح الفكر وإصلاح العمل، ولن يقام المجتمع بغير ذاك، يقول المولى عز وجل:

(والذين امنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم).

وهنا تشبيه للعلم بالنور يضيء السالك ويبصره.

وعلى رأي محمد إقبال:

(والحق أن سير الدين والعلم على اختلاف وسائلهما، ينتهي الى غاية واحدة، بل الدين أكثر من العلم اهتماما ببلوغ الحقيقة الكبرى) (28).

وإقبال يعني بالعلم، علم الفكر الأوروبي المعاصر، والظاهر أنه يرنو إلى إبراز الحقيقة المتداولة ألا وهي لاتناقض بين الدين والعقل.. أو هو يدعو إلى التشكيك في (العلمانية) كاختيار أساسي للمجتمع..

ولي أن أخلص من هذا، إلى التأكيد على ضرورة: أن نكفل لزاد السند الثقافي الأصالة والتميز من ناحية، والمعاصرة ومواكبة الحياة من جهة أخرى. علينا إذن توفير ذلك، بالانبثاق الواعي من الإسلام، ذلك أن الثقافة هي الزاد المغذي للفكر والوجدان والمطوع للسلوك، والمعين على صنع وتفهم عناصر الحضارة. فهلا وفقنا إلى التوفيق والربط بين المعارف المتعددة التي يزخر بها عصرنا، والتيارات الفكرية التي تستهوي شبابنا رغم لفحها (لانتمائها) بزمهريرها، وهلا وفقا إلى إنشاء تعادلية بين ذاك وبين أصالتنا العلمية والروحية ؟

وحسب ما يبدو لي، أن الحماية أو الوقاية من الأعاصير الثقافية الهوجاء، تمكن في خلق الشعور الحق بمعطيات ديننا الحنيف ورؤاه في المجالات الثقافية، كي تنشأ الحصانة الذاتية أولا، وبعد ذلك يأتي التفتح والتلاقح، إذ الحضارة أخذ وعطاء..

تونس ـ مصطفى بوهلال



25) سورة البقرة، آ = 127.

26) سورة المائدة، آ = 35.

27) مصطفى محمود: القرآن: محاولة لفهم عصري، ص 121.

28) رواد الوعي الإنساني، د: عثمان أمين ص 126.



رؤيا

للشاعر الأستاذ عبد الواحد أخريف

على سرادق ترنو نحوه الشهب ... وتستكين له العلياء والرتب

علا بأعمدة الأنوار لامعة ... يخاف مبصرها إن هم يقترب

تلألأت ببياض شابه قبس ... من اخضرار تغشى لونه الذهب

تشع بالأفق من دفقاتها قطعا ... من الضياء على لألائه عجب

وروضة الانس في أكنافها ضحكت ... جمالها البكر لم تحلم به السحب

ضمت من الزهر ما قد شاء مبدعه ... أن لا تراه عيون مسها الوصب

زهر من الملأ الأعلى نسائمه ... تحيى نفوسا لها في حسنه أرب

والفتية الغر من أهل التصوف في ... أعيادهم ليس يثني مدها تعب

تزاحمت فيه أفراج يعانقها ... من النعيم جزاء ليس ينقلب

يطوف بالقوم ترحابا وتكرمة ... ملائك الله في شوق به لهب

على السرادق محفوفا بهالته ... بدر يميزه أن ليس يحتجب

وحوله من رفاق الله كوكبة ... تكاد رؤيتها للبدر لا تثب

أبصارها من هوى الاجلال مطرقة ... تلم بالبدر حينا ثم تجتنب

سألت من هو ؟ قالوا : لست تعرفه ؟ ... كأن طيفك هذا الليل مغترب
هذا هو «السيد» الميمون طالعه ... من طبه غاضبت الأسقام والكرب
هذا هو الصوفي الأرضى الذي قبست ... أخلاقه من رسول الله ما يهب
هذا الذي عالج الأرواح فانشرحت ... من بعد ما هدها المكروه والكذب
هذا الذي في حماه الرحب قد صدحت ... بلابل الفن بالأشواق تنتحب
هذا الذي عزف الألحان سامره ... فاهتز شوقا إلى ألحانه الطرب
هذا الذي حلقات الذكر عاطرة ... لديه. والذاكرون الله قد عذبوا
إذا تصدرها هام المريد بها ... والتف من حوله العشاق والنخب
أهل الغرام غرام الله من نهلوا ... من حوضه فارتووا ياحسن ما شربوا
هذا الذي مجده في الأرض خافقة ... أعلامه . وعلاه دونه السحب
سد الطريق على التضليل فانطلقت ... بشكره في الورى الأفواه والكتب
هذا «ابن ريسون» زين الدار سيدها ... «عبد السلام» المشيشي الرضى الذرب
حديثه الشهد لا بل ليس يشبهه ... في ذوقه العذب لا شهد ولا ضرب
ذكراه تقطر طهرا كلما حضرت ... ريانة بالهوى القدسي تعتصب
قصيده نغم يختال في حلل ... من الأساليب يهفو نحوها الأدب
وجدانه الملهم المخمور كوثره ... رؤياه بالصور العذراء تصطخب
إن لامست قلب صب سال مدمعه ... وصاح : يارب إني جئت أحتسب
ربى النفوس على التقوى وهذبها ... فزال عنها غطاء الحس والحجب
وأصبحت عنصرا بالخير منهمرا ... يروي العطاش إلى المعنى إذا قربوا
له الحقيقة مدت نور حكمتها ... والشرع قام له في أفقه سبب
ومن يجمعهما قد عاش ملتزما ... حفت به نعم الرحمن تنسكب
سبط النبي أجاد الله نبعته ... وهل لغير سليل المصطفى نسب ؟
ذرية صانها المولى وطهرها ... فقام يلمع في أحداقها الحسب
أكرم بها من رؤى طافت بشائرها ... بالروح فيها غفوة بالغيب تختضب
ليت الرؤى في غياب الجسم صادقة ... كهذه من رحاب الله تقترب
بالروح تنكشف الأسرار ساطعة ... والجسم ما الجسم إلا أنه خشب

(٥ + ٥)

«تطوان» ياسعد «تطوان» يبوؤها ... مقام عز على هام العلا النجب

آل النبي الكرام الطيبون بهم ... عم السنا ربعها وازدانت الحقب

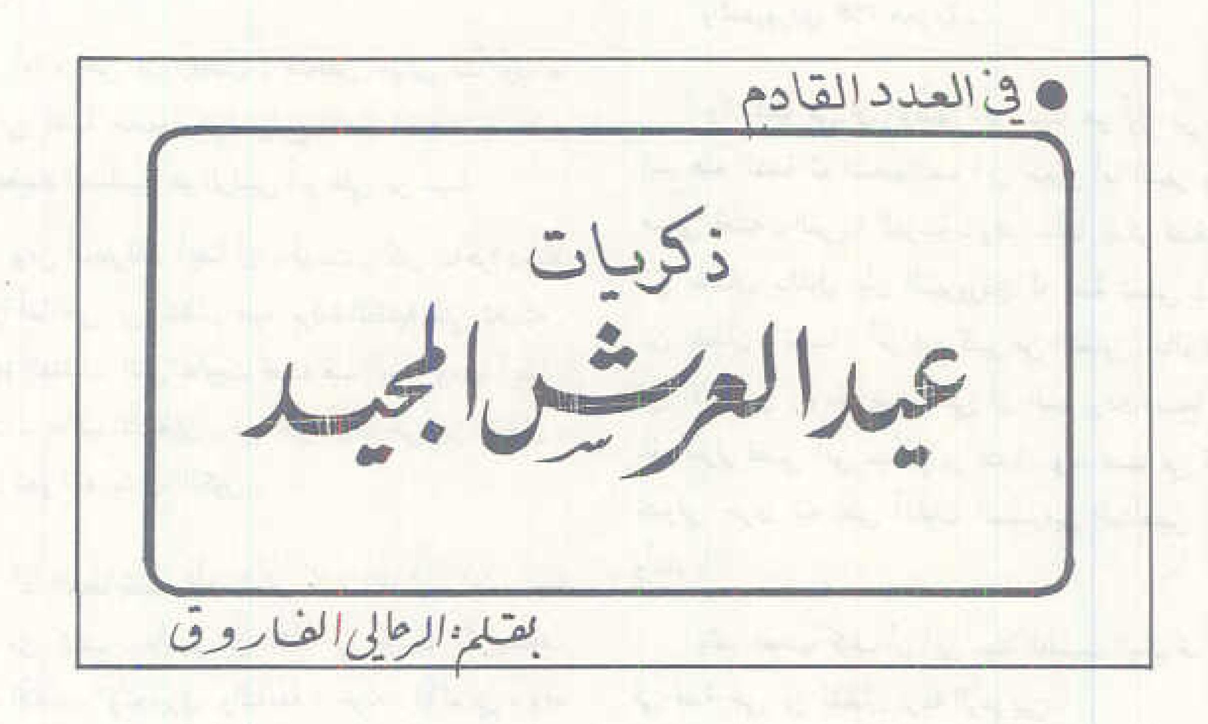
«عبد السلام بن ريسون» يتوجهم ... وتاجه يتلاشى دونه الذهب

ذكراه فيض وإلهام ومكرمة ... وموسم مدحه في حقنا يجب

إنا نمجد في الذكرى معانيها ... عسى بنا يقتدي الأُحفاد والعقب

إذا الشعوب أضاعت ذكر قادتها ... أصابها المسخ والتشويه والعطب

تطوان ـ **عبد الواحد أخريف**



الصفات الانسانية في قصة حي بن يقظان

للأستاذ عثمان بن خضراء

توجد بين قصة دكتور - فوست - في أدب الغرب وقصة - حي بن يقظان - في أدب الشرق جملة من المفارقات والمطابقات فمن المفارقات أن - فوست - شخص عاش في حدود القرن السادس عشر الميلادى - ولا يشك مؤرخ أو أديب أنه كان إنسانا من بني ءادم عاش بين الناس.

أما - حي بن يقظان - فشخص خيالى نشأ أول ما نشأ في عقلية خصبة وخيال واسع الآفاق اختصه به عظيم من عظماء المسلمين هو الرئيس أبو علي بن سينا.

ومن المفارقات أيضا أن - فوست - كان ساحرا دجالا شريرا أما حي بن يقظان ففيه براءة العقلية التي تخيلته - وبراءة العقليات التي عالجت قصته فيما بعد.. ومنها أيضا - فوست - حالف الشيطان - في حين أن - حي بن يقظان - تحول نحو الله بادىء الكون -

أما المطابقات فأهمها ان كلتا القصتين اهتم بهما أكثر من كاتب - وأشهر من كتب في فوست «كريستوف مالو» الأديب الإنجليزي. والنابغة - جوته - الألماني - وقد عقبا على سلسلة طويلة من الكتاب منهم من أرخ له ومنهم من ألف فيه المقالات أو قصائد الشعر - أما من كتب في - حي بن يقظان من المسلمين فثلاثة ،

الرئيس ابن سينا 428 هجرية ؛
الفيلسوف ابن الطفيل 506 هجرية -
والسهروردي 758 هجرية -

ولا شك في أن الرئيس ابن سينا هو أول من وضع إسم هذه القصة ثم انتحلها عنه ابن طفيل أما السهر وردي فسمى قصته - الغربية الغربية - وقد بدأها بذكر قصة حي بن يقظان بالقول بأن السهروردي له قصة تسمى - حي بن يقظان - تعيينا ، أمر فيه كثير من التجاوز.. مالم ننظر في الأمر من زاوية أخرى. هي أن السهروردي نسج قصة على غرار قصتي ابن سينا وابن طفيل. وقد صبها في قالب تصوفي جرى فيه على أسلوب المتصوفين المتأهلين تأملا وأسلوبا.

ولقد نعجب كيف أن ابن سينا الطبيب العالم قد نزع في قصة حي بن يقظان نزعة الرمزيين..

وخلاصة القصة عنده أن جماعة خرجوا يتنزهون إذ عن لهم شيخ جميل الطلعة حسن الهيأة ـ مهيب قد اكسبته السنون والرحلات تجارب عظيمة. هذا الشيخ هو حي بن يقظان ويرمز ابن سينا بهذا الشيخ إلى العقل وقد أكملت ممارسته بمر السنين وتعاقب الأعوام ـ

أما ـ الجماعة ـ التي أشار إليها فلا تنم عن أشخاص وإنما تنم عن الشهوات والغرائز والغضب والحقد والمكر والغيرة وسائر الصفات الإنسانية ـ

أما الجدال بين أفراد هذه الجماعة والتحدث إلى الشيخ حي بن يقظان ـ فعبارة عن المشاحنات التي تقع في العادة بين غرائز الإنسان وشهواته وعقله وضميره. بهذا يتضح لنا أن قصة ابن سينا جوهرها فلسفي تحليلي صرف جرى في قصها على الأسلوب الرمزي.. غير أن هذه القصة لا تخلو من أثر الرمزيات التي قد يدرك منها مفكر بمقتضى نحلته في الحياة..

فالعالم يفسرها على نحو علمي... والفيلسوف قد يفسرها على نحو فلسفي ـ ذلك بأن التقليد بمعنى الرمز كما أدركه الواضع الأول للعبارة الرمزية. أمر يكاد يكون مستحيلا لان الاتفاق على المعنى الذي قام في فهم كاتب العبارة الرمزية. تحجبه دائما غلالة من الاشتراك في المعاني يجعل التسليم القاطع بالمعنى الأصلي متعذرا فعلا...

فإذا قلت مثلا أن قصة ابن سينا جوهرها فلسفي جرى على أسلوب رمزي فذلك ما أدرك منها بمقتضى ميلي وبمقتضى الملكات التي غلبت على حياة ابن سينا العقلية «فإن ابن سينا بالرغم من أنه صاحب كتاب «القانون» في الطب الذي ظل العمدة في دراسة هذه الصناعة حتى أواسط القرن السابع عشر في جامعات أوربا وبالرغم من أن له ضلعا كبيرا في العلوم الأخرى كالهندسة والإرصاد الفلكية.. وله بحوث مبتكرة في الحركة والقوة والفراغ والضوء والحرارة والثقل النوعي.. فإن النزعة الفلسفية غالبة عليه في جميع ذلك.. ومن هنا كان الأثر الواضح في قصته..

على العكس من ابن سينا ينهج ابن طفيل نهجا منطقيا طبيعيا.. فلا يبدأ قصته بشيخ كبير ثابت التجربة يرمز به للعقل وجماعة يرمز بها إلى الصفات الإنسانية.. وإنما يبدأ قصته بطفل وليد في جزيرة نائية شب في حضن الطبيعة وتعلم منها واستخلص حكمتها فإذا استوعبت هذه القصة فلا يسعك إلا أن تتخيل الطبيعة بناحيتيها ناحية الجماد وناحية الأحياء تمر في خاطرك مصبوبة في قصة مترابطة الأسباب ـ

وحي بن يقظان طفل قدر له أن ينطرح على شاطىء جزيرة غير مأهولة فأرضعته ظبية حتى شب عن الطوق.. وأخذت كفايته الذهنية تشب مع الزمن وتنمو بالتجربة.. واكتسبت بذلك صناعة يدوية.. فصنع حذاء وملبسا من جلد الحيوان ودرس مواقع النجوم وحركاتها وشرح الحيوان حيا وميتا حتى بلغ اسمى مبلغ من المعرفة يمكن أن يستوعبه عالم طبيعي عاش مع الطبيعة وفي حضنها ـ وانتقل من العلم إلى الحكمة ثم إلى الدين... واستطاع أن يدرك بالتفكير حينا وبالتجربة أحيانا أن خالقا قادرا خلق الموجودات فانخرط في الباطنية والتصوف وعزف عن أكل اللحم حتى استطاع أن يندمج أخيرا في ـ العقل الفعال ـ مصدر جميع الموجودات ـ

وكان حي بن يقظان قد بلغ التاسعة بعد العشرين من عمره وأكمل عدته للجدل والبحث ـ

عند ذلك هبط الجزيرة ناسك اسمه ـ أسال ـ اختار أن ينزلها طلبا للعزلة عن الناس ولا تنس أن هذا الناسك

في قصة ابن طفيل يقابله الشيخ الجميل الطلعة الحسن الهيأة في قصة ابن سينا.

فلما التقى به - حي - استكشف لأول مرة خليقة الإنسان وتلقى عن - أسال - منطق البشر وسره أن يكون - حي - قد استطاع. غير متلق عن غيره. أن يدرك الله وقص عليه ما في الدين الذي يعتنقه أهل البلاد التي وفد منها من تخويف بالنار وترغيب بالجنة.. حتى يظل الناس عند حدود الفضيلة.

ومن ثم صمم - حي - على أن يذهب إلى تلك البلاد التي استظلمت ضمائر أهلها ليهديهم إلى الخير ويرفعهم إلى مستوى في الدين اقرب إلى الحكمة. وأدنى إلى الفلسفة الصحيحة. لاتنس أيضا أن أهل تلك البلاد في قصة ابن طفيل يقابلهم الجماعة الذين خرجوا يتنزهون في قصة ابن سينا.

وما أن هبط - حي - تلك الأرض حتى أخذ يبشر بمذهب وحدة الوجود. وخطب الناس في سوق المدينة فانكروه ولم يفقهوا كثيرا مما يقول. لا تنس هنا أن الناس هم الجماعة عند ابن سينا.. وهي رمز إلى الشهوات الإنسانية كما قدمنا.

وهنا عاوده الصواب. وعرف أن سواد الناس لا يهديهم غير عقيدة تقوم على الترغيب والترهيب والمعجزة والشعيرة الدينية. فلم يسعه إلا أن يعتذر عن التقحيم لا فائدة من التقحيم فيه... وعاد إلى جزيرته مصطحبا أسال. يعيشان مع الحيوان الساذج الوديع. ومع الطبيعة ، كتاب الحق ، ومع العقل الفعال يعبدان الله وينعمان بقربه من قلبيهما حتى إذا أدركهما الموت تقبلاه كانما هو سنة هنية في ءاخر النهار.

رأينا كيف اتصلت السلسلة في قصة - حي بن يقظان عند ابن سينا وابن طفيل لقد اتصلت لقرابة الصلة بين عقلية الفيلسوفين واتفاقهما في ناحية التفكير الفلسفي. وان اختلفا فانما يختلفان في سياق القصص وفي العناصر التي تتألف منها قصة كل منهما وان اتفقا في الغرض الأخير - مصبوبا عن ابن سينا في قالب رمزي تحليلي وعند ابن طفيل في قالب منطقي طبيعي. اما عند السهروردى فتنفصم الحلقة وهو شهاب الدين يحي بن حبشي. عرف بالمقتول تفريقا من ءاخرين غيره عرفوا بنفس اسمه. وربما لقب بهذا اللقب إشارة إلى أنه يستحق القتل والا لقيل انه - الشهيد -

كان متفلسفا صوفيا. درس الفقه ثم انتهى به الطواف إلى حلب وأشاع فيها تعاليمه الفلسفية ولكنه انحرف نحو القول بالحلول - وان العالم والله شيء واحد وجاهر برأيه فتألب عليه الفقهاء والعامة ومات مقتولا في سنة 758 هجرية وكان في نحو السادسة والثلاثين من عمره.

ولقد نرى من ذلك أن متجه السهروردي يختلف عن اتجاه ابن سينا والفيلسوف ابن طفيل فلا علاقة مطلقا بين تصوفيته وبين ما ذهبنا إليه في قصتيهما يشير إلى ذلك ختام قصته اذ يقول :

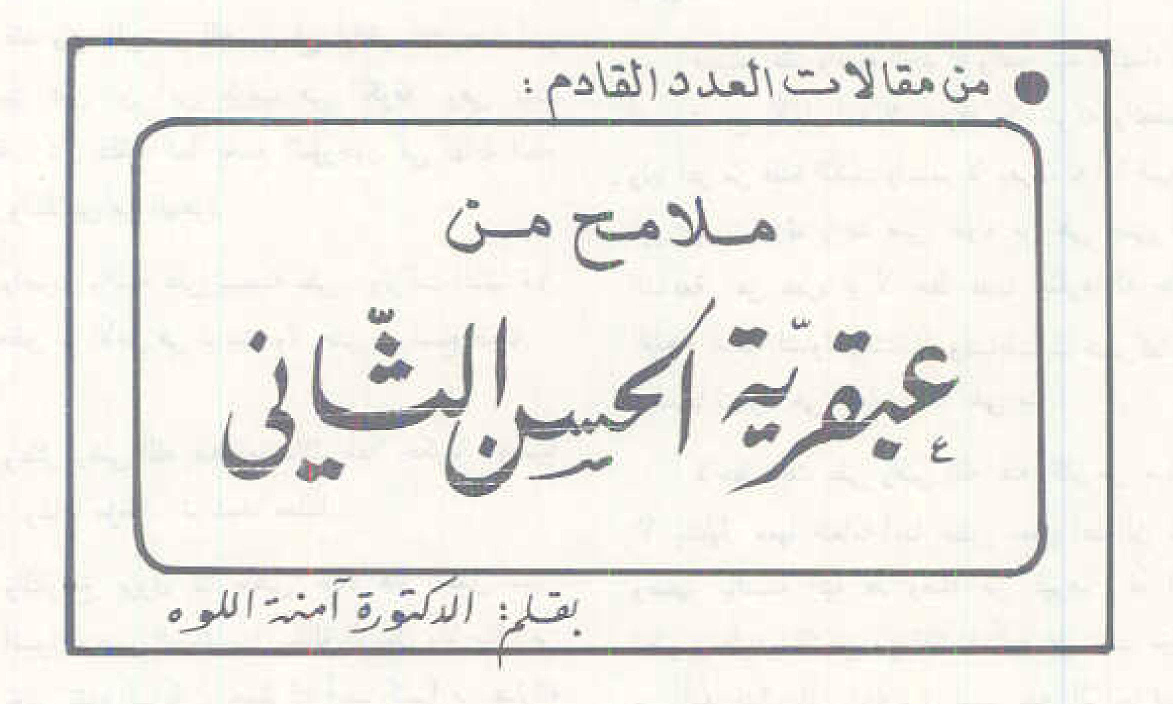
اعلم أن هذا جبل طور سينا. وفوق جبل طور سينا مسكن والدي وجده وما أنا بالإضافة إليه إلا مثلك بالإضافة إلي.. ولنا أجداد ءاخرون حتى ينتهي النسب العظيم إلى هذا الجد الأعظم الذي لا جد له ولا أم. وكلنا عبيده وبه نستعين ومنه نقتبس. وله البهاء الأعظم والجلال الأرفع.. وهو فوق الفوق. ونور النور. وهو المتجلي لكل شيء وكل شيء هالك إلا وجهه.

فأنا في هذه القصة إذ تغير على الحال وسقطت من الهوي إلى الهاوية بين قوم ليسوا بمومنين محبوسا في ديارهم وبقى معي من اللذة مالا أطيق أن أشرحه.. فانتحبت وابتهلت وتحسرت على المفارقة.. وتلك الراحة

كانت أحلاما زائلة على سرعة. نجانا الله تعالى من قيد الهيولى - أي المادة - والطبيعة -

وشتان ما بين الطريقتين فإن تصوفية السهروردي لأمعن في الألغاز من رمزية ابن سينا ولا شك في أن قصة ابن طفيل هي المقدمة عليهما.. وكان لها شأن كبير عند أهل الغرب.. فترجمها - بوكوك - في انجلترا بأكسفورد سنة 1671 - وترجمها - جوته - إلى الفرنسية. ثم عاد - أوكلي - وترجمها إلى الانجليزية في سنة 1709 - ثم توالت طبعاتها منذ ذلك التاريخ - ثم ترجمت إلى الإسبانية ونشرت في سرقسطة سنة 1900 -

ولقد انصفنا بعض المستشرقين فقالوا بأن هذه القصة هي التي أوحت لبعض الكتاب بموضوعات كتاباتهم مثل.. ديفو.. في كتابه - روبنسون كروزوبي -



شخصيات إسلامية:

زين العابدين علي بن الحسين

للأستاذ صلاح عزام - القاهرة

رضى الله عنه. على زين العابدين ابن الحسين بن على... كانت عليه مسئولية كبرى قبل الأجيال التى تخرج اباؤها من مدرسة جده - عليه الصلاة والسلام.. رغم ما أحيط به منذ مولده من مآسى والآم.

فقد ولد على بن الحسين في أواخر عهد جده أمير المؤمنين على بن أبى طالب في الكوفة.. وفي بيت الخلافة.. كان ذلك كما يجمع المؤرخون في نهاية العام الثامن والثلاثين من الهجرة.

واصرت والدته على تسميته على... وتركت الدنيا قبل أن يتحقق لها الأمل في تربيته ولا حتى ان تسمع صوته.

وعاش رضى الله عنه بعد ذلك طفلا حكيما... وصبيا بطلا... وشابا مؤمنا... ثم شيخا معلما...

والتاريخ يروى لنا خطى حياة هذا البطل سليل بيت النبوة، وجسر الحياة بين سلالة الرسول والأجيال من بعده حتى تقوم الساعة. ويحفظ لنا أيضا كثيرا من عباراته وتعاليمه ودروسه وحكمه.

والشيء الذى لا زم زين العابدين هى ملامح الحزن التي كانت تخيم عليه من غير أن يضيق به تلاميذه ولا أنصاره ومن الأيام الأولى لحياته وكان قلبه قد أحس بالمصير والخط الطويل من الحياة الذى سيسير فيه حتى يلقى الله.

فحينما فقد والدته اتخذ له والده سيد الشهداء مرضعة أصبحت مع الأيام أمه لا تفارقه ولا تتركه واتخذت منه ولدا أعز من فلذة الكبد. واستمر لا يعرف له أما غيرها ومن غير ان يقول له واحد ممن حوله من هى حتى ما قبل السابعة من عمره إذ لا حظ عليها ايثارها له حتى في الطعام تدعوه لتناوله وتتشاغل وتتباطأ ليأخذ كفايته أولا وبعدها تتناول هى طعامها مما بقى منه.

لاحظ ذلك على رضى الله عنه أكثر من مرة فأقسم الا يتناول معها طعاما أبدا. فظن بعض أهله أن حقيقة وضعها بالنسبة إليه قد وصله من غيرهم رغم الكتمان الطويل فأرادوا التيقن من ذلك فسألوه عن سبب موقفه هذا من «أمه» فقال «إنى أخاف أن تسير يدى إلى ما قد سبقت عينها إليه فأكون قد عققتها» وبهرت السائلين تفجرات

الحكمة عند الصبى الصغير فشجعهم ذلك على أن يخبروه حقيقة أمرها وانها مرضعته وليست والدته. فاعلموه حقيقة أمرها. فما تغير موقفه... وانما استمر في عواطفه متخذا إياها اما يحفظ لها حق الرضاع. وحق التربية.

ومرة الأيام....

والصغير يتعلم في مدينة جده عليه الصلاة والسلام بعد أن انتقلت اليها أسرته في اعقاب مقتل الإمام على فيأخذ من كل مجلس ما يذكر فيه من علم فيسارع باستيعابه ويتباحث فيه مع والده الامام الحسين رضى الله عنه حتى أصبح الصغير إماما. وعالما ولم يبلغ الخامسة عشرة من عمره.

وشهد كربلاء....

وكان مريضا أقعدته الحمى. وأبعدت بينه وبين الإشتراك في المعركة لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى هي ابقاء على الذرية من بيت النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وظلت السيدة زينب رضى الله عنها تمرضه والمعركة دائرة. وتروح تبحث عن أخيها الحسين لتعود وترفع عينا إلى الله أن يبقى هذا الصبى.. بقية الخلف.. وأمل الأهل.. في الرجل يحمل اسم محمد صلوات الله عليه والحمى تأكل الصبى مع هذا ولا يقدر على الحركة ومسك السيف مدافعا عن أبيه أو يموت دونه.

واشتدت الحمى على الصبى فطلب ماء يشربه فلا يجده ولا يمكن لأبيه الحسين أن يصل إليه فيأتي إلى ابنه ويراه على ما هو فيه فيغالب عواطفه وإنسانيته ويضمه إلى صدره في آخر عهده بالدنيا ويسأله في أبوة حانية «اى بنى ماذا تشتهى» فيجيب «يا أبى اشتهى أن أكون ممن لا يقترح على الله أن يدبر أمره... ويمسك الحسين رضى الله تعالى عنه دموعه ويتركه ليلقى ربه شهيدا.

وتنجلى المعركة عن أشلاء الشهداء ليساق إلى البيت مريضا مع الأسارى وكان أيضا الرجل الوحيد ولكنه يسير متحاملا على نفسه. وأوجاعه بعد أن أذهلته الفاجعة عما هو فيه.. ويصل الموكب الكوفة حيث رأى على زين العابدين أول خيوط نور الحياة ويدخل بهم إلى قاعة الحكم ليدور بينه وبين ابن زياد حديثا تهتز له جنبات الأرض في الكوفة ويهتز له قلب كل مسلم مومن لينهى ابن زياد الحديث بسؤال حفيد النبى عن «ما إسمك فيقول : أنا على بن الحسين. فيسأله ولكن أو لم يقتل الله على بن الحسين فيسكت الفتى ولا يجيب حتى يعيد بن زياد سؤاله فيقول قد كان لى أخ يقال له أيضا على فقتله الناس.

فيقول ابن زياد بل إن الله قتله فيمسك الفتى محتقرا زيادا ليختتم حديثه يقول : الله تعالى «الله يتوفى الأنفس حين موتها» وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله» ويهم ابن زياد بقتله لولا حماية السيدة زينب رضى الله عنها وموقفها البطولى فلا بد الحاكم الأموى إقامة إلا أنه بانصرافهم.. فيأمر بأن يطاف برأس الحسين إرجاء الكوفة ويساق آل البيت بعدها إلى دمشق على أن يكبل على بالاغلال في يديه وفي عنقه ويستعمل اتباعه تنفيذ أوامره لأنه مشغول.. حيث سيتم وليمة لبعض الأصدقاء.. وقد تأخر موعد الطعام ـ طعام الغداء ويريد أن يتخلص من آل البيت... ولا يملك على إزاء ذلك إلا أن يسأل الله دعاء يقول فيه «رب لا تمتنى حتى ترينى رأس ابن زياد وأنا أتغدى...».

وتنفذ أوامر ابن زياد.. ويصل موكب آل البيت إلى دمشق ويدور بين على وبين ابن معاوية مثل الذى كان مع ابن زياد فيحادثه بعد أن فك الاغلال عنه «ايه يا على بن الحسين أبوك الذى قطع رحمي وجهل حقى. ونازعنى سلطانى فمنع الله به ما رأيت فيرد عليه على بايات من كتاب الله «ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم

إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور» ويثوب يزيد الى رشده بعد أيام ثلاثة ويضعف أمام رغبات بعض الصحابة وأبنائهم في أن يستمعوا إلى على يتكلم قبل عودته إلى المدينة حيث اختار لتكون منطلقا لدعوته. ومكانا لمدرسته فلعلهم يسمعون صوتا يذكرهم بريح النبوة.. ويقف ابن الحسين الفتى الصغير على المنبر ذاكرا ما الم بيت رسول الله. ويصف مذبحة كربلاء كما رويت له فينحنى كل الموجودين خجلا ويرتفع صوت بكائهم حتى يضيق يزيد ويخشى العواقب فيأمر بالأذان الى الصلاة كي يوقف حديث ابن الحسين.. فيصمت علي وهو يستمع الى الآذان حتى يصل المؤذن إلى الله أكبر فيقول على لا شيء أكبر من الله. وعند أشهد أن لا إله إلا الله... فيقول «شهد بها قلبى ولبى ولحمى ودمى.. وعند أشهد أن محمدا رسول الله ينظر على إلى يزيد ويقول: فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وإن زعمت أنه جدى فلم قتلت عترته «وترك المنبر وعاد إلى المدينة».

وكانت هناك امام على رسالة عليه أن يؤديها. ان مهمة الثار لما أصاب بيت النبوة لم يكن في حسبانه بالقدر الذى تحتمه المسئولية الأخرى في ان عليه واجبا نحو ربه وحده ونحو الدين الذى يعيش عليه.. وهو أن يعيد إلى النفوس أصالتها والى الرجال شجاعتهم.. وان عليه أن يساعد كل مظلوم في أن يرفع الظلم عنه وأن يقف إلى جوار الدعاة وأن يمحو معالم النفاق... وأن يعلم الرجال كيف يكون رجالا. وبعدئذ ستتحرك قوافل الرجال لتهد الأرض من تحت أقدام بنى أمية وكل الطغاة وبتطهر المجتمع الإسلامي مما أدخله الأمويون عليه من فتن وعوامل هدم.

وأصبحت حلقة علم على زين العابدين مدرسة كاملة يتعلم فيها المسلمون دينهم ناصعا من غير زيف ولا زيادات.. يذكرهم بأيام النبي - صلى الله عليه وسلم.

علم الناس الا ينافقوا.. فقد دخل عليه قوم يسبون بعض أصحاب رسول الله ظنا منهم أن ذلك يرضى عليا فقاطعهم قائلا:

ألا تخبرونى.. قالوا بماذا نخبرك قال: «أأنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وتنصرون الله ورسوله. قالوا لا. قال: فأنتم الذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

قالوا لا قال أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا أحد هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم «والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا» ثم يقول لهم اخرجوا.

وعلم الرجال أن يكونوا رجالا حتى مع خصومهم في وقت محنتهم فاجار مروان بن الحكم وابنه عبد الملك عندما ثار أهل المدينة على بنى أمية. وهموا أن يقتلوا كل واحد يقع في طريقهم.. فاستجار زعماء بنى أمية ونساؤهم بزين العابدين فأجارهم وأمنهم وأطعمهم.. حتى عادت المدينة إلى حكم بنى أمية مرة أخرى. ولم يستغل الظرف في الفتك بهم.. أو على الأقل تركهم بلا معاونة فقتلهم أهل المدينة.

بل علم الرجال أيضا ألا يشيقوا في خصم وهو ضعيف.. فعندما عزل هشام بن إسماعيل المخزومى من ولاية المدينة ومثل به الوليد بن عبد الملك واوقفه ذليلا على باب الإمارة في المدينة ليقتص منه كل من ظلمه.. لم يكن يخشى الوليد أحد أكثر من على زين العابدين

وأنصاره وآل بيته لما لقوا على يديه.. ولكن زين العابدين يمر عليه ويلقى عليه السلام ويمد يده إليه مصافحا ثم يقول له رضى الله عنه «إن كانت لك حاجة فانى أقضيها لك. وإن كان عليك دين من ولايتك فإنى أسد دينك. فبكى هشام وهو يقول «الله أعلم حيث يجعل رسالته» ويمضي زيد العابدين وينهى أهله وأنصاره عن إيذاء هشام قائلا «إنه معزول وليست له قوة ونحن نستكبر ونعلو عن ايذاء الضعفاء».

وعلم الرجال أن لا يعطوا البيعة إلا لمن يستحقها.. فرفض أن يبايع يزيد ولا أى وال من بنى أمية من بعده رغم كل المحاولات من تهديد ووعيد.

بل انه علم الرجال أيضا أصول العبادات. وحدد للمتصوفة معالم يسيرون عليها... فقصده الاعلام منهم والتقى هو ببعضهم. ذهب إليه الحسن البصرى يطلب منه وصية تقربه من الله تعالى فقال له «يا حسن أطع من أحسن اليك وأن لم تطعه فلا تعصى له أمرا. وإن عصيته وأكلت رزقه وسكنت داره فاعدد له جوابا وليكن صوابا.

- وأتى يوما حجر اسماعيل فرأى الحسن البصرى يقف عنده. وحوله بعض نفر من المسلمين فقال له «اترضى يا حسن نفسك للموت ؟ قال. لا. قال فعملك للحساب. قال لا. فقال فثم دار للعمل غير هذه الدار قال لا.. قال فلم تشغل الناس عن الطواف.

- وقيل له أن الحسن البصرى يقول «ليس العجب ممن هلك كيف هلك... وانما العجب ممن نجا كيف نجا». فقال زين العابدين «وأنا أقول ليس العجب ممن نجا كيف نجا وانما العجب ممن هلك كيف هلك مع صفة رحمة الله.

• ورآه يوما واحد من كبار العباد يقال أنه طاووس بن كيسان الجندى وهو يصلى في خشوع ودموع فقال له «يا ابن رسول الله رأيتك على حالتك ولك فضائل ثلاثا أرجو أن تؤمنك من الخوف. فقال زين العابدين. وما هن يا طاووس. قال أحدهما أنك ابن رسول الله والثاني شفاعة جدك. والثالث رحمة الله.

فقال أما أنى ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يؤمننى وقد سمعت أن الله تعالى يقول فلا انساب بينهم يومئذ وأما شفاعة جدي فإن الله يقول «.. ولا يشفعون إلا لمن ارتضى» وأما رحمة الله فهو تعالى يقول «إن رحمة الله بن الحسين...

واستمر هكذا.. ابن الامامين. يعلم الناس.. ويدعوهم إلى الخير ويعرفهم ان لا خوف إلا من الله. وان لا خشية إلا من الله. وان الناس أحرارا.. فلا يستعبدهم الحكام. ولا يستعبد بعضهم بعضا ومن أجل ذلك رفع راية تحرير 100 ألف رقبة في جميع الأمصار.

وأصبح على زين العابدين أمل الكثيرين وأصبح لقاؤه رغبة ملحة لكل زائر للبيت في موسم الحج.. وكل زائر لقبر الرسول في المدينة.. حتى بلغ هذا الأمر قمته.. يوم حج هشام بن عبد الملك في ولاية أبيه وهو أحد أولياء العهد الأموى.. وأصر على أن يكون موكب حكيمه صورة وحدها لم ترها البلاد من قبل.. عددا. وأبهة وعتادا.

وفي مكة.. انفض الحجاج من حول موكب هشام.. واتجهوا الى على زين العابدين وهو يطوف. والناس من حوله يكبرون. فاغتاظ ولى العهد الأموى وتساءل عمن يكون هذا الذى التف حوله جميع الحجاج. رغم أنه يعرف من هو...

فهاج هذا التساؤل الذى ردده من حوله من استمعوا اليه واذا نفر منهم يبلغ بهم الغضب مداه إذ كيف يجهل انسان كائنا من كان زين العابدين الساجد. الإمام. على بن الحسين.

وتمر الأيام.. بالإمام زين العابدين.. حتى كان ذات يوم.. وقبل رحيله من عالم الأحياء.. أقام وليمة لأصحابه وزوار المدينة. وبينما هو مع أصحابه يتناولون الغذاء.. إذا بصوت منادى يقول بأعلى صوته.. يا أهل بيت النبوة وممن الرسالة ومهبط الملائكة ومنزل الوحى أنا رسول المختار الثقفى اليكم ومني رأس عبيد الله بن زياد...

فكف الجميع عن الطعام.. ودمعت عينا زين العابدين فقد تذكر ما مر به وبأهله.. وتذكر كربلاء.. وتذكر دعاءه إلى الله أن يره رأس ابن زياد وهو على الغذاء.. وطلب ابعادها عنه واستمرت الدموع تبلل لحيته.. دموع الشكر إلى الله.. وتذكر أباه وأهله.. فسأله بعض أصحابه أن يرحم نفسه من حزنه المستمر ويقول له واحد منهم (يا ابن رسول الله أما آن لحزنك ينقضى) فيقول زين العابدين رضى الله عنه (ان يعقوب عليه السلام كان له اثنا عشر إبنا فغيب الله واحدا منهم فابيضت عيناه من الحزن. وكان ابنه يوسف حيا في الدنيا وأنا نظرت إلى أبى وأخى وعمى وسبعة عشر من أهل بيتى وقوما من أنصار أبى مصرعين حولى فكيف ينقضى حزنى).

وأخيرا.. انقضى الحزن.. وانقضى العمر.. وفي سن والده الحسين.. وقبل أن يصل الستين من عمره.. رقد زين العابدين ينتظر لحظة النهاية.

ولما أحس ابنه الباقر محمد بن على أن أباه مقبل على نهاية الأجل سأله النصيحة فقال (لا تصحبن خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق.

فقال محمد : جعلت فداك فمن هؤلاء الخمسة ؟

قال : لا تصحبن فاسقا فإنه يبيعك بأكلة فما دونها.

قال محمد : يا أبت فما دون الأكلة ؟

قال : يطمع فيها الطامع ثم لا ينالها.

قال محمد : يا أبت ومن الثانى ؟

قال : لا تصحبن البخيل فإنه يقطع بك في ماله وأنت أحوج ما تكون إليه.

قال محمد : ومن الثالث ؟

قال : لا تصحبن كذابا فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب من البعيد.

قال محمد : ومن الرابع ؟

قال : لا تصحبن أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيسىء إليك.

قال محمد : ومن الخامس ؟

قال : لا تصحبن قاطع رحم فإنى وجدته ملعونا في كتاب الله في ثلاثة مواضع.

ولم تمضى أيام.. حتى توفى زين العابدين على بن الحسين.. وكان ذلك في العام الرابع والتسعين من الهجرة. ودفن في قبر عمه الحسن رضى الله تعالى عنه



تأليف: البرو ماتشوردوم
عرض وتعليق: الأستاذ عبد اللطيف عبد الحليم
(مدريد)

في ضباب التعصب المقيت، الذي يبسط سلطانه على ضمائر بعض الكتاب، فيتضح على أقلامهم جهلا مبينا، وحقدا أعمى ضد العرب والإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم - خرج في الشهور الأخيرة شعاع من النور تمثل في هذا الكتاب الذي نعرض له الآن «محمد رسول الله» لكاتب ليس من ذوي الأغراض والمآرب هو الشاعر الصحفي الأستاذ ألبرو ماتشوردوم.

وهذا أول كتاب عن نبي الإسلام باللغة الإسبانية. وقد كتب المستشرقون الإسبان عن الإسلام، وتعرضوا للفكر الإسلامي فلسفة وأدبا ولغة، ولكنهم لم يكتبوا عن «محمد» مؤلفا كاملا مثل هذا المؤلف. وكان بلاغ قول أحدهم في كتاب عن الفكر الإسلامي أن محمدا ليس بالرجل الأمي كما يزعم الكتاب العرب والمؤرخون !!!.. وهو قول بين البطلان سوف نناقشه في مقال خاص.

والكتاب قصيدة شعرية مطولة، وإن كتبت بالنثر. لقد تغلغل الكاتب في فهم الإسلام، وأحب نبي الإسلام، وعانقت روحه هذا القبس السماوي وساح - روحيا - مع ليل البادية العربية وتغنى بقمر الصحراء وهو يحلم على بحار الرمال هنالك.

ولا يعني ذلك أنه تجافى أسلوب البحث العلمي، فالمؤلف تسلح بأدوات الباحث المدقق مرتئيا ان العلاقة النفسية بين الكاتب والمكتوب عنه من شأنها أن تذيب جليد الزمن السحيق، وأن تفتح نافذة من الفهم الصحيح العميق.

يشتمل الكتاب على ثلاثة فصول في 315 صفحة من القطع الكبير هي :

- جزيرة العرب في العصر الجاهلي، وهو وصف جغرافي دقيق تناول فيه المؤلف الموقع والمناخ، والمناطق الصخرية، والحيوان، والنبات، ونظام الأمطار، ونظام الحكم عند البدو، وأفاض في الحديث بصفة خاصة عن الجمل والحصان في أسلوب شعري آسر، وتحدث أخيرا عن علاقة العرب بجيرانهم، وقد استغرق هذا الفصل 45 صفحة، ولعله كثير، لكن معظم الكتاب في أوروبا - كما تعودوا - يصيلون الى الحديث في مثل هذه المسائل ويبسطون القول فيها.

- الفصل الثاني بعنوان «محمد الإنسان» وفيه يتكلم عن قبيلة محمد ومكانتها بين القبائل في شبه الجزيرة العربية، ويتبع تاريخ قصي وإدارته شؤون البيت الحرام

وعن عبد المطلب حتى يأتي إلى المولد التاريخي مولد محمد صلى الله عليه وسلم، وعن مرضعته حليمة السعدية وكفالة عمه أبي طالب له. وعن زواجه من خديجة أم المؤمنين. واستغرق تقريبا 47 صفحة.

الفصل الثالث بعنوان : «محمد النبي» وفيه حديث مسهب عن الرسالة وعن الرسول وغزواته، ومعجزاته وأهمها القرآن، والاسراء والمعراج. وتعدد زوجاته، وعن الهجرة وعن حرية العقيدة الإسلامية وعن المهاجرين والأنصار، وموضوعات كثيرة جدا، اقتفى فيها الكاتب المصادر الإسلامية وأهمها سيرة ابن هشام. وأخيرا تحدث عن خطبة الوداع ورحيل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى بعد أن أكمل الرسالة وأدى الامانة.

هذا عرض سريع جدا لموضوعات هذا الكتاب الجيد، لا يغني بحال عن التجوال في تضاعيفه، والوقوف على أفكار المؤلف فيه وطريقته الرائعة في التعبير.

لكن لنا بعض الملاحظات التي لاتغض مطلقا من قيمة الكتاب، غاية الأمر أنها وجهات نظرقد تتباعد وتتقارب، وقد ناقشت المؤلف كثيرا كل يوم تقريبا وأحيانا أكثر من المرة في اليوم الواحد أثناء كتابته وبعد أن خرج الكتاب إلى الناس.

- لم يكتب المؤلف مقدمة لكتابه، مرتئيا أنه رسالة روحية لا يريد أن يقحم فيها نفسه متحدثا عن ذاته وعن صنيعه في الكتاب، وهي وجهة نظر أن أقنعت شعوريا إلا أنها غير مقنعة في مباحث العلم.

- كنت أود - وما زلت - أن يعرض الكتاب لغمزات الكتاب الأوروبيين الذين يلزمون الاسلام بأنه انتشر بحد السيف، ويلصقون بمحمد الرغبة الجنسية لأن لديه أكثر من زوجة، ودعوى أخرى قريبة نجمت من برشلونة تشكك في (أمية) النبي عليه السلام.

كان أحرى بالكاتب وهو الاوروبي المسلح بالمعرفة - أن يناقش أبناء عمومته وجيرانه. ولهذه المناقشة - ان حدثت - وقع مخالف، وتأثير طيب - مما لو صنعها عربي مسلم.

لكن الأنصاف يقتضينا أن نقول أن الكاتب عرض لهذه المسائل من وجهة نظر نزيهة مستقيمة وحرية بالتقدير والإعجاب، فقد قال ان السيف لم يستعمل إلا للدفاع عن العقيدة . وأشار إشارة منصفة إلى أن محمدا ظل مع خديجة وهو الشاب - وهي تكبره بأعوام كثيرة لم يفكر في غيرها، وأرجع الأسباب في هذه الزيجات إلى مسائل إنسانية من أهمها العطف البليغ على الارامل، لأن محمدا - الطفل - رأى أمه تموت وحدها في «الابواء» وهي مترملة بعد وفاة أبيه عبد الله، هذا عدا الأسباب الأخرى التي فصلها المؤلف.

وقد رأى المؤلف عدم التعرض لمناقشة الآراء المخالفة، لأنه يعتقد أن لهذا مكانا آخر، وكتابا مستقلا يفكر فيه الآن، وهي وجهة نظر.

تلك ملاحظات خاضعة للمناقشة، لكن ينبغي أن نتوقف قليلا عند ملاحظات من نوع آخر، وهي قائمة على الإعجاب بهذا الكتاب الجيد.

● لأول مرة في اللغة الإسبانية يقرأ القارئ الإسباني كتابا عن محمد أملته روح الإنصاف، والإعجاب بمحمد الإنسان والرسول لأن هذا القارئ يطالع في كتب الدراسة المقررة كلاما غير حميد، كلاما شائنا عن محمد عليه السلام أملته روح التعصب الذميم في زمن تخلى فيه الناس تقريبا عن التعصب، ولعلي أعود لمناقشة هذه المسائل ولدى الوثائق معدة لذلك.

- جاءت ترجمة المؤلف للآيات القرآنية في مكانها من الاستشهاد، كما جاءت ترجمة دقيقة إلى حد كبير، وان كانت الترجمة كثيرا ما تبعد عن النص الأصلي وبخاصة في كلام معجز مثل القرآن الكريم. لكن هذه الترجمة

بمقارنتها بنظيرتها شيء يحمد للمؤلف. وهو قابع الآن لترجمة القرآن الكريم كله. كما جاءت ترجمته كذلك للاحاديث النبوية والخطب النبوية على شيء غير قليل من الدقة والسلامة.

بقي أن ننقل للقارئ العربي نمطا من أنماط التعبير عند هذا المؤلف الشاعر. وسوف نحاول الابقاء على خصائص أسلوبه إلا ما يعسر فيه الالتقاء بين اللغتين. يتحدث المؤلف عن موت آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم في كلام دامع حزين فيقول :

الزمن ـ تلك الحزمة من الساعات والأيام والأعوام ـ لا يمر سواء بالنسبة للجميع.

لحظة من السعادة جد قصيرة.

ولحظة من الآلم شديدة الطول.

أتم محمد خمسة أعوام. خمسة أعوام قصار بالنسبة لحليمة. عرفت فيها طعم الرخاء والبهجة. فهي تعيش مع ذويها بما فيهم ابنها من الرضاعة وتلك خمسة الأعوام ذاتها ما أشد ما تطول. ليس لها نهاية تقف عندها بالنسبة لآمنة. انها تعيش وحدها إلا مع ذكرياتها الآسية . في كنف عبد المطلب مشتاقة إلى ولدها. فلذة كبدها.

خمسة أعوام سرمدية من الوحشة والأحزان

ان صبر الأم في سبيل صحة ابنها . شارف نهايته. والآن. ليس في ذرعها ولا ارادتها ان تظل بعيدة عن ابنها. فإن كان جو مكة وخيما. فلتبحث عن أماكن أخرى أفضل أهوية. لا صبر لها على قضاء أي وقت قصية عن ولدها.

هي تطالب بذلك بدون تسويف وبدون بيان حجج.

وحليمة ـ وإن كانت حزينة ـ تدرك منطق الأمومة. فذهبت مع محمد إلى مكة. وهو في أحسن حالاته صحة وقوة ونماء.

أم وابن. أرملة ويتيم. ذابا في عناق حار. انها قوة كائنين وأشواقهما قد باعدت بين حياتيهما الأقدار. وأقامت حواجز بينهما عبر خمسة أعوام.

كان عبد المطلب غائبا في ذلك الوقت. كان عليه أن يرحل إلى صنعاء ممثلا رسميا عن مكة في حفل تتويج الملك سيف بن ذي يزن الذي قد تسلم السلطة بفضل المساعدة التي قدمها له جيش فارس.

قررت آمنة وابنها أن يذهبا إلى يثرب في زيارة عائلية. صحبتهما فيها أم أيمن تلك الأمة الوفية.

الدرب طويل. أكثر من 400 كليومترا. بيد أن الرغبة في السفر معا. والأمل في أن يكون الجو هناك أكثر اعتدالا ونقاء مما يمنح الجسد عافية قصّرت من أمد المسافة ومشقات الأسفار. وها هما الآن في منزل أسرة عبد المطلب في يثرب في منزل بني النجار.

أيقظت يثرب دهشة بالغة في نفس محمد. بأشجارها المتكاثفة ونباتاتها وعناصرها الغذائية المتباينة ـ من بينها الخبز والحلوى ـ كذلك شدته بحيرتها الملأى بالمياه العذبة. مما أشعل في روحه الطفلة الرغبة العارمة في أن يستحم بها تحت رعاية أمه الرؤوم. التي تمتعت بهذا. وضحكت ضحكا لم تعرفه تقريبا طوال خمس سنوات.

هي أيام لا تنسى قضياها في يثرب. مرت خاطفة. انها مجاذبة أطراف في أحاديث السرور والسعادة.

لقد حفرت صورة يثرب في ذاكرة محمد. تستعصي على النسيان. للاسف البليغ حانت ساعة العودة إلى مكة. لعل عبد المطلب عاد الآن من صنعاء بأنباء عجيبة عن هذا البلد الأسطوري الذي يشوق خيال العرب.

ودّعا في حزن عميق ـ أهلهما الذين يعيشون في هذه المدينة العزيزة.

شرعا في العودة دون فرحة. وربما مع سوانح حزن منذرة.

سقطت آمنة مريضة في الطريق عند «الابواء» ـ وهي ضيعة ومخيمات ـ في منتصف الطريق بين مكة ويثرب.

لقد نبّ قلب آمنة عن تأثراته العميقة بيثرب. اثر خمسة أعوام من الوحدة والدموع. انها السعادة الحقة التي تمزق القلب الرقيق.

تسمرت نظرات آمنة في وجه ابنها. كأنما تريد ألا يغيم فيها أبدا ذلك الشعاع الذي تنتزعه عينا ولدها محمد.

تضغط عليه بذراعيها الواهنتين. اجتمع في وحدة مطلقة قلبان:

أحدهما قوي. فتي. حي. والآخر وهنان. لعله يحتضر.

رغبت آمنة إلى ابنها أن يتحدث إليها. والا يقطع حبل الكلام معها. وهكذا كل شيء يهون. بيد أن محمدا لا يجد الكلمات. انها صارت غصة في حلقه غدت نشيجا. يحس أن شيئا كريها سوف يقع. لكنه غالب نفسه. وأنشأ يتكلم. يقص طرفا من حياته في البادية. عن مراتع لعبه وأحلامه.

وبينما كان هو يتحدث كانت آمنة تصغي في وهن شديد. لقد شخ جسدها. وهي الآن لا تسمع ولا تتألم. فقدت عيناها شعاع الرؤية. وتوقف نبض قلبها. سقطت ذراعاها هامدتين بعد آخر عناق أمومي.

ـ في نشيج ـ فطنت أم أيمن إلى أنه الوداع . لامست عيني آمنة في وداعة. وأغلقت جفنيها.

استراحت آمنة في حمى الموت. شيء دقيق. جوهري. باق. يحلق في الأمد القصية. باحثا عن القرار الأبدي. قرار الحب الذي لا يوصف. عن السعادة والسلام. بلا تخوم زمان ولا مكان. بلا منغصات ولا آلام. بلا حروب وبلا خصام. عن السلام الحق الخالد الذي لا يكون إلا في يد الله.

تعذب محمد بدموع الصبي. ومشاعر الرجل. فقد أعز إنسان بالنسبة له على هذه البسيطة. فقد أمه. انه عذاب لاذع. لاعج يجتاحه.

انه الآن وحده في وحشة باردة.

يتيم. لاعائل. لا عزاء له. ازاء عدد هائل من المشكلات. ومتربة وآلام. وهو في عمر غض ـ ستة أعوام ـ يطلب دفء الأسرة. والرعاية والكنف.

يتأمل محمد في لجة من الدموع والنشيج شعائر جنازة أمه.

تولت أم أيمن. وبعض نساء المخيمات تجهيز جثمان أمه. على حين قام الرجال بحفر مقبرتها. فإن الكوارث في الصحارى تجد ـ رائعا ـ صدى تعاونيا.

المقبرة ـ ذلك الاخدود البسيط ـ موجهة شطر مكة. ولف الجثمان في الكفن بدون تابوت. فالبدو ليس في سنتهم اعداد خشب ولا معدن. وروى جسدها مستندا على جنبها الأيمن. وغطى بالرمال. ووضع على الحدث سعف من النخيل.

مشهد باك بالنسبة لطفل هو الآن بات يتيم الأب والأم.

وفي الطريق خلال العودة إلى مكة استغرق محمد متفكرا. مشاهد «الابواء» ظلت تحدق به طوال حياته. لقد كانت تجربة هائلة من الأحزان.

ظلت الأبواء على الدوام ـ ماثلة في ذاكرته وفي قلبه الطفل نبت عزم : حماية الارامل واليتامى أكثر الناس بؤسا وحزنا على هذه الأرض».

أنها صورة شعرية تدخل فيها الخيال بتوشياته. لكنها ترضي منطق التاريخ حين ترتضي خيال الشاعر والإنسان. والكتاب كله على هذا النمط فكرا وأسلوبا. ونحن نحيى هذا الكتاب الجيد. ونحيى مؤلفه الصديق الذي أعلن إسلامه وتسمى باسم «أحمد عبد الله». ونحمد له جهده. ونرجو له مزيدا من التوفيق.

مساهمة الإسلام في العلاقات الدولية

للأستاذ عبد الواحد الناصر

يهدف الاسلام الى توحيد البشرية فى ظل نظام قانونى واحد هو الشريعة الاسلامية . لكن الدولة الاسلامية ، كغيرها من الدول العالمية ، لم تشمل العالم بأسره . وقد مرت فى سياق تطورها بمراحل مختلفة بدات بالدولة — المدينة فى المدينة المنورة ، لتشمل بالتدريج الجزيرة العربية والبلاد المجاورة لها وأقاليم أخرى كثيرة فى آسيا وافريقيا وأوربا ، ثم أخذت بعد ذلك تتجزا الى وحدات سياسية مستقلة، الى أن قامت الدول الاسلامية الحالية التى حصل أغلبها على الاستقلال حديثا ، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية .

تطور الدولة الاسلامية بهذا الشكل جعل للعلاقات الدولية فى الاسلام وجهين ، الوجه الأول خاص بعلاقات المسلمين فيما بينهم ، والوجه الثانى خاص بعلاقة الدولة الاسلامية بالدول غير الاسلامية.

أما علاقة المسلمين فيما بينهم ، فوضعها الطبيعى الا تكون محلا لاى قواعد دولية ، اذا كان للمسلمين حكومة واحدة ، على اعتبار ان العلاقات بين أجزاء الدولة الواحدة تخضع للقانون الداخلى ، الذى هو الشريعة الاسلامية فى هذه الحالة . وهذا ما عناه الامام ابن تيمية بقوله « بلاد الاسلام بمنزلة البلدة الواحدة » (1) .

أما اذا كانت للمسلمين حكومات متعددة ذات سيادة ، فان ذلك يستدعى بالضرورة قيام علاقات دولية بين الدول الاسلامية المستقلة . وهذا ما حدث فعلا ، اذ أدى تجزؤ بلاد المسلمين على هذا النحو(2) الى اثارة قضايا دولية غير مطروحة فى نطاق الشريعة الاسلامية ، ولم تكن مطروحة فى الفقه الدولى

(1) انظر فتاوى ابن تيمية ، الجزء الرابع ، ص 185.

(2) منذ مطلع القرن العاشر بدات فتره من التفكك فى الدولة الاسلامية ، اذ ظهر خلفاء منافسون للخليفة العباسي فى مصر الفاطمية وفى بلاد الاندلس والمغرب والواقع ان الحكام المسلمين الذين تحدوا السلطة المركزية فى بغداد كانوا مستقلين استقلالا ذاتيا فى ممالكهم ، ولم تظهر بوادر الانقسام الدائم الا فى مطلع القرن السادس عشر الميلادي حين تجزأ العالم الاسلامي الى ثلاث وحدات سياسية مستقلة هي

الاسلامى ، كالقضايا المرتبطة بالسيادة الاقليمية ، مثل مشكلة الحدود بين البلاد الاسلامية ، وانتقال الافراد المسلمين من اقليم اسلامى الى آخر ، ومعاملة مواطنى كل دولة اسلامية فى الدولة الاسلامية الاخرى ، وتبادل الاعتراف بين الدول الاسلامية .

ان التوسع الاستعمارى الاوربى نقل الى بلاد المسلمين الافكار العلمانية . وكانت النتيجة حلول المفهوم الاوربى للاقليم ، وخاصة مبدأ احترام الحدود الاقليمية ، محل الفكرة الاسلامية العالمية التى لا تقيم وزنا للحدود بين البلاد الاسلامية . كما انه ادخل فكرة جديدة الى العالم الاسلامى ، وهى ان الارض جزء حيوى فى تركيب الدولة . وازاء هذا الوضع الجديد المتجافى مع فكرة عالمية الاسلام ، ووحدة دار الاسلام اختارت البلاد الاسلامية أو فرضت عليها التجربة التى مرت بها اوربا فى هذا المجال .

كل ذلك يبين ان معالجة العلاقات الدولية بين الدول الاسلامية التى نشأت نتيجة لحركة الاستعمار الاوربى ، تخضع لقواعد القانون الدولى العام بوضعه الحالى ، ولا صلة لها تقريبا بالنشأة التاريخية لهذا القانون ، لان معظم هذه الدول حديثة العهد بالاستقلال ولم تساهم فى انشاء او تطور قواعد هذا القانون بصفتها هذه ، وانخرطت بعد استقلالها فى عضوية المنظمات الدولية العالمية والاقليمية وفى الاحلاف العسكرية ، مما يضفى عليها صفة الاعضاء الجدد فى المجتمع الدولى .

اما فيما يخص علاقات المسلمين بغيرهم فقد كان من الطبيعى ان تنشأ مشكلة القانون الدولى عند المسلمين منذ ظهور دولة الاسلام ، وبسبب دعوة الاسلام الشاملة للبشرية جمعاء . وقد افاض فقهاء الشريعة الاسلامية والمفسرون فيما اتى به الاسلام من قواعد بشأن العلاقات مع الدول غير الاسلامية فى حالتى السلم والحرب ومعاملة اهل الذمة والاجانب وعالجوا ذلك فى مؤلفات خاصة مثل سير الاوزاعى (157 هـ) وكتاب الجهاد لعبد الله بن المبارك (187 هـ) والسير الكبير والسير الصغير لمحمد ابن الحسن الشيبانى (189 هـ) وسير محمد الواقدى (207 هـ) وكتاب الجهاد للطبرى (310 هـ) ورسالة الجهاد لابن تيمية (161 هـ) .

ان هذه المؤلفات — وغيرها من مؤلفات السير والجهاد لا تدع مجالا للشك فى ان الفقه الاسلامى كان أول فقه يدرس القانون الدولى كفرع مستقل عن الدراسات القانونية الاخرى ، وذلك قبل ظهور كروسيوس الذى يسمى باب القانون الدولى (3) بثمانية قرون .

وقد اشتملت الشريعة الاسلامية على ضوابط واحكام تكون نظاما متكاملا يحكم العلاقات الانسانية ، لم يصل القانون الدولى لمثلها الا بعد اربعة عشر قرنا (4) . وكان الاسلام خلاقا لقواعد جاءت أخيرا فى الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، وقانون البحار ، وقانون المعاهدات ، والقانون الدبلوماسى ، ومعاهدات

الدولة العثمانية ، والدولة الايرانية ، والدولة المغربية. وسواء أسفنا لوقوع هذا التجزؤ ، لانه تفكك لدولة عالمية تسودها الشريعة الاسلامية ، أم استحسناه بوصفه تطورا يتكيف باستمرار مع الاوضاع المتغيرة فى العالم الاسلامى ، فانه مما لا شك فيه ان هذا التجزؤ كان امرا لازما لبقاء الدولة الاسلامية .

(3) بعض العلماء الغربيين مثل بورغشتال Purgstall ينعتون الامام الشيبانى بأنه « كروسيوس المسلمين ». انظر الدكتور مجيد خدورى ، القانون الدولى الاسلامى، كتاب السير للشيبانى ، بيروت 1975 .

(4) للتفصيل راجع الدكتور حامد سلطان ، احكام القانون الدولى العام فى الشريعة الاسلامية ، القاهرة 1974 ، الدكتور مجيد خدورى ، المرجع السابق ، الدكتور محمد طلعت الغنيمى ، احكام المعاهدات فى الشريعة الاسلامية ، الاسكندرية 1978 ، على على منصور ، الشريعة الاسلامية والقانون الدولى العام، القاهرة 1962 .

جنيف الخاصة بمعاملة اسرى الحرب والجرحى والمدنيين (5) .

كما أن ضرورات الحياة فرضت على المسلمين ان ينظموا علاقاتهم مع الدول غير الاسلامية كعقد المعاهدات وانتقال الافراد لاغراض تجارية والتمثيل الدبلوماسي وغير ذلك من القواعد التي تستهدف العلاقات السلمية . ولذلك نجد في الفقه الاسلامي نواة لمعظم الاحكام التى تحتاجها الدول في علاقاتها الدولية وقت السلم ووقت الحرب .

---

(5) الدكتور محمود خيرى بنونة ، ضوابط العلاقات الدولية ، القانون الدولى العام ، الدار البيضاء 1978 ، ص 8 .

جائزة المغرب لسنة 1980

● بناء على البلاغ الصادر عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية التي اعلنت فيه عن « جائزة المغرب » لسنة 1980 ، وتبعا للاجتماع الاول لاعضاء اللجنة الموكول اليها اختيار المستحق او المستحقين لجائزة المغرب لهذه السنة ، اجتمعت اللجنة من جديد بجميع اعضائها ولجانها الفرعية بمقر وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية وقررت النتيجة الآتية :

ـــ منحت جائزة المغرب فى العلوم الانسانية والاجتماعية للسيد عبد المالك الشرقاوي تقديرا لكتابه (مؤشرات اجتماعية ـ اقتصادية بالمغرب) .

ـــ منحت جائزة المغرب في الآداب والفنون للسيد علال الغازي تقديرا لتحقيقه كتاب (المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع) لمؤلفه ابي محمد القاسم الانصاري السجلماسي .

ـــ اما فيما يخص جائزة المغرب للعلوم والرياضيات فلم تتسلم الوزارة اى ترشيح في هذا الموضوع .

وكانت لجنة التحكيم لهذه السنة تتالف من السادة :

الاستاذ محمد بن تاويت ـ الدكتور عبد العزيز ابن جلون ـ الدكتور عبد اللطيف بن عبد الجليل ـ الدكتور عبد الكريم الابيض ـ الدكتور عبد اللطيف بربيش ـ الدكتور عبد الهادي التازي ـ الدكتور عباس الجراري ـ الدكتور عبد الجليل الحجمري ـ الدكتور محمد حجي ـ الدكتور ابراهيم دسوقي اباظة ـ الدكتور محمد زنيبر ـ الدكتور عبد الله عديل ـ الاستاذ عبد الكريم غلاب ـ الاستاذ عبد الرحمن الفاسي ـ الدكتور رشدي فكار ـ الاستاذ محمد ميكو .

إلياس طعمة

أبو الفضل الوليد

الشاعر الذي فتن بحب العروبة فآثر الإسلام

(1941 - 1889)

للأستاذ عيسى فتوح

«إذا لم تكن عروبة إلا بالإسلام، فإنني عربي مسلم مؤمن. أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله».

«انني أموت كما عشت عربيا آملا مشوقا. وأود أن تضم جثماني تربة دمشق الطيبة. هناك تهيم روحي في البادية. وتنشق نفحاتها الطاهرة. وتطرب لهدير بردى. تلك رقدة أشتهيها وأعلل نفسي بها. وأراها خير مكافأة لي إذا كنت مستحقا».

هذا ما قاله الشاعر المهجري الياس عبد الله طعمه. أو أبو الفضل الوليد. كما شاء أن يسمي نفسه. بعد أن ترك المسيحية واختار الإسلام دينا. كما اختاره من قبله العلامة أحمد فارس الشدياق. لأنه جن بحب العرب والعروبة. وملك عليه هذا الحب قلبه وتفكيره وجوارحه كلها. فهو - كما يقول - لم يغير إسمه لأنه غير عربي. بل «لأنه ابتذل. وقصد به علم النبي اليهودي. فهذا الإسم حمله أحد أجداد العرب. وهو الياس بن مضر بن نزار».

ولد الشاعر الياس بن عبد الله بن طعمه عام 1889 في قرية «قرنة الحمراء» المجاورة لقرية «الفريكة» مسقط رأس أمين الريحاني. وبين الريحاني وأبي الفضل الوليد قرابة. لعل للنسب والمكان يدا فيها. فأم أمين من بنات عم الياس طعمه. وهكذا كانت العروبة عندهما فوق الجميع. ولأجلها فاه الياس بكلمة الشهادتين. الأمر الذي لم يفعله أمين.

درس في «عينطورة» ثلاث سنوات. ثم انتقل إلى مدرسة الحكمة في بيروت. حيث التقى فيها بزميله مارون عبود. فترافقا وتصادقا ثلاث سنوات أيضا. لكنه كان صديقا «تخشى بوادره. ذا عنجهية. ارستقراطي الطلعة في قنبازه الحريري الذي ينفرد بلبسه دون سائر رفاقه. فكأن العروبية فيه طبع لا تطبع (1)».

ترك المدرسة قبل أن ينهي دراسته. وعاد إلى قرنة الحمراء. فمكث فيها ثلاث سنوات. (1905 - 1908) قرر في نهايتها الهجرة إلى أميركا. علما بأنه لم يكن في حاجة إلى المال والسعي في سبيل الرزق. فزار في طريقه كلا من مصر وايطاليا واسبانيا والبرتغال. ثم حط رحاله في الارجنتين. فأقام سنتين حتى انتقل إلى البرازيل. واستقر

(1) جدد وقدماء لمارون عبود ص 230 - دار الثقافة - بيروت 1954.

في مدينة ريو دي جانيرو مدة اثني عشر عاما. وأصدر في 15 أبريل عام 1913 جريدة أسماها «الحمراء» تيمنا باسم قريته «قرنة الحمراء» وحمراء الأندلس. فعاشت أربع سنوات.

إسلامه :

يقول توفيق ضعون في كتابه «ذكرى الهجرة (2)

«...فقد بلغني في أكتوبر من عام 1916 وصف حفلة تجلى فيها الياس طعمه على قمة «كوركوفادو» وهو أعلى جبل في ريو دي جانيرو. حيث يقوم تمثال السيد المسيح باسطا ذراعيه لاقتبال القادمين إلى تلك البلاد هناك ـ بين نفر من الأصدقاء المعجبين. وعلى نغمات الإنشاد ، ورنين الأوتار ـ طهر من العجمة. وأصبح شاعرا عربيا لا غش فيه. إسما ومسمى. فنزل من تلك القمة يختال ببرد قشيب فضفاض من اسم قحطاني الصيغة والسبك والوقع. هو «أبو الفضل الوليد بن عبد الله بن طعمه» . ومنذ ذلك الحين أخذ يتجدد قلبا وقالبا. وغير إسمه في سجلات الحكومة البرازيلية رسميا».

عودته إلى الوطن :

عاد أبو الفضل الوليد إلى لبنان في أبريل سنة 1922 ليطفىء لهيب الشوق في نفسه. فقد كان يحن إلى بلاده العربية حنينا غريبا. ويتحرق شوقا إلى خدمتها بقلمه وهو مقيم فيها. وفي طريق عودته زار تونس والجزائر. وفي السنة نفسها رحل إلى القاهرة. فعرضت عليه مناصب رفيعة. لكنه أبى أن يتولى أي واحد منها. كما أقام فترة في المملكة العربية السعودية. حيث طاب له التغني بعروبته. والمفاخرة بإسلامه. فحل مكرما. ورحل موصولا.

ويتتبع الدكتور عيسى الناعوري(3) حياته بعد عودته إلى الوطن بتفصيلاتها. فيذكر أن الشريف حسين استدعاه لزيارته في العقبة ـ وكان قد خرج من مكة في الحجاز ـ فسافر إلى القدس. ثم إلى عمان. حيث رافقه الأمير طلال بن عبد الله والد الحسين (ملك الأردن الآن) إلى العقبة لزيارة جده. فأقام في الأردن ستة أشهر. وعرضت عليه مناصب عاليه في الدولة فرفضها أيضا. ثم غادر الأردن إلى سورية فالعراق. حيث احتفى به الملك فيصل. وأكرمه لمواقفه المشرفة من العروبة والإسلام.

انتدب عام 1929 لتمثيل لبنان في المؤتمر الشرقي الذي عقد في برلين لمحاربة الاستعمار. وبعد عودته منه أخذ يواصل الكتابة في الصحف. ولا سيما جريدة «الصفاء» التي كان يصدرها صديقه أمين ناصر الدين. ثم أخلد إلى العزلة والراحة بعد عام 1934. وقل نشاطه. فلم يعد يكتب إلا مقالات قليلة في جريدة «الحديث» إلى أن توفي يوم الثلاثاء في التاسع والعشرين من أبريل سنة 1941. ومن المصادفات الغريبة أنه هاجر إلى أميركا في أبريل. وأنشأ جريدته «الحمراء» في أبريل. ورجع إلى الوطن في أبريل. ومات في أبريل أيضا !.

أبو الفضل الوليد الشاعر :

لأبي الفضل الوليد عدة دواوين. طبع بعضها في البرازيل. وأعاد طبع بعضها الآخر بعد عودته إلى لبنان. لكنها مفقودة الآن جميعا. ولم يفكر ناشر بطبعها من جديد. بعد أن صارت هي وصاحبها نسيا منسيا. بالرغم من أنه لم يكن يسمع صوت غير صوته مجلجلا بالقومية العربية خلال الحرب العالمية الأولى. كما يعترف بذلك الشاعر إلياس فرحات.

نظم أربعة دواوين هي : «رياحين الأرواح»،«أغاريد في عواصف». «الأنفاس الملتهبة». «نفخات الصور» بالإضافة إلى «السباعيات». ملحمة «غافر ولبانة» التي نظمها ـ كما

2) ذكرى الهجرة ص 274 ـ سانباولو ـ البرازيل.

3) أدب المهجر صفحة 448 الطبعة الثالثة ـ دار المعارف بمصر ـ 1977.

يقول - من أجل مصر. وقد صيغت بأسلوب جديد. وطريقة مبتكرة. وذكر له بعضهم أسماء دواوين أخرى طبعت في المهجر ولم تصلنا مثل «الغربيات»، «والقصائد». كما عرب مـرحية «زوال الحب والملك» للشاعر الإنكليزي لورد بايرون شعرا. وطبعها في مطبعة «المصباح» بيروت. ولم يذكر عليها تاريخ الطبع. وكان يصر على تسمية نفسه بالشاعر «العربي» أبي الفضل الوليد.

ومهما يكن من أمر هذه الدواوين. فقد كانت لحمتها العروبة، وسداها القومية العربية المخلصة والغيرة عليها. ولا سيما في ديوان «الأنفاس الملتهبة» الذي نظمه خلال الحرب العالمية الأولى. فجاء صورة للفترة التي نظم فيها (4) طافحا بحب الاستقلال الذي حنت إليه الأمة العربية وحاربت من أجله. داعيا إلى جمع شمل العرب، وتوحيد كلمتهم. يقول في القصيدة الأولى التي صدر بها ديوان «الأنفاس الملتهبة» :

إلى كل شعب فيـه عـرق مـن العـرب ... كتبـت وهـذا الشعـب أحببـه شعبـي
تفرقـت الأقـوام والأصـل واحـد ... فحبـا بجمـع الشمـل يجمعهـم قلبـي
نعـم موطنـي لبنـان. لكـن مولـدي ... بـه عربـي، كالولـي مـن الحـب
فلا قـوم إلا العـرب لـي وأنـا لهـم ... علـى البـؤس والنعمـاء والسلـم والحرب

ويرى أن البلاد لا تنهض إلا بالسيف والقلم. فهما إذا عملا معا. استطاعا أن يفكا القيود. ويشقا الظلمات. ويؤكد أنه لا حياة للأمم بدونهما :

صليـل الظبـي. وصريـر القلـم ... لفـك القيـود. وشـق الظلـم
بدونهمـا لا حيـاة لنـا ... فهـذا وذاك حيـاة الأمـم

لكنه في مكان آخر يغلب السيف على القلم. فإذا نطق الأول سكت الثاني :

السيـف يخطـب فاسكـت أيهـا القلـم ... لا خيـر فـي الحبـر حيـث الدمـع ينسجـم

ويحملنا على جناح الذكرى إلى تاريخ المسلمين الأوائل. فيرى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينتصر على المشركين إلا بحد السيف. وإذا كان أخفق في معركة أحد. فقد استطاع أن ينتصر في معركة بدر على الكفر والشغب. مثله مثل الأسد لا يرتد إلا لكي يثب. وهذا أيضا صلاح الدين. ألم ينتصر على الصليبيين بحد السيف ؟ :

السيف منه صلاح الدين فاضربن بـه ... ان النبـي لنصـر اللـه قـد ضربـا
ان أخفق الحـق والإيمـان فـي أحـد ... فيـوم بـدر أزال الكفـر والشغبـا
أما تراجع محروسـا ومحترسـا ... فالليـث يرتـد أحيانـا لكـي يثبـا

ويحث العرب على النهوض من كبوتهم. والافاقة من غفوتهم التي طال عليها الأمد. وقد شطروا شطرين : شطرا هاجر عن أرضه. وشطرا ظل في أرضه ولكن ميتا. فكيف يمكن التئام الشمل ؟ :

4) جدد وقدماء - صفحة 236.

لـي أمـة شطــرت شطريــن شطر نـوى وشطـر مـوت، فكيـف الشمـل يلتئـم

قـد مـات أبناؤهـا حتـف الأنـوف علـى مرأى الألـوف، فلـم تنهض لهـم همـم

ثم يقرعهم بحدة وقـوة ليثوروا، وينفضوا عنهم غبار الذل، ويحطموا نير العبودية، ويثأروا لكرامتهم المهدروة، فقد كثرت ضحاياهم، ومع ذلك لم يحرك أحد منهم ساكنا :

سـلام أيهـا العـرب الكـرام وجـاد ربـوع قطركـم الغمـام

لقـد كثـرت مـن العـرب الضحايا ولـم يهتـز فـي الغمـد الحسـام

وحتـام المخافـة مـن علـوج لـهم ذم وليـس لهـم ذمـام ؟

وقد تخيل الأمة العربية راقدة، وهو إسرافيل ينفخ في الصور، لينهض جميع من في القبور، ومن هنا جاءت تسمية ديوانه «نفخات الصور» الذي قال في مقدمته :«إني نشأت مارونيا لبنانيا، وتخرجت من مدارس نصرانية كهنوتية، فكان أساتذتي قسيين ورهبانا، ثم تغربت في بلاد افرنجية وأمريكية أهلها لاتين، فمن يصدق أن من هذه تربيته، يشعر ويفكر بما لا يدور في خلد عربي مسلم في مكة... لقد كان الله ولي فيما كتبت لخير العرب والمسلمين، وقد تدرج حبي حتى جببت العروبة إلى الإسلام الذي هو روحها وجوهرها».

ثم يروى لنا قصة «رؤيا نبوية» طافت في خياله، وهو في حالة من الوجد الصوفي، فيقول :

تشوقت حتى زارني الطيف مؤنسا وأشرق نور الطلعة النبوية

فما إن يبلغ الجنة حتى يرى الملائكة على أبوابها قد لبسوا أفخر حلة، فيدخل ويشرب من رحيق الحور العين والولدان بأكواب من در، وقوارير من فضة، حتى إذا توغل في الجنة، بلغ حضرة من على العرش استوى فرأى :

غمامـة عليـيـن تستـر نـوره ترفـع رب العـرش عـن كـل هيئـة

ويتحير في ذلك الموقف، ويعجز عن الوصف، فيسمع صوتا يناديه :«دعوتك فاسمع أنت صاحب دعوة » :

وكـن منـذرا بيـن الـورى ومبشـرا وبلـغ جميـع المسلميـن وصيتـي

فشعـرك وحـي منـزل فـي الجهالـة كمـا نـزل القـرآن فـي الجاهليـة

تشجـع وأمـن يـا وليـد فأنـت لـي رسـول وفـي الابـلاغ فضـل الرسالـة

أنا المصطفـى المبعـوث للحـق والهـدى وقـد صحفـوا في مصحفـي كـل آيـة

وقـل لجميـع المسلميـن تجمعـوا وصونـوا وقـار الأمـة العربيـة

ويستمر أبو الفضل الوليد في البلاغ المبين، الذي تجلى في تلك الرؤيا، فيسدي إلى العرب نصائح صادقة لقنه اياها الرسول عليه الصلاة والسلام.

وينقطع الهاتف الآتي من عالم الغيب، فيجفل مرتاعا من الصمت، ويأسف لانقطاع الرؤيا، ولما شمه في جنات عدن من روائح طيبة، ويختم القصيدة بقوله :

وفـي الشعـر ريحـان وراح وكوثـر   فمـا فـي مـن رى وريـا لأمتـي

ان من يتصفح دواوين أبي الفضل الوليد يقع على عدد من المطولات الشعرية مثل : «المشرقيـة، والمغربية، والمقدسية، والشامية، والعراقية، والمصرية، والأموية، والأندلسية...» وقد عارض في هذه الأخيرة نونية ابن زيدون، وراح يلوم الغرب الذي يحاول أن يذل العرب والمسلمين قائلا :

العربيـات مـذلات فواطمنـا   كمـا تـذل الأناجيـل الفراقينـا
وللقلانـس هـزء مـن عمائمنـا   وهـي التـي حفـرت فـي عيـن ماضينا
فما لنـا قـوة إلا بسيدنـا   محمـد، فهـو يرعانـا ويحمينـا

والقصيدة بالاجمال إشارة لما كان للعرب من حضرة زاهية، ومجد عظيم في الأندلس، لذلك نراه يفاخر بهذا الماضي المشرق بقوله :

يـا أرض أندلـس الخضـراء حيينـا   لعـل روحـا مـن الحمـراء تحيينـا
كانـت لنـا فعنـت تحـت السيوف لهم   لكـن حاضرهـا رسـم لماضينـا
في البرتغـال واسبانيـة ازدهـرت   آدابنـا وسمـت دهـرا مبانينـا
وفـي صقليـة الآثـار ما برحـت   تبكـي التمـدن حينـا والعـلا حينـا
تلـك البـلاد استمـدت مـن حضارتنـا   ما أبدعتـه وأولتـه أياد ينـا
فأجدبـت بعدنـا واستوحشـت زمنـا   تصبـو إلينـا وتبكـي مـن تنائينـا

ويتبع الأندلسية بقصيدة «الدمشقية والصحابية والجندية» التي يحيى فيها الراية العربية قائلا :

بروحـي وأهلـي رايـة عربيـة   لهـا النصـر فـي سـود المعارك باسـم
حماهـا النبـي المصطفـى واتحبهـا   وناسجهـا جبريـل واللـه راسـم

ويختم ديوانه «نفحات الصور» رباعيات وسباعيات يبني قوافيها على حروف الهجاء، ويرى أنها «ملحمة العرب الكبرى، تفوق الملاحم التي نظمها اليونان والرومان بعظمة المعاني، ومتانة المباني».

لم يقصر أبو الفضل الوليد شعره على الحماسة والقومية فحسب، بل انطلق إلى مجالات أخرى، كالحنين، والشوق إلى الوطن، وفي دواوينه قصائد تفيض رقة وعذوبة كقوله :

يا نازحـا طـال عليـه الزمـن   هـلا تعللـت بذكـر الوطـن
فتبسـم النفـس لكـل المحـن   كنجمـة تطلـع فـوق الهضـاب
فـي سفـح لبنـان رعيناهـا
يا حبـذا الحمـراء والغابـتـان   يا حبـذا الصفصـاف والسنديـان
الذكـر لا يمحـوه طـول الزمـان   والنفـس لا تعلـم كيـف الذهـاب
مـا بيـن ذكراهـا وبلواهـا

إلا أن قصائده القومية تغلب عليها النبرة الخطابية المجلجلة، حتى لنسمع ونحن نقرؤها زمجرة العواصف، وقصف الرعود - كما يقول الدكتور الناعوري - والشعر الخطابي لا يعرف اللفظة الرقيقة، والعبارة الموسيقية إلا نادرا.

كان أبو الفضل الوليد غريب الأطوار، عصبي المزاج، فياض القريحة، لو شاء أن يجعل كل كلامه شعرا لفعل، ولأمكنه ذلك لأنه مفطور على الشعر، نظمه وهو صغير على مقاعد الدراسة، في الصف، في قاعة الدرس، في الكنيسة، وكأنه ما خلق إلا ليقول الشعر، ولذلك كثرت المطولات في شعره، واضطر إلى استخدام القوافي القلقة، والألفاظ غير الشعرية، غايته الأولى اصطياد الفكرة، ولا يهمه في أي قالب وضعت، لذلك قلما تقع في دواوينه على صورة بيانية مشرقة، أو لوحة جميلة إلا في القليل النادر، ومع ذلك يزعم أنه سبق جميع الشعراء من متقدمين ومتأخرين أحب الشعر صافيا لا جوازات فيه، ولا قوافي مكررة، ولم يستعمل كلمة أعجمية أودخيلة، وكان يصر على التحدث بالفصحى حتى في أموره اليومية العادية، وعلى أن يسمي نفسه شاعر العرب.

أبو الفضل الوليد الناثر :

ألف أبو الفضل الوليد أربعة كتب نثرية هي :

1 - «أحاديث المجد والوجد» وهو عبارة عن حكايات مستمدة من التاريخ العربي في الشرق والغرب، لحمته العروبة وسداه القومية، ثم يختمه بستة فصول سماها رسائل، انتهى بها إلى ما دعاه بـ «الفاتحة الوطنية»، وقد جاء فيها : «يا مالك السموات والأرض، وقابض الدول والسلاطين، خلص الشرق من الغربيين، ونجنا من مكايد الأجنبيين، واجعلنا متدينين غير مغالين، أحرارا مستقلين غير مسيطر عليهم ولا متفرنجين، فنعيش ونموت عربا سوريين».

2 - «كتاب القضيتين» : ويدور حول السياستين الشرقية والغربية، ويسدى فيه النصح لقومه العرب قائلا : «ليعمل للتوفيق أهل العصبية من المسلمين والنصارى، فيكونوا خير العاملين فمن الكبائر أن يخجل العرب النصارى أمام المسلمين، فما أجمل تعاون المسلمين والنصارى على الأجانب والخوارج».

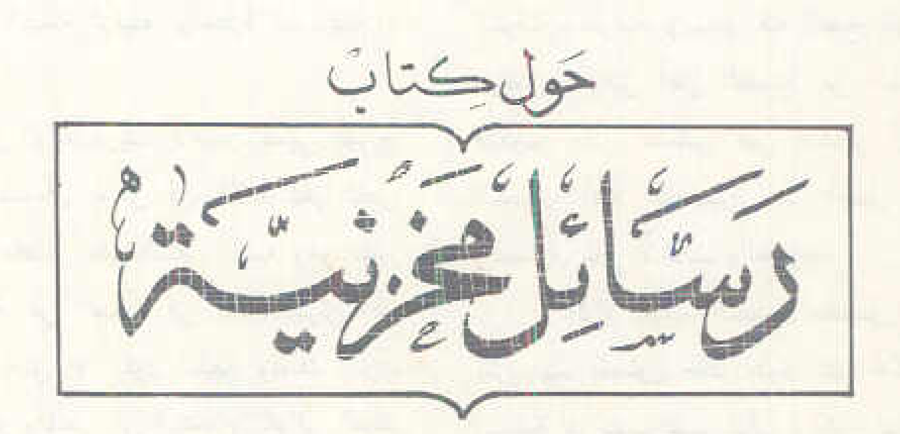
ان كرام العرب والنصارى مخلصون لأمتهم ، متعلقون بعروبتهم، يفضلون حكم بدوى على حكم أجنبي، ويرون المنقصة أن ينوب عنهم كهان، ويكون لهم منهم زعماء» إلى أن يقول : «لا أوطان في الوطن، ولا طوائف في الأمة».

3 - «كتاب المألك» - أي الرسائل : وقد تحدث فيه عن العلم، والفن والاجتماع، والفلسفة، وشؤون أخرى لا حصر لها، هي خلاصة تجاربه في الحياة والمجتمع والناس.

4 - «التسريح والتصريح» : وهو كتاب تعرض لمسائل لغوية، بدأ فيها غاية في التشدد فكأنه أراد أن يصفي اللغة العربية من كل عجمة، كما تعرض أيضا لمسألة الكتابة، فأثنى على الخط العربي، وأطرى جماله، وندد بدعاة العامية، ودعا جميع العرب إلى التكلم باللغة الفصحى، لأن جميع العرب يفهمونها بسهولة، وتحدث فيه عن ركاكة الكتب الدينية ولا سيما التوراة، ورأى أن في قصصها ما «يخجل من تلاوته الخليع، ناهيك عن أنه يعلم الفاسق ما يجهل، فحول وجهك عما فيها من دعارة بني اسرائيل، بل بني عزرائيل».

عيسى فتوح

اتحاد الكتاب العرب بدمشق



« رسائل مخزنية » هو عنوان كتاب جديد للاستاذ البحاثة الدكتور عبد الهادي التازي .

والكتاب يضم مجموعة من الوثائق الهامة التى من شانها ان تلقى اضواء جديدة على تاريخ المغرب فى فترة معينة .

خاصة وأن هذه الوثائق التى جمعها ومهد لها وعلق عليها الدكتور التازي تتعلق بفترة حاسمة من تاريخ وطننا .

تلك الفترة التى كان المغرب فيها محط صراع ونزاع لاطماع الدولة الاوربية ، وكان وضعه يتأرجح بين عوامل الانهيار وبين التمسك بالاستقلال ، والحفاظ على كرامة الوطن والمواطنين .

وحاول المغرب مخلصا فى هذه الفترة العصيبة من حياته التمسك بوحدة ترابه ، والتشبث بامجاده وكرامته والحفاظ على مقوماته التاريخية والحضارية والثقافية ..

ومن أجل الحفاظ على هذه المقدسات عملت الدولة على الاستعانة بالمخلصين من رجالها ، وجدت فى البحث عنهم هنا وهناك ، لتسند اليهم المهام الكبرى فى البلاد ، وخاصة منها ما يتعلق بشؤون المال ، لان المغرب فى هذه الفترة كان مثقلا بالغرامات الجائرة المفروضة عليه ، وبالديون التى تحمل عبئها من أجل تحرير الوطن من العبودية والاستغلال ..

وامام هذا الوضع كانت « أمانة المال » تعد من المسؤوليات الكبرى فى الدولة ، ولذلك كان السلطان الذي هو المسؤول الاول فى الدولة يتحرى غاية التحري فى اختيار (الامين) واهم الصفات التى كانت تخول لهذا المنصب الخطير هى الذكاء والخبرة والتيقظ والحزم ، كل ذلك بالاضافة الى الاستقامة والنزاهة ، والتمتع بالضمير الحى وحب الوطن والسهر على مصلحة البلاد ..

ومن المعلوم ان مثل هذه الصفات لم يكن من الميسور العثور عليها فى كل الناس .

والحقيقة ان الدولة وفقت فى اختيار عناصر آل (مخا التازي) تلك الاسرة التى قام المسؤولون ذات خبرة ومقدرة واخلاص وكان من بين تلك العناصر من افرادها بواجبهم نحو الدولة والبلاد .

وكتاب « رسائل مخزنية » للدكتور عبد الهادي التازي يعرفنا على افراد من هذه الاسرة تحملوا مسؤوليات ومهام كبرى فى الدولة . ويثبت الاستاذ البحاثة بما لا مجال فيه للشك ما كانت تتمتع به اسرة التازي من رضا وعطف سلاطين المغرب .

وفى هذا المجال جمع الدكتور التازي عدة وثائق كانت تحتفظ بها ملفات بعض البيوتات الخاصة بالمغرب .

وهذه المجموعة من الوثائق هى فى الحقيقة لا تعرفنا باسرة التازي فحسب ، ولكنها تعطينا نظرة عن نظام حكومة المغرب فى الفترة المشار اليها بالذات . كما تطلع الباحث المؤرخ على معلومات تاريخية تلقى كثيرا من الضوء على جوانب هامة من تاريخ بلادنا فى هذا الظرف .

وهى فى نفس الوقت تفيد الباحث عن اسلوب المراسلات الادارية ، وعن فن الترسل الذي درج عليه كتاب هذه الفترة .

ثم ان مجموعة هذه الوثائق تضم بعض النماذج من دفتر الحسابات ، أي تقييد بعض النفقات ، مع ذكر العملة المستعملة واجزائها وتسمية كل جزء منها باسمه الخاص ، وذلك مما يفيد الباحث عن تطور النقود المغربية .

وتضم وثائق الكتاب بالاضافة الى الظهائر والتعيينات والدوريات الادارية .. تضم بالاضافة الى ذلك نوعا من الرسائل الاخوانية والعائلية التى تعطى فكرة عن الروابط الاجتماعية بين الناس فى هذا العصر ، خاصة وان تلك الرسائل صادرة فى مناسبات تدل على صدق تعبير الذين صدرت عنهم ، كما تدل على نوع العلاقات التى كانت سائدة بين كبار الموظفين .

والكتاب بوثائقه العديدة يعد نموذجا لما يحتفظ به (الارشيف) المغربى من وثائق ومستندات يدل الحفاظ عليها على مقدار ما كانت تتحلى به الاسرة المغربية من روح حضارية وفكر ثقافى رصين.

ولعل كتاب الدكتور عبد الهادي التازي ما هو الا نموذج مما تتوفر عليه بعض البيوتات المغربية من وثائق بالغة فى الاهمية .

ونتمنى ان يكون الاستاذ البحاثة الدكتور التازي قد اعطى بكتابه هذا نموذجا لبيوتات اخرى تتوفر ملفاتها وخزائنها على وثائق ومستندات تهم الباحث المغربى كما تهم الذين يبحثون عن الحقائق بصفة عامة ..

وبعد هذا التقديم السريع أتعرض لشكل الكتاب : يقع التمهيد والتعليقات والتحليلات فى احدى وثمانين صفحة من القطع المتوسط ، هذا عدا صور الوثائق وصور بعض الشخصيات . والكتاب مطبوع على ورق صقيل جيد ، واعتنى فيه المؤلف بابراز صور الوثائق بكامل الدقة والوضوح .

ووثائق الكتاب تصل الى اكثر من مائة وثيقة من احجام مختلفة ، ومن بين هذه الوثائق بدت صور بعض الظهائر وهى محاطة بزخارف وبمظاهر العناية نظرا لقيمتها عند اصحابها .

كما بدت معظم الوثائق وقد كتبت بخط مغربى جميل .. وبعض الوثائق تحمل طررا على الهامش وتلك الهوامش هى فى الواقع تتميم لنص الكتاب .

وحلى المؤلف كتابه ببعض الصور ، منها صورة جيدة للسلطان مولاي الحسن الاول التى يبدو فيها وهو ما يزال ممتعا بشبابه ، وصورة اخرى للسلطان مولاي عبد العزيز ، وثالثة للمجلس الوزاري على عهد السلطان مولاي الحسن الاول ..

والى جانب هذا نرى المؤلف اثناء تعليقاته وتحليلاته ينقل عن مصادر هامة معاصرة .. مطبوعة ومخطوطة .. ويشير الى اقوال بعض الباحثين الاجانب فى الموضوع : فرنسيين وغيرهم .. كما يرد على بعض الاخطاء التى وقع فيها بعضهم ..

وكتاب « رسائل مخزنية » هو فى الحقيقة مساهمة جديدة يضيفها الاستاذ التازي الى اعماله القيمة فى ميدان البحث والفكر .. تمشيا مع رسالته الثقافية الهادفة .

حكاية واقعية من شاطئ الغيب :

10 شارع الملكة

للأستاذ احمد عبد السلام البقالي

كيف نسيت هذا الحدث ، لا ادرى !

انا الذى كتبت ما يملأ مجلدا مـــن الاحداث والقصص الواقعية التى رويتها عن العائدين مـــن منطقة الغسق .. تلك المنطقة الغامضـــة العـــامرة بالاسرار التى يلتقى فيها العالمان : الظاهر والباطن ، عالما الغيب والشهادة ..

قال لى صديقى محمد عيسى وهو يثقب سيجاره، وبشمه وينصت اليه !

ــ كيف نسيت هذه الواقعة وقد كدت تكون احد اطرافها ؟

قلت وانا اراقبه يشعل السيجار بعناية ، ثـم يدخل الجزء المشتعل فى فمه ، وينفخ فيه فيخـــرج الدخان كنافورة من الثقب ، ومعه غبار التبغ :

ــ لا ادرى .. ولكنى لم اكن بعد بدات اهتم بعالم الغيبيات والارواح .. اهتمامى بهذا الميدان ، بدأ فى الستينات بعد استقرارى بالولايات المتحدة .

واعاد السيجار الى فمه ، واخذ يمص دخانه ونحن ننتظر القصة بشوق كبير واخيرا بدا :

« حدث ذلك فى خريف سنة 1954 ، اى بعـــد سنة بالضبط من سفركم الى مصر .. وغادرت انـــا المغرب للالتحاق بكم هناك .

نزلت من الباخرة فى الاسكندرية ، وفى جيبـــى رسائلك الاخيرة الى قبل ان اغادر المغرب ، كانت عامرة بالتفاصيل والارشادات التى يجيب ان اتبعهـــا اثناء سفرى .. حتى ارقام الحافـــلات والتـــرام ، والعناوين بالتدقيق .

ولكن الذى كان يملأ راسى فى تلك اللحظة التى نزلت فيها من الباخرة بميناء الاسكندرية هو تحذيراتك الحمراء المتكررة من ذئاب الميناء ، وكلاب الجمارك ، والسماسرة والشيالين .. فما زلت اذكر ما تلته لى عن المبلغ الذى اخذه السماسرة منكم بالميناء ليخرجوكم من الجمرك وقسم الجوازات ! خمس جنيهـــات ! راسمال كامل ! اما انا فلم يكن فى جيبى ساعة نزولى على ارض النيل غير اربع جنيهات فقط !

وحرصت علـــى الا ادفـــع اى شىء لاحـــد .. واستطعت اجتياز الجمرك والشرطة بدون دفع قرش واحد ! ربما لاننى كنت ابدو لهم صغير السن ، وعديم المال .. فقد كنت احمل حقيبة ملفوفة فى لحاف مربوط حولها بشريط ، فلم يطمع فى احد ..

وفى المحطة سالت عن اول قطار الى القاهـــرة

فقيل لى سيقوم بعد ساعة .

وجلست على احد الارائك الخشبية الكبيرة انتظر .. واصبحت هدفا سهلا لسماسرة المحطة ، كلهم يريد ان يبيعنى سلعته ، او يمسح حذائى ، او يشترى لى تذكرة سفر .. وانا احرك راسى رافضا ومشيحا عنهم بوجهى .

ولم اشعر كيف جلس بجانبى رجل .. التفت فوجدته هناك .. كان فى حوالى الثلاثين او الاربعين ، نحيفا شاحب الوجه ، هادىء الملامح ..

ولسبب ما لم يزعجنى وجوده المفاجىء بجانبى رغم تحذيراتك الصارخة التى اكاد اسمعها من داخل رسالتك فى جيبى .

وجاء احد سماسرة المحطة وسألنى :

— هل معك تذكرة ؟

فقلت : لا ..

وحين عرض على ان يشتريها لى رفضت ، واشحت عنه بوجهى اشارة له بالانصراف ، ولكنه اصر على خدمتى رغم انفى .. فاشار الى شارة نحاسية على صدره ، وقال :

— انا شغال رسمى هنا — فلا تخف .. سأشترى لك التذكرة الى اى بلد تريد دون حاجة منك للوقوف فى الصف .. انا اعرف البيه الذى وراء شباك التذاكر !

وحين لم اقتنع خلع شارته النحاسية ووضعها فى حجرى ..

والتفت الى الرجل الجالس بجانبى التمس مساعدته على تخليصى من هذا المساعد الثقيل ، فحرك لى راسه وقال :

— لا تخش شيئا — اعطيه خمسين قرشا ليشترى لك التذكرة .

ودون ان اراجع تحذيراتك ، مددت للرجل الخمسين قرشا ، وقلت له :

— درجة ثالثة من فضلك !

وفعلا عاد الرجل بعد بضع دقائق بالتذكرة والرد ، فأعطيته خمسة قروش بقشيشا ، وشارته النحاسية ، فانصرف شاكرا .

والتفت الى الرجل ممتنا فابتسم ظل ابتسامة ، وسألنى :

— من اين حضرتك ؟

— من المغرب .

ثم صححت :

— من مراكش ..

فحرك راسه فاهما :

— محمد بن يوسف ! والجلاوى وبن عرفة — علال بن عبد الله — الى غير ذلك من اسماء الاشخاص والاماكن التى اقترنت بمعركة استقلال المغرب .

وفى القطار وجدت نفسى مرة اخرى فى نفس الغرفة مع ذلك الرجل النحيل الشاحب . فابتسم لى وحيانى تحية من يعرفنى — وظل صامتا طول الطريق ، لا يتكلم الا اذا خاطبته . ورغم صمته ، فقد اخرج لى من جيبه بطاقة وقال :

— خذ هذه ، اذا احتجت الى اى شىء اتصل بى بهذا العنوان .

ووضعت انا البطاقة فى محفظتى متاكدا من اننى لن احتاج اليها ..

وحين وصلنا محطة باب الحديد بالقاهرة سألنى :

— الى اين انت ذاهب ؟ هل تعرف احدا بالقاهرة .

وحين اجبت بالايجاب سألنى :

— هل تعرف كيف تصل ؟

فأخرجت الرسالة ، وقرات له العنوان :

— بيت المغرب — شارع السلولى رقم 12 — قبالة (كلية البنات) ترام (15) او اوتوبيس (6).

فقال :

اتبعنى اذن .. ذلك هو اتجاهى .

وركبنا الترام الى (الدقى) .. وظهرت لى المسافة بعيدة جدا ، فلم اكن عشت قبل ذلك فى مدينة فى ضخامة القاهرة واتساعها ، وبدات اشك فى اتجاه الترام ، رغم أن رقمه (15) ، وفى المحطة التى ينبغى ان أنزل فيها .

وبعد ما يقرب أو يزيد عن العشر كيلو مترات نزلنا . وساعدنى الرجل النحيف فى حمل حقيبتى الى شارع السلولى ، ولم استرح وتذهب وساوسى حتى قرات اسم الشارع على الحائط ، ورايت لوحة كلية البنات ، ومقابلها (بيت المغرب) بحديقته الجرداء ونوافذه المكسرة الزجاج ..

وكنت انت جالسا فى البلكونة فنزلت مع صاحبنا احمد الرياحى وتباقبكما تطقطق على الرخام كاللقالق حتى تعانقنا على الباب .. وخرج عدد من الطلبة الذين كانوا يعرفوننى فاجتمعوا حولى وهم يلبسون البيجامات والشباشب والقباقب ، كما يجتمع المعتقلون على الاسير الجديد .

والتفت حولى بحثا عن الرجل الذى جاء بى هنا لاشكره ، واقدمكم له ، ولكنه اختفى وكأن الارض بلعته .. وجريت لالحقه قبل ان يلوى الشارع فلم اجده ..

وسألنى الرياحى عما أبحث فقلت له عن الرجل المصرى الذى تطوع لمرافقتى ، فقال آسفا :

ـ خسارة ! كان لا بد ان نشكره حقيقة ! هل تعرف اسمه ؟

فقلت :

ـ لقد ترك لى اسمه وعنوانه . واخرجت من محفظتى بطاقة كان أعطانى اياها فى القطار للاتصال به فى القاهرة اذا احتجت لشىء .

وقراها الرياحى ، وقال :

ـ 10 شارع الملكة .. أعرف هذا العنوان ـ ليس بعيدا من الاسعاف .. غدا لا بد ان نذهب اليه ، ونشكره ، فأمثال هذا الرجل قليلون !

ودخلنا بيت المغرب ، وسهرنا تلك الليلة على اخبار المغرب ، والفدائية ، ورسائل العائلة التى حملتها اليكم .

وفى الغد لم ينس الرياحى وعده ، وهو كما تعرفه ، حريص على أصول اللياقة والآداب الاجتماعية. وكنت انت مشغولا بعمل ما ، فلم تذهب معنا ، وركبنا الترام الى شارع الملكة ، ونزلنا عند المحطة القريبة من عنوان صاحبى ، وبحثنا عنه فعثرنا عليه بسهولة .. كان دكان حانوتى ـ دافن أموات ! وسألنا عن اسم صاحبنا ، فسألنا صاحب المحل بدوره بنوع من الفضول الممزوج بالاستغراب .

ـ كيف عرفتموه ؟

فأخرجت له بطاقته ، فنظر الى البطاقة ، وسألنا :

ـ من اعطاكم هذه ؟

ـ صاحبها بنفسه .

ـ متى ؟

ـ بالامس وانا قادم معه بالقطار من الاسكندرية.

ـ مستحيل !

ـ لماذا ؟

ـ هذا الرجل كان صاحب هذا المحل فعلا قبل ان آخذه انا ..ولكنه مات منذ سنة ! انا الذى جهزته للدفن بنفسى ..

فلما وصفته له فتح الرجل فمه عجبا ، وغرق فى تأمل عميق !

واخذت انا البطاقة من بين انامله وتركته لتأملاته .. »

قراءة في كتاب :

جولات في الفكر الإسلامي

تأليف : الأستاذ عبد الله كنون
عرض : الأستاذ محمد الرقيوق

من المعطيات الكبيرة والدرر الخالدة في مسيرة الفكر الإسلامي الحديث كتب الأستاذ عبد الله كنون التي هي الوجه المشرق ضد قوى الجمود والتخلف وهي الأثر البارز الذي يمثل تحديا كبيرا ضد الصراع والتيار المتواجد في حياتنا البارزة. وكتاب جولات في الفكر الإسلامي مجموعة من الفصول التي تتناول بالدرس والتحليل مواقع من القضايا المتعددة واللجوء إلى بناء حضاري اسلامي الذي سيضمن النجاح وتنهض به أمة الإسلام نحو الرفاهية والمجد. وقلم الأستاذ كنون يتميز قبل كل شيء بالنقاء والأصالة ويسير على درب اليقظة المباركة مع الالتزام الشديد بالإيمان والثبات وبوعي شمولي نحو قضية الدفاع عن كرامة المسلمين في شتى أوطانهم. تتحدث مقدمة الكتاب عن المشاكل التي تطرحها الحضارة الغربية على مجتمعنا الاسلامي كقضية المرأة ونظام الحكم والتنمية الإقتصادية مع تسليط الأضواء على نظر الاسلام فيها بما يزيل كل شبهة ولا يبقى لغيره صلاحية. ومن المواضيع التي يحتويها الكتاب : ذكرى نزول القرآن وتحقيق في تاريخه. يقول الاستاذ : ونزول القرآن الكريم على النبي (ص) هو باتفاق المسلمين كان منجما أى مفرقا بحسب الوقائع التى تقتضي نزول ما ينزل منه أما جوابا عن سؤال وجه إليه (ص) أو حكما في قضية عرضت عليه أو ردا على زعم من مزاعم المشركين في مسائل الاعتقاد والبعث والجزاء أو نقضا لمطعن من مطاعن اليهود والنصارى في الرسالة المحمدية والدين الاسلامي. وينتقل إلى معجزة القرآن فهو معجزة خالدة باقية على مر الزمن تقيم له الحجة على البشر وتؤيد دعوته بما تأيدت به الدعوات التى سبقته من الأمور الخارقة للعادة ويتعرض الكتاب إلى الحديث وقيمته العلمية والدينية ويقول الاستاذ عبد الله كنون لعل علم الحديث رواية ودراية هو مما تتمثل فيه العبقرية الاسلامية أكثر من غيره من العلوم حتى الفلسفة وعلم الطبيعة والرياضيات اما فيما يتعلق بأصل علم الحديث فهو أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله ونومه

ويقظته وحركاته وسكونه وقيامه وجوده واجتهاده وعبادته وحيرته وسراياه ومغازيه ومزاحه وجده وخطبه وأكله وشربه ومشيه وسكوته وملاطفته أهله وتأديبه فرسه وكتبه إلى المسلمين والمشركين وعهوده ومواثيقه وأنفاسه وصفاته ويشتمل هذا الموضوع على كشف بأسماء الكتب التي يرجع اليها الفضل في تدوين العلم ولقد رتب الإمام مالك كتابه الموطأ على الأبواب والمسائل فهو يخرج الحديث الشاهد في أول الباب أو في أثنائه ثم يخلل الباب بالآثار والأقوال الثابتة عن الصحابة وأئمة السلف ويمضي المؤلف قائلا : لقد كان عملهم في تدوين الحديث مبادرة علمية بالمعنى العام الذي يشمل علوم الحياة بأجمعها وعلى صفحات الكتاب يتعرض عبد الله كنون للايمان فيقول انظر إلى الإيمان جاء في القرآن الامر به والزام كل واحد أن يملأ منه قلبه ثم بينته السنة بقوله (ص) الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره كذلك الإسلام والإحسان ويمضي المؤلف متحدثا عن الدين والشباب مبرزا عدة جوانب منها الدين عند شباب العصر وكيف بقيت الفلسفة الإسلامية إلى وقت قريب تدرس في معاهدنا بجنب الفلسفة القديمة ويشير الى كيف يعمل المسيحيون على تنشئة ابنائهم منذ الصغر على عقيدتهم وترابط اسبانيا الكاتوليكية في حصن غرناطة مطاردة الاسلام حتى في نشرات الأطفال بعد أن أجلت اتباعه عن هذا الحصن بعد قرون وصدق رسول الله (ص) حين قال «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» ومن المواضيع السالفة الذكر يطالعنا موضوع حول مستقبل الإسلام بين أبنائه ويمضي قائلا : وفي البدء لم يكن حماة الإسلام يواجهون مانواجهه الآن من أنظمة سياسية ومذاهب اجتماعية واقتصادية متكاملة وانما كانوا يصطدمون بأقوال ومطاعن على تاريخ الاسلام والشريعة الإسلامية وربط تأخر المسلمين بتمسكهم بالدين وخاصة بعقيدة القضاء والقدر التي تجعلهم يخلدون إلى العجز والكسل ويقعدون عن مجاراة الأمم والشعوب الراقية ويتابع المؤلف قوله إن الانحراف عن خط الإسلام هو الذي قسم باكستان لظهرين ولو أنها استمرت في بناء كيانها على الأساس الذي قامت عليه لما كان مستبعدا أن يأتي الوقت الذي تنضم فيه إليها الستون مليون مسلم الباقية في الهند تحت سيف التهديد والوعيد لا أن تنفصل عنها البنغال. والكتاب في مجمله يطرق كل الأبواب ويعالج كل القضايا التي تهم الإسلام والمسلمين فهو في أبعاده وآفاقه مجموعة من المواقف القيمة والتي هي جديرة بالقراءة والتأمل فهي رفيعة في محتواها وأبعادها ومدلولاتها والكتاب لا ينحصر في التركيز على قضية واحدة بل يتعدى كل القضايا ويفصلها في منظور التفصيل في إطار الوحدة والتماسك وفي صفحة 85 يتعرض الكتاب إلى عقيدة المرشدة للمهدي بن تومرت والى ابن رشد الفيلسوف فيقول أن الكتابة عن ابن رشد الفقيه الفيلسوف كثيرة جدا ومنها دراسات قيمة كتبها مختصون في المادة بحيث أصبحت هذه الناحية من تفكيره وتراثه العلمي متميزة للغاية ناهيك بما كان لها قديما من أثر بين في توجيه الحياة الفكرية والعلمية في أوربا قبل عصر النهضة أما ابن الفقيه رشد فقد بقي بمعزل من عناية الباحثين ولم تنل ثقافته الفقهية ما تستحقه من الوزن والتقدير حتى تنوسيت أو كادت وصار ابن رشد الموصف بالفقيه يغلب ان يدل على ابن رشد الجدلا على ابن رشد الحفيد صاحبنا. ويعرض الأستاذ موضوع العمل : هذه القاعدة المحكمة في مذهب الإمام مالك يقول : عرف مذهب الإمام مالك بالوسطية بين الحرفيين المتمسكين بظاهر النصوص وأصحاب الرأي الذي لم يكن للنقل ولا للنص عنهم أهمية كبيرة وهذا المنحى في التفقه والإجتهاد يدل على حصانة فكر وبعد نظر عرفهما المتقدمون للإمام مالك وأقروا له بهما ويعرفهما المتأخرون له ويقرون له بهما ويتابع قائلا : وخلاصة القول أن العمل في مذهب

الإمام مالك قاعدة أصيلة محكمة في كثير من الأحوال والنوازل

أن العمل في مذهب الإمام مالك قاعدة أصيلة محكمة في كثير من الأحوال والنوازل وعلماء المذاهب الأخرى إن كانوا لم يعرفوا منها الا عمل أهل المدينة فإن علماء المالكية قد طردوا قاعدة العمل وخصوصا في بلاد المغرب فطبقوها كما رأينا في الكثير من مسائل القضاء والفتوى حتى صارت عندهم تكون جانبا من فقه المعاملات خصوه بالتأليف. وفي حديثه عن دور علماء المغرب في الدعوة إلى الله قديما وحديثا يفتتح هذا الموضوع بالآية الكريمة : «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون» قال ابن كثير في تفسير هذه الآية يقول تعالى ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون ويترسل مع أقوال المفسرين كالضحاك. وتحتوي الصفحات الأخيرة من الكتاب القيم على موضوع يتعلق بخطة الحسبة وهو تنظيم اقتصادي اجتماعي ديني ويشرح الأستاذ هذه الخطة فيقول هي إحدى الخطط أي الولايات في نظام الحكم الإسلامي مأخوذة من الاحتساب بمعنى حسن التدبير والنظر في الأمر كما في القاموس وصاحبها المحتسب وتسمى أيضا ولاية السوق لأن صاحبها أكثر النظر فيما يجري بالأسواق من غش وخديعة وتفقد مكيال وميزان وما أشبه ذلك.

وبعد : كتاب جولات في الفكر الإسلامي غني عن كل تنويه وتقديم والأستاذ عبد الله كنون من رجالات الإسلام القلائل الذين حملوا لواء الدعوة الإسلامية عاليا في هذا العصر فإذا تحدث عن ناحية من نواحي الإسلام خلقيا أو فكريا أو علميا فهو المتحدث الذي يقنع ويطفىء غلة الظمآن وحديثه يفاجىء القارىء والباحث ببلوغه الغاية في الوضوح والبساطة والرؤيا الواضحة التي تخاطب العقل خطابا يرضيه. فجزى الله الأستاذ عبد الله كنون عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء، ووفق للانتفاع بعلمه وحكمته شبابنا وأبناء العروبة والإسلام. والكتاب ثمرة عظيمة تزيد للمكتبة الإسلامية معلمة خالدة وهو المنهل العذب والمورد الغزير والنبع الفياض. والله ولي التوفيق.

أوليات

إعداد : الأستاذ محمد العرانشي

أول فسطاط ضرب لعثمان :

لما حج عثمان بالناس سنة 29 هـ (650م) ونزل بمنى ضرب له بها فسطاط (1) لإقامته به، فكان أول فسطاط ضرب له. واتخاذ الاخبية والفساطيط. كما ذكر ابن خلدون في مقدمته. يعتبر من شارات الملك وترفه. ثم عقب على ذلك بقوله : ان العرب كانوا لعهد الخلفاء الأولين من بني أمية إنما يسكنون بيوتهم التي كانت لهم خياما من الوبر والصوف. ولم تزل العرب لذلك العهد بادين إلا الأقل منهم.

وهو أول من سترت رواحله :

أول من حيطت رواحله في طريق الحج وسترت عن الأعين هو عثمان رضي الله عنه.

وأول من اتخذ جدة مرفأ :

ذكر صاحب مرآة الحرمين (2) أن أول من اتخذ مدينة جدة مرفأ تجاريا لمكة هو الخليفة الثالث عثمان بن عفان. ففي سنة 26 هجرية اعتمر من المدينة وأتى مكة فسأله أهلها أن ينقل ساحل مكة القديم من الشعيبية - جنوب جدة - إلى جدة لقربها من مكة. فخرج بنفسه إلى جدة ورآها واغتسل في البحر. وقال انه مبارك. وقال لمن معه : ادخلوا البحر مغتسلين، ولتكونوا مؤتزرين. ومن ذلك الوقت استمرت جدة ميناء مكة إلى اليوم.

وأول من خبص الخبيص :

الخبيص كما ذكره اللغويون : حلواء تصنع من العسل ونقي الدقيق أو من التمر والسمن. فإذا أضيف إلى التمر والسمن الا قط (الجبن) فهو الحيس.

التمر والسمن جميعا والا قط الحيس إلا أنه لم يختلط

وهو ما أولم به علي عند زواجه بفاطمة رضي الله عنهما.

---

1) المراد به هنا البيت من الشعر، ويطلق أيضا على السرادق الذي يمد فوق صحن البيت.

2) ابراهيم رفعت باشا، ج 1، ص 24/23 ط 1344 / 1925.

وذكر الشريشي (3) في شرحه على المقامات عند قول الحريري (4) في المقامة الصنعانية :

لبست الخميصة أبغي الخبيصة وأنشبت شصي في كل صيصة

ان الخبيصة نوع من الحلواء. وتسميه العامة (الخبيز).

قال الزرقاني في المواهب : أول من خبص الخبيص في الإسلام عثمان.

وذكر المحب الطبري في الرياض النضرة ما يأتي :

أول من خبص في الإسلام عثمان بن عفان. قدمت عليه عير تحمل الدقيق والعسل. فخلط بينهما وبعث به إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فأكله فاستطابه. أخرجه خيثمة في فضائل عثمان.

وأول من نخل الدقيق :

كان عثمان رضي الله عنه غنيا ينعم بما ينعم به الأغنياء اقتنى بالمدينة الأموال والجنان ولبس أحسن الثياب وأكل الين الطعام وأطيب أصنافه حتى روى عنه أنه أول من نخل الدقيق.

وقد روى عن عبد الله بن عامر قال : كنت أفطر مع عثمان في رمضان. وكان يأتينا بطعام هو ألين من طعام عمر. وقد رأيت على مائدة عثمان الدرمك الجيد (نوع من الدقيق) وصغار الضأن كل ليلة. وقال ابن (6) سيرين : كثر المال في زمن عثمان. فبيعت جارية بوزنها وفرس بمائة ألف درهم ونخلة بألف درهم.

وأول من بنى دارا بالآجر :

يذكر أصحاب السير أن عثمان هو أول من بنى دارا بالمدينة المنورة بالآجر ولما أتم بناءها اتخذها مقر لسكناه.

وأول من اتخذ دارا للضيوف :

ذكر السيوطي في أوائله أن عثمان رضي الله عنه هو أول من اتخذ دارا للضيوف في الإسلام.

وأول من أنشأ دارا للقضاء :

كان أبو بكر وعمر يجلسان للقضاء بين الناس في المسجد. أما عثمان فكان يقضي بين الناس في دار اتخذها لمجلس قضائه. فكان بسبب ذلك. أول من أنشأ دارا للقضاء.

قال في المدونة : القضاء في المسجد من الأمر القديم. لأنه يرضى فيه بالدون من المجلس. وتصل إليه المرأة والضعيف. وقال التسولي (7) عند قول المتحف (8) :

وحيث لاق القضاء يقعد وفي البلاد يستحب المسجد

وظاهره يقعد حيث لاق ولو بداره وبه قال أشهب (9).

عثمان رضي الله عنه وان انشأ دار للقضاء. فليس معنى ذلك أنه قصر قضاءه على الدار التي أنشأها بل ثبت أنه كان يقضي بالمسجد أيضا. فقد روى عن الحسن

---

3) الكمال أبو العباس أحمد بن عبد المومن القيسي. له على مقامات الحريري شروح ثلاثة : كبير ووسط وصغير وفي الكبير من الآداب ما يغني القارئ توفي بشريش سنة 619 هـ 1223م.

4) أبو محمد القاسم بن علي الشهير بالحريري المتوفي بالبصرة سنة نيف وخمسمائة.

5) أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني المصري المالكي المتوفي سنة 1122 / 1710.

6) أبو بكر محمد ابن سيرين البصري كان عالما بالفقه والحديث بارعا في تعبير الرؤيا. روى عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك وغيرهم توفي سنة 110 / 728.

7) أبو الحسن علي بن عبد السلام أمديدش التسولي قاضي الجماعة بفاس والمتوفي بها في شوال سنة 1258 / 1843.

8) صاحب تحفة الحكام في نكث العقود والأحكام أبو بكر محمد بن محمد ابن عاصم الغرناطي المتوفي سنة 839 / 1436.

9) أبو عمر وأشهب بن عبد العزيز القيسي فقيه مصر في عصره توفي بمصر سنة 204 / 819.

البصري (10) أنه قال : دخلت المسجد فإذا أنا بعثمان متكئا على ردائه. فأتاه سقآن يختصمان فقضى بينهما.

والقضاء في المسجد كان في الوقت الذي كانت فيه للمسجد حرمته. أما في العصور التي تلت العصر الإسلامي الأول. فقد صار التقاضي فيها خارج المسجد أمرا حتميا. للعلة التي أبداها أبو علي بن رحال (11) الذي أفتى بحرمة القضاء بالمسجد. وهي ما ينشأ عنه من عدم تعظيم المسجد برفع الأصوات بالخصومات. ثم قال : (وأحكام تتغير بحسب ما يعرض لها وإن وردت عن الشارع) قلت : على أنه لم يبق مجال لإثارة هذا الموضوع من جديد بعد أن نظم القضاء الإسلامي تنظيما محكما منذ عصور سالفة. وأنشئت له محاكم خاصة به تستمد أحكامها من أصول الشريعة الإسلامية. ولا أظن أنه يوجد الآن في العالم الإسلامي من يتقاضى في المسجد. وحتى ان وجد فإنما ذلك بالنسبة للأقليات الإسلامية التي تعيش داخل دول أوربية.

وأول من فوض للناس في إخراج زكاتهم :

كان للزكاة نظام خاص في صدر الإسلام : ففي العهد النبوي كان الناس يسلمون زكواتهم للنبي صلى الله عليه وسلم بأنفسهم. واستمر الحال على ذلك في عهد أبي بكر الصديق.

وفي عهد عمر. كان الولاة يجمعونها ممن تجب عليهم بواسطة جباة. لتصرف في وجوهها الشرعية. (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها) الآية 60 من التوبة.

وفي خلافة عثمان كان الجباة يجمعونها من الأموال الظاهرة كالمواشي والحبوب والثمار. أما الأموال الباطنة كالذهب والفضة والعروض. فقد كانوا يؤدونها بأنفسهم لمستحقيها لأن عثمان قد فوض لهم في ذلك لما نادى في الناس قائلا : (من كان عليه دين فليؤده وليزك ما بقي).

وفي هذا الصدد يقول الأستاذ يوسف القرضاوي في كتابه (فقه الزكاة).

(فلما جاء عهد عثمان كانت موارد بيت المال من الفيء والغنائم والخراج والجزية والعشور والصدقات قد بلغت أرقاما هائلة بعد ما أفاء الله عليهم من الفتوح وأفاض عليهم من الثروات. فرأى عثمان أن يجمع الزكاة من الأموال الظاهرة فحسب.

وأما الأموال الباطنة فيدع أمرها إلى أربابها يؤدون تحت مسؤوليتهم زكاتها بأنفسهم ثقة منه بأمانة الناس ودينهم وإشفاقا عليهم من عنت التحصيل والتفتيش وتوفير النفقات الجبائية والتوزيع وكان ذلك اجتهادا منه رضي الله عنه).

وأول من رزق المؤذنين :

هذا أصل في مشروعية جواز أخذ المؤذنين الأجرة على الأذان.

ففي المدونة الكبرى وقال مالك : (لا بأس بإجارة المؤذنين) وفي مختصر خليل في سياق العطف على الجائزات (وأجرة عليه أو مع صلاة) قال شارحه الزرقاني في معناه : (وجاز للمؤذن أخذ أجرة عليه وحده أو مع صلاة صفقة واحدة لأنها تبع له في المعنى) وقال القاضي أبو بكر محمد بن العربي في أحكام القرآن (12) عند قوله تعالى في الآية المشار إليها أخيرا (والعاملين عليها) : (وهذا يدل على مسألة بديعة. وهي : أن ماكان من فروض الكفايات. فالقائم به يجوز له أخذ الأجرة عليه. ومن ذلك الامامة. فإن الصلاة وإن كانت متوجهة على جميع الخلق.

10) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري من سادات التابعين وكبرائهم. توفي سنة 728/110.

11) أبو علي الحسن بن رحال المعداني المكناسي. من علماء العصر العلوي. كان له إطلاع واسع على علمي النوازل والفقه. وكان يدعى صاعقة العلوم. توفي بمدينة مكناس في شهر رجب سنة 1728/1140 ودفن بمشهد سيدي سعيد خارج باب الخميس.

12) ج. 1. ص. 393.

فإن تقدم بعضهم من فروض الكفاية. فلا جرم يجوز أخذ الأجرة عليها) قلت ونقل عن ابن حبيب (13) من المالكية منع أخذ الأجرة عليهما. ولعل مستنده في ذلك الحديث الذي أخرجه النسائي (14) في سننه عن عثمان ابن العاص قال : قلت يارسول الله : اجعلني امام قومي فقال : (أنت إمامهم واقتد بأضعفهم. واتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرا) لكن السيوطي (15) في شرحه على السنن. ذكر أن الأمر في قوله صلى الله عليه وسلم : واتخذ مؤذنا إلخ محمول على الندب عند كثير. ثم قال : وقد أجازوا أخذ الأجرة.

وأول من أمر بالاذان الأول يوم الجمعة :

فعل ذلك اعلاما لأهل الأسواق بقرب دخول وقت صلاة الجمعة. قال الدسوقي في حاشيته على الدردير عند قول المختصر «سن الأذان لجماعة طلبت غيرها إلخ» والذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم هو الأذان الثاني لكن عثمان لما فعله بحضرة الصحابة وأقروه عليه كان مجمعا عليه اجماعا سكوتيا. فالقول بسنيته له وجه. وعلق الشيخ الطالب ابن الحاج في حاشيته على شرح ميارة على المرشد المعين على قول الشيخ خليل : «وفسخ بيع واجارة وتولية وشركة واقالة وشفعة باذان ثان» بقوله : وليس عندنا اليوم بفاس إلا أذان واحد وهو الذي يفعل عند جلوس الخطيب على المنبر. وما قبله المعبر عنه (بتبديل العلم) ليس باذان. وانما هو إنذار. وأول من أحدثه هو والعلم والفنار أبو عنان المريني (949).

وأول من زاد النداء الثالث يوم الجمعة :

روى البخاري عن السائب بن يزيد قال : كان النداء يوم الجمعة إذا جلس الإمام على المنبر في عهد رسول الله (ص) وأبي بكر. وعمر. فلما كان زمان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء (16) قال ابن الأثير (17) في كتابه الكامل في التاريخ : كان ذلك سنة 30 هجرية.

وفي رواية أخرى عن البخاري أيضا : أن الذي زاد النداء الثالث يوم الجمعة عثمان بن عفان رضي الله عنه حين كثر أهل المدينة. ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم مؤذن غير واحد. وكان التأذين يوم الجمعة حيث يجلس الإمام يعني على المنبر (18).

وأول من أحدث المنبر في خطبة العيدين :

روى عمر بن شبتان أول من خطب الناس في المصلى على المنبر عثمان. فعله مرة ثم تركه حتى أعاده مروان (19) ولم يكن قبل ذلك في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا في زمن أبي بكر وعمر فلم يتخذوا منبرا في العيدين.

وقد استنبط هذا صاحب كتاب «سبل السلام على بلوغ المرام (20) عندما ساق النص السابق من حديث أبي

---

13) أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي أحد ناشري مذهب الإمام مالك بالأندلس توفي بقرطبة سنة 853/238.

14) أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب النسائي الخراساني المتوفي بمكة سنة 916/303.

15) جلا الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي الخضيري الشافعي صاحب التأليف العديدة بلغت بين كتب ومقامات ورسائل 576 حسب (عقد الجواهر) لجميل بك العظم. توفي سنة 1505/911.

16) قيل هو مرتفع كالمنارة.

17) أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير توفي سنة 630 / 1233.

18) ذكره في الصحيح في باب المؤذن الواحد يوم الجمعة.

19) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية أحد خلفاء الدولة الأموية كان كاتبا لعثمان زمن ولايته توفي في رمضان سنة 685/65.

20) محمد بن اسماعيل الصنعاني المتوفي سنة 1769/1182.

سعيد رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى وأول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس على صفوفهم فيعظهم ويأمرهم) متفق عليه. قال : وفي قوله يقوم مقابل الناس. دليل على أنه لم يكن في مصلاه منبر.

وأول من قدم الخطبة في العيدين :

ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء أن عثمان رضي الله عنه هو أول من قدم الخطبة على الصلاة في العيدين.

وأول من استراح في الخطبة :

أي أول من جلس بين الخطبتين للاستراحة. ذكره السيوطي في أوائله.

وأول من خفض صوته بالتكبير :

ذكره السيوطي في المصدر السابق أخيرا.

وأول من اتخذ المقصورة :

ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء نقلا عن العسكري (21) أن أول من اتخذ المقصورة في المسجد هو عثمان. وعلل ذلك بقوله : خوفا أن يصيبه ما أصاب عمر.

لكن ابن خلدون نص في مقدمته على خلاف ماذكره العسكري حيث قال :

«فأما البيت : المقصورة من المسجد لصلاة السلطان فيتخذ سياجا على المحراب فيحوزه وما يليه.

فأول من اتخذها معاوية بن أبي سفيان حين طعنه الخارجي. والقصة معروفة. وقيل أول من اتخذها مروان بن الحكم حين طعنه اليماني ثم اتخذها الخلفاء من بعدهما وصارت سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلاة». فلعله أطلع على ما يناقض قول العسكري.

وأول من خلق المسجد :

المراد طيبه بالخلوق (كصبور) نوع من الطيب. وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتطييب المساجد وتجميرها (أي تبخيرها بالبخور) روى أبو داوود في سننه (22) عن عائشة رضي الله عنها قالت : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وأن تطيب وتنظف. وذكر ابن رشد (23) في كتابه (البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : جمروا مساجدكم.

وأول من اتخذ الأروقة للبيت الحرام :

في سنة ست وعشرين هجرية اشترى عثمان أرضا زادها في المسجد الحرام لتوسعته وبنى به أروقة وفي سنة 29 زاد في المسجد النبوى لتوسعته.

أول نقد وجه له ظاهرا :

روى الطبري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أول ماتكلم الناس في عثمان ظاهرا أنه صلى بالناس في ولايته ركعتين. حتى إذا كانت السنة السادسة أتمها . فعاب ذلك غير واحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتكلم في ذلك من يريد أن يكثر عليه.

وقد اختلفت الروايات في سبب ذلك. فقيل أنه لما ذكر له رضي الله عنه أن بعض من حج معه في سنة مضت وراه يقصر الصلاة اعتقد أن الصلاة للمقيم ركعتان. واحتج بعمله. على أن يتم الصلاة في منى وعرفات شفقة على ضعفاء المسلمين. وهذا اجتهاد منه رضي الله عنه. بدليل انه لما قيل له في ذلك قال : رأي رأيته. قال ابن القيم : وأحسن ما أعتذر به عن عثمان أنه قد تزوج بمنى.

---

21) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري المتوفي بعد سنة 395 هـ لأنه كان حيا في هذا التاريخ قال في كشف الظنون : هو أول من صنف في الأوائل وعلى رسالته بنى السيوطي كتابه (الوسائل إلى معرفة الأوائل).

22) سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني المتوفي بالبصرة سنة 889/275. قال عن كتابه السنن ماذكرت في كتابي حديثا أجمع الناس على تركه.

23) شهر بالجد أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي قاضي الجماعة بقرطبة والمتوفي بها سنة 1126/520.

والمسافر إذا أقام في موضع وتزوج فيه أتم صلاته. وهو قول الحنفية والمالكية. ويؤيد قول ابن القيم هذا ماروى عن عثمان أنه قال : «قالوا أتم الصلاة في السفر وكانت لاتتم. إلا أني قدمت بلدا فيه أهلي فأتممتها».

أول من اجترأ عليه بالمنطق :

مر عثمان ذات يوم بجبلة (24) وهو في نادي قومه وبيده جامعة (25) فسلم فرد القوم فقال جبلة : لم تردون على رجل فعل كذا وكذا وكان عثمان رضي الله عنه وهو أموي قد استعان عن حسن نية بالأمويين. فكان أكثر عماله منهم. وكانت العداوة في الجاهلية مستحكمة بين بني هاشم وبني أمية.

أول من عاتبه على تسامحه :

لما أشير عليه بالأخذ بالحزم ومعاقبة المناوئين. كان عمرو بن العاص أول من قال : انه قد لان لهم في المقال. ولم يجزهم بما استحقوه من جزاء.

وأول من دخل عليه لما حوصر :

لما حوصر بداره كان أول داخل عليه هو محمد بن أبي بكر الصديق فأخذ بلحيته فقال له عثمان دعها يا ابن أخي فوالله لقد كان أبوك يكرمها. وكان لقوله هذا اثر في نفس محمد بن أبي بكر فاستحيا وتركه وغادر منزله.

أول من صلى بالناس لما حوصر :

أبو أيوب خالد بن زيد هو أول من صلى بالناس بالمسجد النبوي لما حوصر عثمان.

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (26) : قال محمد بن عمر : حدثني ربيعة بن عثمان جاء المؤذن سعد القرظ (27) إلى علي بن أبي طالب في ذلك اليوم. فقال من يصلي بالناس. فقال علي ناد خالد بن زيد. فنادى خالد بن زيد فصلى بالناس. فإنه لأول يوم عرف أن أبا أيوب خالد بن زيد فكان يصلي بهم أياما. ثم صلى علي بعد ذلك بالناس.

وهو أول من لقب بالشهيد :

كان رضي الله عنه يلقب بالشهيد وبشهيد الدار. أخرج بن عساكر عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «مربي عثمان وعندي ملك من الملائكة فقال شهيد يقتله قومه اني نستحيي منه». ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء.

وأول من لقب بذى النورين :

سبقت الإشارة في الحلقة قبل هذه إلى سبب تلقيبه بذى النورين وورد في ذلك أيضا ما أخرجه خيثمة في فضائل الصحابة وابن عساكر عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن عثمان فقال «ذاك أمرؤ يدعى في الملإ الأعلى ذا النورين».

وأول من دفن بحش كوكب :

لما استشهد رضي الله عنه دفن بحش كوكب. (والحش البستان وكوكب اسم رجل من الأنصار) قال ابن قتيبة : هي أرض اشتراها عثمان وزادها في البقيع. وقال أبو

---

24) المراد جبلة بن عمر والساعدي الأنصاري أحد فقهاء الصحابة.

25) الجامعة كما في كتب اللغة : الغل (بضم الغين) طوق من حديد أو جلد يجعل في اليد أو في العنق. قال مرتضى في تاج العروس عند قول القاموس (والجامعة الغل) لأنها تجمع اليدين إلى العنق كما في الصحاح. والجمع الجوامع. قال : (ولو كبلت في ساعدي الجوامع) ج. 5 ص 305.

26) ج. 5 من تاريخ الأمم والملوك.

27) هو ابن عائد مولى عمار بن ياسر أحد مؤذنيه صلى الله عليه وسلم قال في القاموس : القرظ محركة ورق السلم أو ثمر السنط. وسعد القرظ الصحابي اتجر فيه فربح فلزمه وأضيف إليه. أما أبو أيوب خالد بن زيد (أول من صلى بالناس لما حوصر عثمان) فهو أنصاري نجارى أقام عنده النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة حتى بنى بيوته ومسجده. توفي سنة 672/52 عند الأكثر.

عمر بن عبد البر : دفنوا عثمان رضي الله عنه بحش كوكب. وكان قد اشتراه وزاده في البقيع.

أول بلاء حل بالمسلمين :

ذكر الدميري (28) في كتابه (حياة الحيوان الكبرى) أن أول وهن وبلاء حل بالأمة الإسلامية بعد النبي صلى الله عليه وسلم هو قتل عثمان. فلقد تفرقت الكلمة بعد قتله. وهاج الناس وماجوا واقتتلوا للأخذ بثاره.

أول فتنة وقعت في الإسلام :

قتل عثمان. وقضية الجمل. والخلاف بين علي ومعاوية. احداث ثلاثة نشأت عنها حروب طاحنة. خذلت ضعفاء المسلمين وفرقت كلمتهم وشغلت البال مدة طويلة.

وأول هذه الأحداث قتل عثمان.

ورد في تاريخ الخلفاء للسيوطي ما يأتي :

أخرج ابن عساكر عن حذيفة قال (أول الفتن قتل عثمان. وآخر الفتن خروج الدجال والذي نفسي بيده لايموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان إلا تبع الدجال ان أدركه. وان لم يدركه آمن به في قبره)

ويكاد يجمع المؤرخون على أن قتلة عثمان وجهوا إليه تهمة اختصاصه أقاربه من بني أمية بولايات الأعمال وطلبوا منه أحد أمور ثلاثة :

1) اما أن يعزل نفسه.

2) أو يسلم إليهم ابن عمه مروان بن الحكم.

3) أو يقتلوه.

ولما لم يتوصلوا إلى ماطلبوه. حاصروه في منزله مدة طويلة. وفي صبيحة عيد الأضحى من سنة 35 هـ (656م) تسوروا عليه جماعة منهم جدار منزله وقتلوه والمصحف بين يديه.

وكان عبيده العشرة حملوا السلاح ليدافعوا عنه بعد الحصار. فمنعهم وقال : من ألقى السلاح فهو حر لوجه الله تعالى. فألقوا السلاح وامتنعوا من القتال حقنا للدماء.

قال المبرد (29) في كتابه الكامل : وكتب عثمان بن عفان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنهما حين أحيط به : (أما بعد. فانه قد جاوز الماء الزبى. وبلغ الحزام الطبيين. وتجاوز الأمر بي قدره. وطمع في من لايدفع عن نفسه.

فإن كنت ماكولا فكن خير آكل ... وإلا فادركني ولما أمزق) (30)

وقال ابن كثير (31) في (البداية والنهاية في التاريخ) (32) ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضي بقتله. فهذا لايصح عن أحد من الصحابة أنه رضي بقتل عثمان رضي الله عنه. بل كلهم كرهه ومقته وسب من فعله. ولكن بعضهم كان يود لو خلع نفسه من الأمر. كعمار بن ياسر ومحمد ابن أبي بكر وعمرو بن الحمق وغيرهم. ثم قال : (33).

ولقد أحسن بعض السلف إذ يقول وقد سئل عن عثمان :

هو أمير البررة. وقتيل الفجرة. مخذول من خذله. منصور من نصره.

مكناس : **محمد العرائشي**

---

28) البقاء كمال الدين محمد بن موسى الدميري الشافعي المتوفي بالقاهرة سنة 1405/808.

29) أبو العباس محمد بن يزيد الشهير بالمبرد المتوفي سنة 899/285.

30) قال هذا البيت شاس بن نهار العبدري شاعر جاهلي قديم من أهل البحرين لقب بالممزق لقوله ذلك قاله في جملة أبيات من قصيدة يعتذر فيها للنعمان بن المنذر من سعاية بلغته عنه

ومطلعها : أرقت فلم تخدع بعيني وسنة ... ومن يلق مالاقيت لابد يأرق

31) عماد الدين أبو الفداء الإمام المفسر إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي سنة 774 / 1373م

32) ج. 7. ص 197. ط. السعادة بمصر.

33) نفس المصدر ص. 198.

المعاصرة وتفوقه في معالجة قضايا الفكر والمسائل المتعلقة بالمذاهب السياسية والاقتصادية السائدة. ومن هنا تأتي أهمية الكتاب وقيمته العلمية بين الكتب الإسلامية التي صدرت في الموضوع.

● صدرت عن دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري الطبعة الخامسة لكتاب (شرح الشمقمقية) للأستاذ عبد الله كنون وتقع في 150 صفحة من الحجم المتوسط.

● صدر للدكتور إبراهيم حركات كتاب جديد بعنوان (تحريف التاريخ وانحراف العقيدة) عن منشورات النهضة ويقع في 266 صفحة من القطع الكبير.

ويعالج الكتاب الموضوعات التالية:

- أسباب تحريف التاريخ.
- تحريف التاريخ، أهم مظاهره وأساليبه.
- منهجية التاريخ.
- تحريف العقيدة، أسبابه ومظاهره.
- مراحل إنحراف العقائد في الاسلام.
- نتائج الانحراف العقائدي.
- علاج الانحراف العقائدي.

●● في أحدث كتاب صدر للكاتب المصري الكبير الأستاذ فتحي رضوان أحد رواد النهضة الأدبية والسياسية في مصر والوطن العربي وردت اشارة الى شخص كان يقيم بمصر في مطلع القرن يحمل اسم (الأستاذ مصطفى العلوي) وكان مساعدا للعلامة محمد فريد وجدى مؤلف (دائرة معارف القرن العشرين).

و (دعوة الحق) اذ تنقل هذه الفقرة بكاملها من كتاب (الخليج العاشق) الذي صدر ضمن سلسلة كتاب (اقرأ) - (أبريل 1980) تتساءل عن هوية هذا الشخص الذي يحمل اسما مغربيا صرفا لعل أحدا من القراء يدلنا عليه. والجدير بالذكر أن المؤلف يتحدث هنا عن علاقته بالمفكر الكبير الأستاذ أحمد حسين.

«قد تعرفنا - في فترة تالية مباشرة لصبانا - بالأستاذ مصطفى العلوي الذي كان معاونا للمرحوم العلامة فريد وجدي في المطبعة ودائرة المعارف التي كان يصدرها آنذاك.

وكان الأستاذ العلوي مشتغلا بالتنويم المغناطيسي وقد نجح في تنويم أكثر من وسيط أمامنا وحاول أن ينيم أحمد فتظاهر أحمد بأنه نام فعلا. وقد كان من بين ماحدثنا به المرحوم العلوي أنه يستطيع أن يوحي إلى وسيطه بأنه صغر سنا. فتظهر على الوسيط علائم السن المبكرة، حتى يبلغ سن الطفولة . فيصبح صوته كصوت الأطفال وعندها يروى ذكريات طفولته. وهذا ما يساعد على شفاء بعض الأشخاص المصابين بأمراض عصبية أو نفسية اذا كان سبب الاصابة صدمة جرت لهم في الطفولة. ثم زاد طموح الأستاذ العلوي فقال ، إنه يستطيع أن يعود بالانسان القهقري، حتى يصل به إلى ماقبل الولادة. ثم الى ماقبل ولادة آبائه وأجداده بمئات السنين وأوهم أحمد الأستاذ المنوّم بأنه وصل بروحه إلى عهد الفراعنة. وأبدى تألمه الشديد. فلما سأله عن هذا التألم قال ، انه يجلد بوصفه أحد العمال في معبد فرعوني. وخيل الى الأستاذ العلوي أنه بذل طاقة روحية في تلك الليلة أكبر مما يجب. فانتفض انتفاضة أفزعتنا.. ولكن أحمد طلب ورقة وقلما وهو نائم لأن روحا من أرواح الموتى الأعزاء تحوم حوله وتود أن تملي شيئا فلما وضعنا القلم بين أصابعه

المغرب .

• أصدرت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وفي إطار اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين الحكومة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة كتاب (إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك) للونشريسي بتحقيق الأستاذ أحمد الخطابي مع دراسة لحياة المؤلف وآثاره وعصره. ويقع الكتاب في 463 صفحة من الحجم الكبير، وفي طباعة جيدة. وتقع دراسة المحقق في 131 صفحة. وقد صدر الكتاب في إطار مشاركة الوزارة في تخليد ذكرى مطلع القرن الخامس عشر الهجري. وهو عمل ثقافي جليل الفائدة عظيم النفع. خاصة وأن الكتاب من أمهات الخزانة المغربية ومن أنفس المراجع الفقهية التي اعتمدها علماء المغرب عبر العصور. هذا إلى جانب مكانة المؤلف ودوره العلمي البارز وتأثيره على الأجيال المتعاقبة.

وقد قدم صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المغرب والإمارات المتحدة الكتاب بالكلمة التالية :

أما بعد فإن كتاب «إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك» لمؤلفه العلامة الشهير أبي العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي تغمده الله برحمته. الذي نقدمه للقراء الكرام يعتبر بحق من أبرز وأنفس وأثمن وأجمع كتب الفقه المالكي التي اهتمت اهتماما بالغا بدراسة موضوعات قواعد فقه المذهب المالكي فهو ذخيرة علمية تضاف إلى لبنات ذخائر فقهنا الإسلامي الهادف. الذي تزدان بمختلف فروعه مكتباتنا الإسلامية زيادة على أنه قد جمع بين التحقيق والتدقيق والتنقيح والبيان والإحاطة في العمق والشمول لعدد غير قليل من الأصول والنوازل والفروع والقواعد والشروح والتنبيهات الفرضية منها والكلية.

فرسم بذلك لهذه المعلمة الفقهية المالكية صورة واضحة المعالم والمنهج مستنبطة من كتاب الله عز وجل أولا. ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثانيا.

يلمس ذلك القارئ من خلال تتبعه لهذا الكتاب كما يلمس بوضوح وجلاء ما للمغاربة القدامى من تضلع وتمكن في هذا الفن بالذات وسبر لأغواره عبر التاريخ مخلفين كشاهد على ذلك مجلدات كثيرة تزخر بها مكتباتنا الفقهية العامة منها والخاصة.

واعتبارا لما ذكر في هذه العجالة عن الكتاب وأهميته البالغة وقيمة موضوعاته العلمية والفقهية النادرة وأثرها في هذا التراث المتألق في سماء موقعنا الغربي الإسلامي وما أنجبه هذا الغرب الإسلامي من عباقرة شوامخ في هذه الحلبة وفي غيرها ما يزال واسطة عقد القلادة في فقه هذا المذهب المالكي بهذه الديار.

من أجل ذلك ارتأت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية أن تقدم هذه الدراسة كاملة في كتاب تضعه كباقة فواحة العبير شهية الأخذ والتناول لعشاق هذا الفن الإسلامي هدية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري.

• صدرت الطبعة الثالثة من كتاب (إسلام رائد) للأستاذ عبد الله كنون عن دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري تقع هذه الطبعة في 112 صفحة من الحجم المتوسط. وكانت الطبعة الثانية من هذا الكتاب القيم قد صدرت في السنة الماضية عن المطبعة الملكية بالرباط. وصدرت الطبعة الأولى عن إحدى مطابع تطوان.

ويعتبر كتاب (إسلام رائد) في مقدمة كتب الأستاذ كنون التي تبرز ريادة المؤلف في الدراسات الإسلامية

كتب مالم نستطع أن نقرأه. فلما طلبنا إليه هو أن يقرأ ما كتب قال : هذه رسالة من أخي مصطفى يقول فيها : احذوا حذوى.. وقد أطاع أحمد ـ في الجملة ـ هذا الأمر من أخيه في كثير من مراحل حياته الحافلة الغنية الطويلة العريضة»..

• يعقد مكتب تنسيق التعريب ندوة في الرباط في الفترة 18 ـ 20 فبراير 1981 ترمي إلى توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية في الوطن العربي. وستشترك في هذه الندوة المجامع العلمية واللغوية والمراكز اللسانية في العواصم العربية. وستعمل هذه الندوة على توحيد القواعد والمبادىء التي تحكم وضع المصطلحات العلمية واختيارها وكيفية تعريب السوابق واللواحق في المصطلحات الأجنبية.

تونـــــس :

• صدر في تونس (مائة ليلة وليلة) دراسة وتحقيق محمود طرشونة. يقع الكتاب في 534 صفحة. وهو من النصوص القصصية الشعبية التي تنشر لأول مرة. ويكاد يكون متمما لكتاب (ألف ليلة وليلة).

• قام الأستاذ محمد أبو الأجفان. الأستاذ بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين في الجامعة التونسية بدراسة وتحقيق رحلة القلصادي فجاءت دراسته في نحو ثمانين صفحة. وأصل الرحلة نحو ذلك ومثله الفهارس (80 + 88 + الفهارس = 256 صفحة تتخللها صور وخرائط وتشغل الحواشي كثيرا من صفحات الأصل. ولهذا فعمل الأستاذ أبي الأجفان يعتبر دراسة وافية لتلك الرحلة من جميع نواحيها. وقد طبع الكتاب في مطبعة (مصنع الكتاب ـ الشركة التونسية للتوزيع) في تونس عام 1399 هـ (1978) طباعة حسنة. وهو من الكتب التي أوصت (وزارة الشؤون الثقافية) في تونس بنشرها فجاء الحلقة الأولى من سلسلة (فهارس من تراثنا).

• صدر ضمن مطبوعات الجامعة التونسية (معهد الصحافة وعلوم الأخبار) كتاب عن (الصحافة العربية في المهجر) لمؤلفها السيد محمد العمقي. وهي رسالة جامعية تقدم بها الطالب بالمعهد تحت إشراف الأستاذ عبد القادر بالشيخ. ونال على أساسها شهادة الماجستير في الإعلام.

مصر :

• صدر عن مجمع اللغة العربية (المعجم الوجيز) أعدته لجنة من كبار الأدباء اللغويين : محمد خلف الله أحمد ـ علي النجوي ناصف ـ أحمد محمد الحوفي ـ والمرحوم إبراهيم أنيس ـ وعاونهم محمد شوقي أمين ـ حسن عطية ـ وقدم المعجم بتصدير للدكتور إبراهيم بيومي مدكور رئيس المجمع وكتب المقدمة مصطفى حجازي المدير العام للمعجمات وإحياء التراث بالمجمع شرح فيها المنهج الذي نهجته اللجنة في ترتيب مواد المعجم والرموز التي استخدمتها واوضح الوسيلة التي يستخدمها الطالب في مراجعة معنى في هذا المعجم.

• صدر للدكتور عبد العزيز الدالي أستاذ اللغويات ورئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الزقازيق كتاب عن (الخطاطة) وهو دراسة في أصول الكتابة العربية ونشأتها وتطورها عبر التاريخ.

• (في الشعر الإسلامي والأموي) أحدث ما صدر للدكتور عبد القادر القط. يتضمن الكتاب مباحث في أثر الإسلام على الشعر والغزل بين الجاهلية والإسلام. والشعر

الإسلامي بين السياسة والاحتراف والفن. ويقع الكتاب في 451 صفحة من الحجم الكبير.

• في طبعة جديدة مصورة بالأوفست صدر عن المطبعة السلفية بالقاهرة كتاب (أدب الكتاب) لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي، وهو الكتاب الذي كان نسخه الأستاذ محمد بهجة الأثري عضو أكاديمية المملكة المغربية وعني بتصحيحه والتعليق على حواشيه ونشره سنة 1341 هـ.

• (بناء القصيدة العربية) كتاب للدكتور يوسف حسين بكار صدر عن الدار الثقافية للطباعة والنشر. يتضمن الكتاب دراسة بناء القصيدة العربية من خلال فهم النقاد العرب له ومنهجهم في دراسته.

• (الخوف من الحياة) مجموعة قصص قصيرة من تأليف سعد حامد صدرت عن الهيئة العامة للكتاب.

• (بانوراما الرواية العربية الحديثة)... عنوان أحدث كتاب للناقد سيد حامد النساج صدر عن دار المعارف.

• بعد أن أصدرت دار المعارف ديوان : «عودة الوحي» للشاعر حسن كامل الصيرفي تابعت هذه الدار نشر ديوان «زاد المسافر» وملحمة «شهرزاد» وستتابع نشر باقي دواوين الأستاذ الصيرفي وهي : «صدى ونور ودموع» «قطرات الندى» و«صلواتي أنا» و«نوافذ الضياء» و«الألحان الضائعة» و«الشروق» و«النبع» و«ورقات متفرقات» و«زهور لاتذبل» و«نغمات ونسمات» ويعد الأستاذ الصيرفي في ديوان «همسة العطر للنسيم» وهو ديوان جديد للنصر

• (طبيعة الشعر وتخطيط لنظرية في الشعر العربي) كتاب جديد للدكتور محمد أحمد العزب. وهو دراسة جادة وعميقة يحاول فيها الكاتب تقديم رؤية جديدة لمقولات النقاد العرب القدامى حول الشعر. كما يقدم اراء النقاد الغربيين أيضا. والكاتب يتناول كل هذه الآراء بالمناقشة والتحليل.

والكتاب يتحدث عن معنى الشعر وعن الشعر واللغة وعلاقة الشعر بالفكر. كما يخصص الكاتب قسما يعرض فيه نظريته الجديدة في الشعر العربي.

• «ثقافة وكتاب» كتاب جديد للأستاذ إبراهيم زكي خورشيد يشرح فيه معنى كلمة ثقافة متتبعا معناها تاريخيا ولغويا كما يتبين مفهوم الثقافة عند العرب . كما يشرح وسائل تيسير الكتاب العربي ونشره.

• «على مائدة الفكر الإسلامي» للشيخ محمد متولي الشعراوي في 384 صفحة صدر عن مكتبة «مدبولي».

• الابداع الفني في قصص الطيب صالح للدكتور محمد رشدي حسن. صدر في 93 صفحة عن مكتبة النهضة المصرية.

• الفكر الاجتماعي في الرواية المصرية » لفتحي سلامة صدر في 143 صفحة عن دار المعارف.

• «ليلة القبض على فاطمة» لسكينة فؤاد صدر في 142 صفحة عن دار أخبار اليوم.

• «مرفأ الذكريات» ديوان شعر للشاعرة لورا الأسيوطي صدر في 288 صفحة.

• «أناشيد الإث والبراءة» هذا هو عنوان اخر كتاب صدر للكاتب الكبير د. مصطفى محمود . الكتاب عبارة

عن أناشيد متميزة جاءت ثمرة خلوة طويلة على هيئة (تأملات) رقيقة وعميقة في آن واحد.

والجديد في كتاب د. مصطفى محمود أنه صحب هذه الأناشيد التي امتدت لتصل إلى ثلاث عشرة قطعة .. ترجمة نادرة على شكل لوحات للرسام جودة خليفة فجمع الكتاب بين تأملات الناسك وإبداعات الفنان.

المملكة العربية السعودية :

● حقق الأستاذ عياد بن عيد الثبيتي كتاب (الإفصاح لبعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح) لابن الطراوة. وقد اعتمد المحقق على نسخة وحيدة عثر عليها في مكتبة الأوسكوريال.

● أصدر محمد علي الصابوني الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة كتابا عن النبوة والأنبياء، وهو دراسة تفصيلية لحياة الرسل الكرام ودعوتهم وأثرهم في تغيير مفاهيم البشر بأسلوب يجمع بين الدقة والسهولة والجدة والتحقيق.

● صدر في الرياض عن لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كتاب قيم عن (المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري)، يقع الكتاب في 302 صفحة ذات الحجم الكبير مع عدد من اللقطات المصورة لبعض نماذج المخطوطات العربية.

● صدر في الرياض عن إدارة النشر بجامعة الرياض كتاب (ضوابط الإعلام في الشريعة الإسلامية وأنظمة المملكة العربية السعودية) للدكتور يوسف محمد قاسم.

● (على درب الجهاد) هذا هو عنوان الديوان الثاني من شعر الدكتور زاهر بن عواض الألمعي، عميد شؤون المكتبات في (جامعة الإمام بن سعود الإسلامية) في الرياض، يحوي عشرين قصيدة (حروفها نبض قلب يعتصره الألم لما عليه حال أمتنا الإسلامية) تتضح مضامينها من عناوينها، ومنها : عودي إلى درب الجهاد، في رحاب البيت، وحدة العرب، رحاب القدس، تحية المغرب العربي - في مشاعر الحج، شريعة الله، تحية الفهد، سد أبها.

ويقع الديوان في 218 صفحة في طباعة جيدة، ورقا، وحروفا مكتوبة باليد بالخط الرقعي، وصدر هذا العام (1400 هـ - 1980م) عن مطابع الفرزدق في الرياض.

● قام الأستاذان عبد الحميد مشخص ومحمد سعيد باعشن بجمع ما نشر في رثاء الأستاذ محمد حسن عواد، الذي توفي في هذا العام، في كتاب بعنوان «العواد قمة وموقف» حوى 408 من الصفحات، تضم مع المراثي دراسات عن آثار ذلك الأستاذ الكبير لبعض مشاهير الكتاب في بلادنا وخارجها.

وفي الكتاب ثماني لوحات تحوي صورا للراحل العزيز في مراحل عمره المختلفة.

● صدر الجزء الثاني من القسم المتعلق بالمنطقة الشرقية (البحرين قديما) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» تأليف حمود الجاسر ويحوي من أسماء المواضع ما هو مبدوء بحرف الحاء المهملة فما بعده إلى حرف الشين - نحو 597 إسما - وجاء في 490 صفحة وفيه عشر مصورات جغرافية (خرائط) مطبوعا هذا العام (1400 هـ) بمطبعة (نهضة مصر) وهو من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر).

● صدر الجزء الثالث من كتاب «بلاد القصيم» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» تأليف الأستاذ الجليل الشيخ محمد العبودي. ويحوي من الأسماء ما هو مبدوء بحرف الخاء وما بعده الى حرف الشين ـ نحو 290 اسما ـ في 474 صفحة. وهو ـ كأجزائه الأخرى ـ من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) وطبع هذا العام (1400 هـ) بمطبعة نهضة مصر.

● يواصل الأستاذ عبد الكريم الجهيمان إمداد مكتبة الأطفال بفيض من القصص الملائمة لمداركهم. فمنذ أمد صدرت له مجموعة قصصية باسم (مكتبة أشبال العرب). ثم أصدر مجموعة أخرى بعنوان (مكتبة الطفل في الجزيرة العربية) من عشر قصص عناوينها : 1 ـ الرفيق الخائن ـ 2 ـ القطاة الساحرة. 3 ـ الغول ذو السبعة الرؤوس. 4 ـ الحطاب والكنز. 5 ـ عائشة وأم عائشة. 6 ـ بلبيل الصياح. 7 ـ شامان وعمانات ومكية. 8 ـ اللقاط بن اللقاط. 9 ـ بنت الغول. 10 ـ النبي سليمان مع الغراب.

تقع القصة في أربعين صفحة، مزينة بالرسوم، مطبوعة طباعة جيدة بحروف واضحة بالشكل الكامل. تصدر عن (دار أشبال العرب) في الرياض وقد طبعت في بيروت وتتولى توزيعها دار الثقافة التي تولت طبعها.

● حصل الكاتب السعودي فهد العرابي الحارثي على الدكتوراه من جامعة السوربون بمرتبة الشرف الأولى وكان موضوع رسالته : «العلاقة بين الشعر كشكل قولي والإسلام كايديلوجية نظام سياسي واجتماعي».

لبنـــــان :

● (تفسير غريب الحديث) لعمدة المحدثين ابن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري صدر في طبعة جديدة تقع في 264 صفحة من القطع المتوسط عن دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت.

● (تاريخ اللغة العربية) كتاب جديد للأستاذ عصام نور الدين صدر عن دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت.

ويتناول الكتاب الأزمنة الأولى لتكوين اللغة العربية ومدى الأثر التاريخي في تمكين ألفاظ تلك الأزمنة من اللغة نفسها. وتناول العصر الإسلامي. ويبحث في تأثيره في العربية وبخاصة بعد أن تطورت الحياة الاجتماعية والعلمية.

● أصدر الدكتور نقولا زيادة كتابا جديدا بعنوان (الجغرافية والرحلات عند العرب).

● أصدر الدكتور حاتم الضامن كتابا بعنوان (مالم ينشر من تراث الجاحظ). يتضمن نصوصا جديدة من تراث أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.

● عن دار العودة ببيروت صدر كتاب «فن القصة القصيرة بالمغرب» من تاليف الكاتب أحمد المديني . والكتاب في الأصل أطروحة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب كان قد تقدم بها المؤلف سنة 1978 بجامعة محمد بن عبد الله بفاس وفيها يتعرض لنشأة القصة القصيرة بالمغرب وتطورها واتجاهاتها.

الكويـــــــت :

● ضمن سلسلة (عالم المعرفة) التي تصدر بالكويت صدر للدكتور محمد جابر الأنصاري كتاب عن (تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي) ويقع في 268 صفحة من القطع المتوسط.

فرنســـــا :

● انعقدت في باريس ندوة دولية حول الإسلام نظمتها منظمة المؤتمر الإسلامي للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري تحت شعار : (الإسلام عقيدة ومجتمع ونظام) وقد اختتمت الندوة التي دامت ثلاثة أيام باتخاذ عدد من التوصيات .

وقد تميزت الجلسة الختامية لهذه الندوة التي انعقدت بمقر اليونسكو بباريس فيما بين 4 و 6 ديسمبر الجاري بعدة تدخلات تناول فيها أصاحبها علاقة الديانة الإسلامية بالديانات السماوية الأخرى كالمسيحية واليهودية واشتقاق الديانات الثلاث من مصدر واحد هو دين إبراهيم عليه السلام. كما استمع الحاضرون خلال هذه الجلسة إلى أربعة عروض حول الإسلام والتقدم التكنولوجي والدولة في الإسلام وحقوق الإنسان في الإسلام وعالمية الدعوة الإسلامية.

وبعد ذلك تناول الكلمة المقرر العام للندوة فتلا التصريح النهائي للندوة الذي أكد أن علاقات الإسلام بالعالم الغربي يجب أن تتحسن كما أكد ضرورة احترام حقوق الأقليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية في ممارسة شعائرها الدينية. وأعلن التقرير النهائي عن احداث جائزتين تخصصهما منظمة المؤتمر الإسلامي لأحسن تحقيق صحفي غربي حول الإسلام وأحسن عمل أدبي يعكس الحقيقة الإسلامية.

وفي ختام هذه الجلسة تناول الكلمة السيد الحبيب الشطي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي فأشاد بجو الاحترام والجدية اللذين سادا أشغال الندوة التي فتحت الطريق أمام تعميق التعاون بين المسيحية والإسلام اللذين يعتبران من أكبر الحضارات التي عرفتها البشرية.

● عقدت (الجمعية الدولية لدراسات حضارات البحر الأبيض المتوسط) مائدتها المستديرة الثانية في باريس في الفترة 1 ـ 3 ديسمبر 1980، ودار موضوع الأبحاث والمناقشات على (دور اللغة العربية في العالم الحديث)، وقد ألقى الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله مدير مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالمناسبة بحثا في الموضوع أمام الجمعية الدولية المذكورة.

الســويــد :

● «الإضافة في اللهجات العربية الحديثة» عنوان كتاب صدر مؤخرا في السويد عن دار قتبور للباحثة كارستين ايكس هرتنق. الكتاب دراسة جامعية لظاهرة الإضافة في اللهجات العربية الحديثة في كل من المملكة العربية السعودية والمغرب وتونس والجزائر وليبيا ومصر والسودان وسوريا ولبنان وفلسطين.

الصيــــن :

● أعادت الصين فتح أكبر مسجد بها وذلك بعد أن كان مغلقا منذ قيام الثورة الثقافية في الستينات.

وقد نشرت صحيفة بكين صورة للباب الكبير للمسجد وقد اعتلاه رمز الهلال.

الاتحاد السوفياتي :

● في جمهورية (اذربيجان) السوفياتية عثر الطبيب ضياء الدين بونياتوف مؤخرا على مخطوطة نفيسة في الطب للطبيب العربي المعروف «أبي القاسم الزهراوي»

المتوفى عام 523 هـ اكتشف ـ فيما بعد ـ أنها نسخة نادرة من (كتاب الطب) للزهراوي.

والمعروف أن (كتاب الطب) للزهراوي من الكتب المخطوطة التي كانت في حكم المفقود، على الرغم من شهرته، وافادته أوروبا لحقبة طويلة من الزمن، شأن غيره من الكتب في تراثنا العربي والإسلامي، الذي ضاع أكثره، ولم يصل إلينا إلى الآن، الا أقله.

● ألقى الأستاذ بوشتة العطار عرضا حول مشاركته أخيرا في المناظرة الدولية بمناسبة الذكرى الالف لميلاد المفكر الكبير ابن سيناء التي نظمتها أكاديمية العلوم للاتحاد السوفياتي.

في بداية العرض أعطى السيد المحاضر نبذة عن حياة ابن سيناء ومكانته في التاريخ الاسلامي كما أنه تحدث عن كتبه المهمة ثم تطرق الى فلسفته ومكانتها في الفلسفة الإسلامية.

وألقى السيد أمبو المدير العام لمنظمة اليونسكو كلمة بالمناسبة بالإضافة إلى العديد من رؤساء الوفود المشاركة.

ثم انتقل المؤتمرون إلى جمهورية طاجكستان حيث انقسم المشاركون في المؤتمر إلى أربع مجموعات :

ـ المجموعة الأولى : خاصة بالفلسفة عند ابن سيناء، ومن بين المواضيع التي تدارستها اللجنة :

ـ الابستمولوجية عند ابن سيناء.
ـ الفلسفة والنزعة الإيديولوجية في الشرق.
ـ العناصر الصوفية في فلسفة ابن سيناء.
ـ مشكلة تطور فلسفة أرسطو في القرون الوسطى.
ـ المجموعة الثانية : وهي خاصة باللغة والادب

ومن بين المواضيع التي تطرقت إليها اللجنة :

ـ ابن سيناء الشاعر.
ـ شعراء الطاجيك وتأثير ابن سيناء.
ـ دراسة معاصرة لتراث ابن سيناء.
ـ البيئة الأدبية لابن سيناء.

أما المجموعة الثالثة : فهي خاصة بعلم الجمال والفن والموسيقى، ومن المواضيع التي تدارستها اللجنة.

ـ نقطة الالتقاء بين هندسة أسيا الوسطى وعصر ابن سيناء.
ـ أفكار اجتماعية خلقية عند ابن سيناء.
ـ مفهوم الجمال عند ابن سيناء.

وأخيرا المجموعة الرابعة : التي اختصت بعلوم الطب وعلم الرياضيات والطبيعيات.

ومن المواضيع التي بحثت في إطار هذه المجموعة :

ـ رياضيات وفلكيات ابن سيناء.
ـ دراسة الطب عند ابن سيناء في القرون الوسطى.
ـ الالات الطبية والعلمية عند ابن سيناء.
ـ ابن سيناء والرياضيات الهندية.

اندونسيا :

● احسبي الصديقي) علم شامخ من اعلام الدين والفقه والعلم في اندونيسيا.

بدأ، رحمه الله، تعلم اللغة العربية منذ صغره في المدرسة الدينية التي انشأها والده وفي غيرها من المدارس الدينية الأخرى، ثم التحق بمدرسة الإرشاد بمدينة سورابايا في جاوا الشرقية، وقد تتلمذ بوجه خاص لبعض فطاحل علماء زمانه وفحولهم.

اجاد اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، اجادة حسنة. وقد بلغ من اهتمامه بهذه اللغة وحبه لها ان انشأ فيما بعد معهدا خاصا لتدريس اللغة العربية.

اتجه الصديقي الى دراسة الشريعة الإسلامية والتعمق فيها، ومن البديهي ان اهم مصدر للشريعة الإسلامية هما القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومن هنا أكب الصديقي على دراستهما وكرس لهما جهده وحياته.

وكان من آثار ذلك التفرغ العلمي الدائب، وتلك الجهود والبحوث الطويلة المضنية ان أخرج للناس كتابه الرائع «تفسير البيان»، ثم اتبعه بكتابه الماتع الضخم «الاحكام النبوية» في سبعة أجزاء.

تولى الصديقي أثناء حياته عدة مناصب علمية رفيعة هامة في جاوا وسومطرا وقد اختير وكيلا للجنة التي ألفتها وزارة الشؤون الدينية للاشراف على ترجمة وتفسير القرآن الكريم إلى اللغة الاندونيسية. كما اختير رئيسا للجنة الفقه الاسلامي باندونيسيا.

كانت حياته حافلة بالنشاط الاسلامي سواء اكان ذلك في الميدان العلمي أم في الميدان القانوني والتشريعي. ففي عام 1949 (أي في أعقاب الثورة الوطنية وحرب الاستقلال في اندونيسيا) اشترك حسبي الصديقي في المؤتمر الإسلامي الاندونيسي وألقى فيه بحثا مستفيضا عن «الأسس التي تقوم عليها الدولة كما يراها الإسلام».

في عام 1955 اختير عضوا بالمجلس التأسيسي الذي كان يعقد جلساته بمدينة باندونغ. ثم مثل اندونيسيا في الحلقة الدراسية الإسلامية العالمية التي عقدت في مدينة لاهور بالباكستان.

كان الصديقي يؤمن إيمانا قويا راسخا بأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، وشن حربا عوانا على البدع والخرافات الدخيلة على تعاليمه النقية الطاهرة.

وفي الوقت نفسه كان يدعو إلى التجديد... التجديد الواعي البصير والتطور الراشد المستنير بنجوة من النزوات الفكرية الجامحة، والنزعات العقائدية الملحدة، والشطحات المذهبية الزائغة.

وكان يدعو بقوة والحاح إلى الاعتماد المباشر على القرآن الكريم والسنة الكريمة المطهرة في كل تشريع إسلامي وكل قانون يرمي إلى تنظيم المجتمع الإسلامي. بل هو يعتقد ان من أهم أسباب اضمحلال شأن المسلمين وتلاشي قوتهم وبأسهم هو ابتعادهم عن تعاليم الإسلام الصحيحة (التي تتمثل في القرآن الكريم والسنة المطهرة).

واعلنها الصديقي صيحة مدوية مجلجلة ان المسلمين لن يستردوا مجدهم التالد وعزهم الغابر الا بالرجوع إلى تلك التعاليم الغراء، والاستمساك بها والعض عليها بالنواجذ.

في عام 1975 منحته جامعة باندونغ الاسلامية درجة الدكتوراه الفخرية في الشريعة الإسلامية تقديرا لجهوده الكبيرة، وبحوثه العلمية العديدة في هذا المجال.

للصديقي مؤلفات علمية كثيرة، في مقدمتها كتابه «تفسير البيان». هذا التفسير جديد في بعض نواحيه. فهو جديد في منهجه وأسلوبه، جديد في طريقة عرضه وتناوله للموضوع الذي يعالجه.

والاسم الذي اختاره الصديقي لكتابه وهو «تفسير البيان» اسم له دلالته، ولا يفوت القارئ المتمعن ادراك مغزاه ومرماه. فهو لم يسم كتابه «ترجمة القرآن» كما فعل

بعض المؤلفين. إذ ان ترجمة القرآن شيء فوق طاقة البشر، وقصارى ما يستطيع الإنسان أن يفعله هو أن يحاول الابانة عن معاني آيات القرآن الكريم وتفسيرها وايضاح مقاصدها. وهذا ما فعله حسبي الصديقي في كتابه «تفسير البيان» وقد أحسن وأجاد ..... !

اعتمد الصديقي في تأليف كتابه على أمهات المراجع العربية قديمها وحديثها. ووفى كل موضوع حقه من البحث والتحقيق والبيان.

وقد كان لامتلاكه زمام اللغة العربية وتبحره في علومها وادراكه لاسرارها البلاغية ما أعانه على عرض جوانب من الجمال الفني في القرآن الكريم وابراز ملامح من روعة أسلوبه المعجز.

مهد الصديقي لتفسيره بمقدمة جامعة تناول فيها مسائل هامة توضح خصائص القرآن الكريم ونواحي الاعجاز فيه. كما تناول أسباب النزول والملابسات التي أحاطت بنزول بعض آيات القرآن الكريم ومدى أهمية ذلك وبعد اثره في توضيح معنى الآية. وازالة ما قد يكون هناك من لبس وغموض وابهام.

وقد ذيلت هذه المقدمة النفيسة بمعجم وجيز رتب ترتيبا ألفبائيا يحتوي على بعض الكلمات القرآنية ذات الدلالات المتعددة. وكيف يختلف معناها في موضع عن معناها في موضع آخر. وهذا المعجم ـ على وجازته ـ عظيم النفع جليل الفائدة وبخاصة لدارسي اللغة العربية والمعنيين بتفهم دقائقها ومخارج اشتقاقاتها.

كتب الصديقي تفسيره بأسلوب واضح سلس. وبيان مشرق ناصع لا تعقد فيه ولا تحذلق. قريب المنال إلى فهم القارىء. تنساب المعاني إلى ذهنه انسياب السلسبيل الرقراق في سهولة وعذوبة ويسر.

لقد مضى الصديقي إلى ربه منذ بضع سنوات راضيا مرضيا. وخلف وراءه خير ما يخلفه الرجل الذي يخرج من هذه الدنيا إلى حيث لا عودة له إليها. إلى حيث يدخل عالما آخر أكثر فساحةً وأعظم رحابة. عالما ترفرف في أجوائه أجنحة الملائكة الطاهرة. ويفوح في جنباته أريج النفحات الإلهية العاطرة.



الفهرس العام
لموضوعات السنة
21
من
دعوة الحق

لاسباب تقنية لم نتمكن من ادراج كل موضوعات العدد الثامن ضمن هذه الفهارس . ويجد القارىء فهرس هذا العدد مستقلا .

إعداد : رشيد أبوزيد

فهرس الموضوعات



الافتتاحيّة

الخطب والكلمات الملكية السامية

دراسات مغربية

الموضـــوع	الكاتـــب	العدد	صفحة
38) ـ تطوان في كتاب يوميات شاهد عن حرب إفريقيا ـ 3 ـ	رضا الله ابراهيم الالفي	5	56
39) ـ رؤيا جديدة ورأي للمناقشة ـ الأدب المغربي	زين العابدين الكتاني	5	74
40) ـ ملامح من حياة الفقيه العبدي الكانوني ـ 4 ـ	محمد بن عبد العزيز الدباغ	5	93
41) ـ من الأدب الصوفي المغربي	ج أحمد معنينو	5	98
42) ـ الهدف الأسمى للمغرب ، تحرير القدس	عبد العزيز بنعبد الله	7	7
43) ـ مصادر مغربية في موسوعة المواهب اللدنية ـ 1 ـ	سعيد أعراب	7	15
44) ـ المذهب الإنساني في الثقافة المغربية	الحسن السائح	7	32
45) ـ عبد الله كنون وأثره في الثقافة المغربية ـ 1 ـ	مصطفى الشليح	7	40
46) ـ دراسات في الأدب المغربي ـ 6 ـ	عبد الكريم التواتي	7	66
47) ـ نحن والانجليز ونقط الالتقاء..........................	ليلى أبو زيد	7	74
48) ـ على هامش نداء اليونيسكو ـ 2 ـ	د. عثمان عثمان اسماعيل	7	98

دراسات إسلامية

الموضـــوع	الكاتـــب	العدد	الصفحة
1) ـ السلطان مولاي سليمان وعنايته بعلوم القرآن	سعيد أعراب	1	48
2) ـ معالم الفكر الإسلامي في عهد الحسن الثاني	د. يوسف الكتاني	1	51
3) ـ في رحاب الحق ـ المحبة ـ	محمد العربي الخطابي	2	30
4) ـ منوعات من تلاوة القرآن الكريم بالترجيع والنغم	محمد المنوني	2	33
5) ـ الحكـم أمانـة ـ 1 ـ	أكرم زعيتر	2	41
6) ـ الإسلام دين معاملات لادين طقوس	د. التهامي الراجي الهاشمي	2	51
7) ـ الإمام مالك ونظريته في تأصيل عمل أهل المدينة	الرحالي الفاروقي	3	40
8) ـ ابن أبي زيد القيرواني ورسالته	أحمد سحنون	3	48
9) ـ النظام الإداري والإقليمي في صدر الإسلام	د. إبراهيم حركات	4	16
10) ـ المولد النبوي ومظاهر الاحتفال به	عبد العزيز بنعبد الله	4	28

مَوضوعات عامة

مكتبة "دعوة الحق"

ديوان "دعوة الحق"

قصص



فهرس الكتّاب

فهرس العدد 8 السنة 21

مطبعة فضالة ـ المحمدية (المغرب)

ضريح محمد الخامس

ضريح محمد الخامس هدية شعب المغرب لشعوب الأرض.. اجتمع فيه ما تفرق في جميع مناطق المغرب من عبقرية الزخرفة وبراعة التلوين والتنسيق.. وبذلك تحقق الخلود لفن الزخرفة المغربية عبر هذا النصب الباهر الذي يعتبر بحق تمثالاً لكل مبدع مجهول.. وهو يقف شامخاً الى جانب "التاج محل" وغيره من عجائب الأرض..

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظراً

وبهذه القصيدة يسجل الشاعر انبهاره بجمال الضريح وروعة رواثه.

"دعوة الحق"

جَزَى اللهُ عنَّا يداً شيَّدتْ
ضريحَ محمدٍ الخامسِ
أناملُها تبعثُ الصخرَ حيّاً
كَبَعْثِ الطبيعةِ في مارسِ
وتُنْطِقُ ألوانَه ببهاءٍ
يُعيدُ المسرَّةَ لِلْبائسِ
به جَمَعَتْ كلَّ فنٍّ أصيلٍ
لأنفاسِ زُوّارِه حابسِ
يُطاوِلُ ما أبدعَتْهُ الحضاراتُ
في الصينِ والهندِ أو فارسِ

* * *

فشكراً لِباني الضَّريحِ العظيمِ
وَبُورِكَ ما ضمَّهُ مِنْ فُنُونْ
سَتَبْقَى إلى أبدِ الآبدينَ
مُخَلَّدَةً تجتنيها العُيونْ
هديَّةَ شعبٍ أصيلٍ عريقٍ
إلى أُمَمِ الأرضِ عَبْرَ السِّنينْ
وَيَبْقَى اسمُهُ الفَذُّ عَبْرَ العُصُورِ
يُضِيءُ المحجَّةَ لِلْخالدينْ
كشاهِدِ حُبٍّ، وَرَمْزِ رِضىً
لِخيرِ أبٍ مِنْ أبرِّ البَنينْ

أحمد عبد السلام البقالي